المملكة العربية السعودية

جامعة الرياض

DEAN
UNIVERSITY LIBRARIES

عمادة شؤون المكتبات

Riyad University
RIYAD, SAUDI ARABIA

No. ....: الرقم   Date ....: التاريخ

مكتبة جامعة الرياض - قسم المخطوطات

الرقم: ٨٠-٤ ف ٨٣٤/١

العنوان: (منهاج العابدين الى الجنة)

المؤلف: محمد بن محمد الغزالي

تاريخ النسخ: الثاني عشر الهجري

اسم الناسخ:

عدد الأوراق: ١١٤ق ٢١×١٥سم

ملحوظات: ١٨ س
٢ ع

Copyright © King Saud University

١٨٩
م ٠ غ

منهاج العابدين الى الجنة ، تأليف الغزالى ، محمد بن محمد - ٥٠٥ هـ ٠ خط القرن الثانى عشر الهجرى تقديرا ٠

١١٤ ق ١٧ س ٢١×١٥ سم

٤٠٨٠ نسخة جيدة ، ناقصة الاول و الآخر ، خطها نسخ معتاد ، طبع

الاعلام ٧:٢٤٧ دار الكتب المصرية ١:٣٦٦

١ - الفلسفة الاسلامية فى العصور الوسطى

أ - المؤلف ب - تاريخ النسخ ج - المنهج ٠

Copyright © King Saud University

المكتبة المركزية - قسم المخطوطات
٤-٨٠-

والموانع خفيفة المهالك والمقاطع عزيزة الاعداد والقطاع عزيزة الاشياع والاتباع
وهكذا يجب ان يكون لانها طريق الجنة فيصير هذا تصديقا لما قاله رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الجنة حفت بالمكاره وان النار حفت بالشهوات وقال
عليه السلام الا وان حزن بربوة الا وان النار سهل بسهوة ثم مع ذلك
كله فان العبد ضعيف والزمان صعب وامر الدين متراجع والعز قليل
والشغل كثير والعمر قصير وفي العمل تقصير والناقد بصير والاجل قريب
والسفر بعيد والطاعة هي الزاد فلا بد منها وهي فائتة لا مرد لها فمن ظفر بها
فقد فاز وسعد ابد الابدين ومن فاته ذلك فقد خسر مع الخاسرين
وهلك مع الهالكين فصار هذا الخطب اذا والله معضلا والخطر عظيما
ولذلك عز من يقصد هذا الطريق وقل ثم عز من القاصدين من يسلكه ثم عز
من السالكين من يصل الى المقصود ويظفر بالمطلوب وهم الاعزة الذين اصطفاهم
لمعرفته ومحبته وسددهم بتوفيقه وعصمته ثم اوصلهم بفضله الى رضوانه
وجنته فنسئله جل ذكره ان يجعلكم وايانا من اولئك الفائزين برحمته نعم
ولما وجدنا هذه الطريق بهذه الصفة نظرنا فامعنا النظر في كيفية قطعها
وما يحتاج اليه العبد من الاهبة والعدة والالة والحيلة من علم وعمل عسى
ان يقطعها بحسن توفيق الله تعالى في سلامة ولا ينقطع في عقباتها المهلكة
فيهلك مع الهالكين والعياذ بالله فصنفنا في قطع هذه الطريق وسلوكها كتبا

كاحياء علوم الدين والقربة الى الله عز وجل وغير ذلك احتوت على دقايق من العلوم
اعتاصت على افهام العامة فقدحوا فيها وخاضوا فيما لم يحسنوه منها فاي الكلام
افصح من كلام رب العالمين وقد قالوا فيه اساطير الاولين اما تسمع الى قول
زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم اجمعين حيث
يقول اني لاكتم من علمي جواهره كيلا يرى ذاك ذو جهل فيفتتنا وقد تقدم
في هذا ابو حسن الى الحسين ووصى قبله الحسنا يا رب جوهر علم لو ابوح به لقيل لي
انت ممن يعبد الوثنا ولاستحل رجال مسلمون دمي يرون اقبح ما ياتونه حسنا و
اقتضت الحال عند ذوي الدين النظر الى كافة خلق الله سبحانه بعين الرحمة وترك
المماراة فابتهلت الى من بيده الخلق والامر ان يوفقني لتصنيف كتاب يقع عليه
الاجماع ويحصل بقراءته الانتفاع فاجابني الذي يجيب المضطر اذا دعاه واطلعني
بفضله على اسرار ذلك والهمني فيه ترتيبا عجيبا لم اذكره في المصنفات التي تقدمت
في اسرار معاملات الدين وهو الذي انا له واصف فاقول بالله وبالله التوفيق
ان اول ما ينتبه العبد للعبادة ويتحرك لسلوك طريقها خطرة سماوية من الله تعالى
وتوفيق خاص الهي وهو المعني بقوله سبحانه افمن شرح الله صدره للاسلام
فهو على نور من ربه واشار اليه صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلم
فقال ان النور اذا دخل القلب انفسح وانشرح فقيل يا رسول الله فهل لذلك
من علامة يعرف بها فقال التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد

للموت قبل نزول الموت فاذا خطر بقلب العبد اول كل شيء اني اجد منعما بضروب
من النعم كالحياة والقدرة والعقل والنطق وساير المعاني الشريفة واللذات وما ينصرف
عني من ضروب المضار والافات وان لهذا المنعم يطالبني بشكره وخدمته وان
غفلت عن ذلك فيزيل عني نعمته ويذيقني باسه ونقمته وقد بعث الي رسولا ايده
بالمعجزات الخارقة للعادات الخارجة عن مقدور البشر واخبرني بان لي ربا جل
ذكره عالما قادرا حيا مريدا متكلما يامر وينهى قادرا على ان يعاقبني ان عصيته و
يثيبني ان اطعته عالما باسراري وما يختلج بافكاري وقد وعد واوعد وامر
بالتزام قوانين الشرع فيقع في قلبه انه ممكن اذ لا استحالة لذلك في العقل باول البديهة
فيخاف على نفسه عند ذلك وينزعج فهذا خاطر الفزع الذي ينبه العبد ويلزمه الحجة و
يقطع عنه المعذرة ويزعجه الى النظر والاستدلال فينزعج العبد عند ذلك و
يقلق وينظر في طريق الخلاص وتحصيل الامان مما وقع بقلبه او سمع باذنه فلم
يجد فيه سبيلا سوى النظر بعقله في الدلايل والاستدلال بالصنعة على الصانع ليحصل
له العلم اليقيني بما هو غيب ويعلم ان له ربا كلفه وامره ونهاه فهذا اول عقبة
استقبلته في طريق العبادات وهي عقبة العلم والمعرفة ليكون من الامر على بصيرة
فاخذ في قطعها من غير بد بحسن النظر في الدلايل ووفور التامل والتعلم والسؤال
من علماء الاخرة ادلاء الطريق سرج الامة وقادة الايمة والاستفادة منهم واستمداد
الدعاء الصالح منهم للتوفيق والاعانة الى ان يقطعها بتوفيق الله سبحانه فيحصل له العلم

واليقين بالغيب وهو ان له الها واحدا لا شريك له هو الذي خلقه وانعم عليه
بكل هذه النعم وانه طلبه شكره وامره بخدمته وطاعته بظاهره وباطنه وحذره الكفر
وضروب المعاصي وحكم له بالثواب الخالد ان اطاعه وبالعقاب ان عصاه وتولى عنه فعند
ذلك يبعثه هذه المعرفة واليقين بالغيب على التشمير للخدمة والاقبال على العبادة لهذا
المتبدل المنعم الذي طلبه فوجده وعرفه بعد ما جهله ولكنه لا يدري كيف يعبده وما
ذا عليه يلزمه من خدمته بظاهره وباطنه بعد حصول هذه المعرفة بالله سبحانه وتعالى
وما يلزمه من الفرايض الشرعية ظاهرا وباطنا فلما استكمل العلم والمعرفة بالفرا
ايض انبعث ليأخذ في العبادة فيشتغل بها فنظر فاذا هو صاحب جنايات وذنوب
وهذا حال الاكثر من الناس فيقول كيف اقبل على العبادة وانا مصر على المعصية
متلطخ بها فيجب اولا ان اتوب اليه ليغفر لي ذنوبي ويخلصني من اسرها عقبة
التوبة فيحتاج لا محالة الى قطعها ليصل الى ما هو المقصود منها فاخذ في ذلك
باقامة التوبة في حقوقها وشرايطها الى ان قطعها فلما حصلت له التوبة الصادقة
وفرغ من هذه العقبة حن الى العبادة ليأخذ فيها فنظر فاذا حوله عوايق محدقة
به كل واحدة منها تعوقه عما قصده من العبادة بضرب من التعويق فتامل فاذا هي
اربعة الدنيا والخلق والشيطان والنفس فاحتاج لا محالة الى دفع هذه العوايق
والحجب والا فلا يتأتى له امره من العبادة فاستقبلته هنا عقبة العوايق فاحتاج
الى قطعها باربعة امور التجرد عن الدنيا والتفرد عن الخلق والمحاربة مع الشيطان

والنفس واما النفس فاشدها اذ لا يمكنه التجرد عنها ولا ان يقهرها مرة ويقمعها كالشيطان
اذ هي المطية والالة ولا مطمع ايضا في موافقتها له على ما يقصد العبد
من العبادة والاقبال عليها اذ هي مجبولة على ضد الخير كالهوى واتباعه فاحتاج الى
ان يلجمها بلجام التقوى لتبقى له فلا تنقطع وتنقاد له فلا تطغى فيستعملها في المصالح والمرا
ويمنعها عن المهالك والمفاسد فيأخذ اذا في قطع هذه العقبة ويستعين بالله جل
ذكره على ذلك فلما فرغ من قطعها رجع الى قصد العبادة فاذا عوارض تعترض فتشغله عن
الاقبال على مقصوده من العبادة وتمنعه من التفرغ لذلك كما ينبغي فتامل فاذا هي اربعة
الرزق تطالبه النفس به وتقول له لا بد لي من رزق وقوام وقد تجردت عن
الدنيا وتفردت ايضا عن الخلق فمن اين يكون قوامي ورزقي والثاني الاخطار
من كل شيء يخافه ويرجوه او يريده او يكرهه ولا يدري صلاحه في ذلك
او فساده فان عواقب الامور مبهمة فيشتغل قلبه بها فانه ربما يقع في فساد
او مهلكة والثالث الشدايد والمصايب تنصب عليه من كل جانب لا سيما
وقد انتصب لمخالفة الخلق ومحاربة الشيطان ومضادة النفس فكم من
غصة يتجرعها وكم من شدة تستقبله وكم من هم وحزن يعترضه وكم من مصيبة
تتلقاه والرابع انواع القضاء من الله سبحانه بالحلو والمر ترد عليه حالا
فحالا والنفس تسارع الى التسخط وتبادر الى الفتنة فاستقبلته هنا عقبة العوا
الاربعة فاحتاج الى قطعها باربعة امور التوكل على الله سبحانه في مواضع الرزق

والتوفيق اليه في مواضع الخطر والصبر عند نزول الشدائد والرضا عند نزول القضاء
فاخذ في قطع هذه العقبة باذن الله تعالى وحسن تأييده فلما فرغ من قطعها وعاد
الى قصد العبادة فنظر فاذا النفس فاترة كسلانة لا تنشط ولا تنبعث لخير كما
يحق وينبغي وانما ميلها ابدا الى غفلة ودعة وراحة وبطالة بل الى شر وفضول
وبلية وجهالة فاحتاج معها ههنا الى سائق يسوقها الى الخير والطاعة وينشطها له
وزاجر يزجرها عن الشر والمعصية وينفرها عنه وهما الرجاء والخوف
فالرجاء في عظيم ثواب الله عز وجل وحسن ما وعد من انواع الكرامة
وتذكر ذلك سائق يسوقها فيبعثها على الطاعة ويحركها لذلك وينشطها والخوف
من اليم عقاب الله تعالى وصعوبة ما اوعد من انواع العقوبة والاهانة زاجر يزجرها
عن المعصية ويجنبها وينفرها عن ذلك فهذه عقبة البواعث استقبلته فاحتاج
الى قطعها بهذين الذكرين فاخذ فيها بحسن توفيق الله تعالى عز وجل فقطعها فلما فرغ
منها رجع الى الاقبال على العبادة فلم ير عائقا ولا شاغلا ووجد باعثا وداعيا
فنشط في العبادة فقام بها وعانقها بتمام الشوق والرغبة فاذا هو ينظر فاذا
بندوه لهذه العبادة التي احتمل فيها كل ذلك آفتان عظيمتان وهما الرياء وا
العجب تارة يرائي بطاعته الناس فيفسدها واخرى يمتنع عن ذلك ويلوم
فيه فيعجب بنفسه فيحبط العبادة عليه ويتلفها فاستقبلته ههنا عقبة القوادح ح
فاحتاج الى قطعها بالاخلاص وذكر المنة ونحوها ليسلم له ما يعمل من خير

فاخذ في قطع هذه العقبة باذن الله سبحانه وتعالى بجد واحتياط وتيقظ بحسن
عصمة الجبار تعالى وتأديبه فلما فرغ من هذه كلها حصلت له العبادة كما يحق
وينبغي وسلمت من كل آفة ولكنه نظر فاذا هو غريق في بحار منن الله تعالى وايادي
من كثرة ما انعم عليه من امداد التوفيق والعصمة وانواع الحراسة وخاف
ان يكون منه اغفال للشكر فيقع في الكفران فينحط عن تلك المنزلة الرفيعة التي
هي منزلة الصالحين الخلص لعبيد الله عز وجل وتزول عنه تلك النعمة الكريمة من ضروب
الطاف الله تعالى وحسن نظره اليه فاستقبلته ههنا عقبة الحمد والشكر فاخذ
في قطعها بما امكنه من كثرة الحمد والشكر على كثير نعمه فلما فرغ من قطع هذه العقبة
ونزل فاذا هو مطلوبه مقصوده ومبتغاه بين يديه فلم يسر الا قليلا حتى وقع
في سهل الفضل والصحراء الشوق وعرصات المحبة ثم يقع في رياض الرضوان وبساتين
الانس الى بساط الانبساط ومرتبة التقريب ومجلس المناجات ونيل الخلع والكرا
فهو يتنعم في هذه الحالات ويتقلب في طيبها ايام بقائه وبقية عمره بشخص في الدنيا
وقلب في العقبى ينتظر البريد يوما فيوما حتى يمل الخلق كلهم ويستقذر الدنيا
ويحن الى الموت اي موته ويستكمل الشوق الى الملأ الاعلى فاذا هو برسل رب العالمين
اليه يردون عليه بالروح والريحان والبشرى والرضوان من عند رب
راض غير غضبان فينقلونه في طيبة النفس وتمام البشر والانس من هذه الدار
الفانية المغنية الى الحضرة الالهية ومستقر رياض الجنة فيرى لنفسه النعيم المقيم

نعيما مقيما وملكا عظيما ويلقى هنالك من سيده الرحيم المفضل الكريم جل ذكره من
اللطف والعطف والترحيب والتقريب والانعام والاكرام ما لا يحيط به وصف
الواصفين ونعت الناعتين فهو كل يوم في زيادة الى ابد الآبدين فيا لها من سعادة
عظيمة ويا لها من دولة عالية ويا له من عبد مسعود وامرئ مغبوط محمود فطوبى
له وحسن مآب نسأل الله البر الرحيم سبحانه ان يمن علينا وعليكم بهذه النعمة
العظيمة وما ذلك على الله بعزيز وان لا يجعلنا من الذين لا نصيب لهم من هذا
الامر الا وصف وسماع وعلم وتمن بلا انتفاع وان لا يجعل ما تعلمنا من
العلم حجة علينا يوم القيامة وان يوفقنا جميعا للعمل بذلك والقيام به كما
يحب ويرضى انه ارحم الراحمين واكرم الاكرمين فهذا هو الترتيب الذي
الهمني مولاي في طريق العبادة فاعلم الآن ان الحاصل من الجملة سبع عقبات
الاولى عقبة العلم الثانية عقبة التوبة الثالثة عقبة العوائق الرابعة عقبة
العوارض الخامسة عقبة البواعث السادسة عقبة القوادح السابعة
عقبة الحمد والشكر وبتمامها يتم كتاب منهاج العابدين الى الجنة ونحن الآن نتبع
هذه العقبات بشرح موجز اللفظ مشتمل على النكت المقصودة من هذا الشأن
كل منها في باب مفرد ان شاء الله تعالى والله سبحانه ولي التوفيق والتسديد بمنه
ولا حول ولا قوة الا به **العقبة الاولى** وهي عقبة العلم قال وبالله التوفيق
يا طالب العلم والعبادة عليك اولا وفقك الله بالعلم فانه القطب

وعليه المدار واعلم ان العلم والعبادة جوهران لاجلهما كان كل ما ترى وتسمع
من تصنيف المصنفين وتعليم المعلمين ووعظ الواعظين ونظر الناظرين
بل لاجلهما انزلت الكتب وارسلت الرسل بل لاجلهما خلقت السموات
والارض وما فيهما من الخلق وتأمل آيتين في كتاب الله عز وجل احدهما قوله تعالى
الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان
الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما وكفى بهذه الآية دليلا على شرف
العلم لا سيما علم التوحيد والآية الثانية قوله جل من قائل وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون وكفى بهذه الآية دليلا على شرف العبادة ولزوم الاقبال
عليها فاعظم بامرين هما المقصود من خلق الدارين فحق للعبد ان لا يشتغل الا
بهما ولا يتعب الا لهما ولا ينظر الا فيهما فاعلم ان ما سواهما من الامور باطل لا خير
فيه ولغو لا حاصل له فاذا علمت ذلك فاعلم ان العلم اشرف الجوهرين
وافضلهما ولذلك قال النبي عليه السلام ان فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى
رجل من امتي وقال عليه السلام نظرة الى العالم احب الي من عبادة سنة صياما
وقياما وقال عليه السلام الا ادلكم على اشرف اهل الجنة قالوا بلى يا رسول الله
قال هم علماء امتي فبان لك ان العلم اشرف جوهرا من العبادة ولكن لا بد للعبد من
العبادة مع العلم والا كان علمه هباء منثورا فان العلم بمنزلة الشجرة والعبادة
بمنزلة الثمرة من ثمراتها فالشرف للشجرة اذ هي الاصل لكن الانتفاع بثمرتها فاذا لا بد

للعبد ان يكون له من كلا الامرين حظ ونصيب ولهذا قال الحسن البصري اطلبوا هذا
العلم طلبا لا يضر بالعبادة واطلبوا هذه العبادة طلبا لا يضر بالعلم ولما استقر انه لا بد
للعبد منهما جميعا فالعلم اولى بالتقديم لا محالة لانه الاصل والدليل ولذلك ان العلم
قال صلى الله عليه وسلم العلم امام العمل والعمل تابعه وانما صار العلم اصلا متبوعا العلم
ولزمك تقديمه على العبادة لامرين احدهما لتحصل لك العبادة وتسلم فانك
اولا يجب ان تعرف المعبود ثم تعبد وكيف تعبد من لا تعرفه باسمائه وصفات
ذاته وما يجب له وما يستحيل في نعته فربما يعتقد في صفاته شيئا والعياذ
بالله مما يخالف الحق فتكون عبادتك هباء منثورا وقد شرحنا ما في ذلك من الخطر
العظيم في بيان معنى سوء الخاتمة في كتاب الخوف من جملة كتب احياء علوم
الدين ثم يجب ان تعلم ما يلزمك فعله من الواجبات الشرعية على ما امرت ٢
لتفعل ذلك وما يلزمك تركه من المناهي لتترك ذلك والا فكيف تقوم بطاعة
لا تعرفها ما هي وكيف هي وكيف يجب ان تفعل وكيف تجتنب معاصي لا تعلم انها
معاص حتى لا توقع نفسك فيها فالعبادات الشرعية كالطهارة والصلوة والصوم
وغيرها يجب ان تعلمها باحكامها وشرائطها حتى تقيمها فربما انت مقيم على شيء
سنين وازمانا مما يفسد عليك طهارتك وصلواتك ويخرجها عن الوضع
واقعين على وفق السنة وانت لا تشعر بذلك وربما يعترض لك مشكل ولا
تجد من تسئله عن ذلك وانت ما تعلمته ثم مدار هذا الثاني ايضا على العبادات

الى

٦

الباطنة التي هي مساعي القلب يجب ان تعلمها من التوكل والتفويض والرضى والصبر
والتوبة والاخلاص وغير ذلك مما سنبينه في ذكرها ان شاء الله عز وجل ويجب ان تعلم
مناهيها التي هي اضداد هذه الامور كالسخط والامل والرياء والكبر لتجتنب ذلك
فان هذه وايضا فرض الله تعالى على الامر بها والنهي عن اضدادها في كتابه العزيز وعلى لسان
نبيه صلى الله عليه وسلم كما قال الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين
واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون واصبر وما صبرك الا بالله وقوله
تعالى وتبتل اليه تبتيلا اي اخلص اليه اخلاصا ونحو ذلك من الايات
كما نص على الامر بالصلوة والصوم فما لك اقبلت على الصلوة والصوم وتركت
هذه الفرائض والامر بهما من رب واحد في كتاب واحد بل غفلت عنها فلا تعرف
شيئا منها اغتررت بمن اصبح يعاجل حظ مشغوفا حتى صير المعروف منكرا والمنكر
معروفا ومن اهمل العلوم التي سماها الله تعالى في كتابه نورا وهدى وحكمة
واقبل على ما به يكتسب الحرام ويكون مصيدة للحطام اما تخاف ايها المسترشد عن
ان تكون مضيعا لشيء من هذه الواجبات بل لاكثرها وتشتغل بصلوة التطوع
وصوم النفل فتكون لا شيء وربما انت مصر على معصية من هذه المعاصي
التي تستوجب بها النار وتترك مباحا من طعام او شراب او نوم تبتغي
قربة الى الله تعالى فتكون في لا شيء واشد من ذلك كله انك تكون في امر لا مل
والامر معصية محضة فتظنه بنية خير لجهلك بالفرق بينهما وتقاربهما في

بعض الوجوه وكذلك تكون في جزع وسخط فتظنه تضرعا وابتهالا الى الله عز وجل
وتكون في رياء محض فتحسبه حمد الله سبحانه او دعوة للناس الى الخير فتأخذ تعد
على الله سبحانه المعاصي بالطاعات وتحسب ثواب العظيم في موضع العقوبات فتكون
في غرور عظيم وغفلة قبيحة وهذه والله مصيبة فضيعة للعاملين من غير علم
ثم مع ذلك كله فان للاعمال الظاهرة عللا وعلائق من المساعي الباطنة تصلحها
وتفسدها كالاخلاص والرياء والعجب وذكر المنة وغيرها فمن لم يعرف يعلم هذه
المساعي الباطنة ووجوه تأثيرها في العبادات الظاهرة وكيفية الاحتراس
منها وحفظ العمل عنها فقلما يسلم له عمل الظاهر ايضا فتفوته طاعات
الظاهر والباطن فلا يبقى بيده الا الشقاء والكد وهذا هو الخسران المبين
ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نوما على علم خير من صلوة
على جهل فان العامل بغير علم يفسد اكثر مما يصلح قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم في العلم انه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء فالمعنى
والعلم عند الله تعالى ان احدى شقوتيه ان لا يتعلم العلم ثم يشقى و
يتعب في العبادة على خبط فما يكون له من ذلك الا العناء نعوذ بالله من
علم وعمل لا ينفع ولهذا عظمت عناية العلماء الزاهدين العاملين
رضي الله عنهم بالعلم خاصة من بين ابناء الناس فان مدار امر العبودية
وملاك العبادة والخدمة لله رب العالمين على العلم وهكذا يكون نظر

علم التوحيد ودقائقه والاتيان على جميع مسائله نعم ان وردت عليك
شبهة في اصول الدين تخاف ان تقدح في اعتقادك فيتعين عليك حل تلك
الشبهة بما امكن من الكلام المقنع واياك والممارات والمجادلة فانه داء محض
لا دواء له فاحترز منه جهدك فان من ارتداه لم يفلح الا ان يتغمده الله برحمته
ولطفه ثم اعلم انه اذا كان في كل قطر داع من دعاة السنة يحل الشبهة ويرد على
اهل البدع ويشتغل بهذا العلم ويصفي قلوب اهل الحق عن وساوس المبتدعة
فقد سقط الفرض عمن سواه وكذلك لا يلزمك من معرفة دقائق علم السر
وجميع شرح عجايب القلب الا ما يفسد عليك عبادتك فيجب عليك
معرفته لتجتنبه وما يلزمك فعله كالاخلاص والحمد والشكر والتوكل ونحو
ذلك فيلزمك معرفته لتؤديه **واما** ما سواه فلا وكذلك لا يلزمك معرفة
ساير ابواب الفقه من البيوع والاجارات والنكاح والطلاق والجنايات
انما كل ذلك فرض على الكفاية **فان قلت** هذا القدر من علم التوحيد
هل يحصل بنظر الانسان من غير معلم فاعلم ان الاستاذ فاتح ومسهل
والتحصيل معه اسهل واروح والله تعالى بفضله يمن على من يشاء من
عباده فيكون هو معلمهم سبحانه ثم اعلم ان هذه العقبة التي هي عقبة العلم
عقبة كؤد ولكن بها ينال المطلوب والمقصود نفعها كثير وقطعها شديد و
خطرها عظيم كم من عدل عنها فضل وكم من سلكها فزل وكم من تاه فيها متحير

وكم من حسير منقطع وكم من سالك قطعها في مدة سبعين واخر متردد فيها سبعين
سنة والامر كله بيد الله عز وجل انما نفعه فعلى ما ذكرناه من شدة حاجة العبد
الى وبناء امر العبادة كلها لاسيما علم التوحيد وعلم السر فلقد روي ان الله اوحى
الى داود عليه السلام يا داود تعلم العلم النافع قال الهي وما العلم النافع قال
ان تعرف جلالي وعظمتي وكبريائي وكمال قدرتي على كل شيء فان هذا الذي يقربك
الي وعن علي كرم الله وجهه انه قال ما يسرني ان لو مت طفلا وادخلت الجنة ولم
اكبر فاعرف ربي فان اعلم الناس بالله اشدهم خشية واكثرهم عبادة واحسنهم
في الله عز وجل نصيحة وانما شدتها فابذل نفسك بالاخلاص في طلب العلم
وليكن الطلب طلب دراية لا طلب رواية واعلم ان الخطر عظيم فمن طلب
العلم ليصرف به وجوه الناس اليه ويجالس به الامراء ويباهي به النظراء و
يتصيد به الحطام فتجارته بائرة وصفقته خاسرة قال ابو يزيد البسطامي
رحمه الله عملت في المجاهدة ثلثين سنة فما وجدت شيئا اشد علي من
العلم وخطره واياك ان يزين لك الشيطان فيقول انا كان قد ورد هذا
الخطر العظيم في العلم فتركه اولى فلا تظنن ذلك فلقد روي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال اطلعت ليلة المعراج على النار فرأيت اكثر اهلها الفقراء
قالوا يا رسول الله من المال قال لا من العلم فمن لم يتعلم العلم لا يأتي باحكام
العبادة والقيام بحقوقها ولو ان رجلا عبد الله تعالى عبادة ملائكة السماء

بغير

بغير علم كان من الخاسرين فشمر في طلب العلم بالبحث والتلقين والتدريس
واجتنب الكسل والملال والآفات وخطر الضلال والعياذ بالله تعالى ثم جملة الامر انك
اذا نظرت في دلائل صنع الله تعالى وامعنت النظر علمت ان لك الها قادرا عالما حيا
مريدا سميعا بصيرا متكلما منزها عن حدوث الكلام والعلم والارادة مقدسا
عن كل نقص وآفة لا يوصف بصفات المحدثين ولا يجوز عليه ما يجوز على المحدودين
لا يشبه شيئا من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه ولا تتضمنه الاماكن ولا الجهات
ولا تحله الحوادث والآفات ونظرت في معجزات الرسول صلوات الله وسلامه
واعلام نبوته فعلمت انه رسول الله صم وامينه على وحيه وما كان السلف
الصالح يعتقدون من ان الله تعالى يرى في الآخرة لانه موجود وليس في جهة
محدودة وان القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق وليس بحروف مقطعة ولا
اصوات اذ لو كان كذلك لكان من جملة المخلوقات وانه لا يكون في الملك
والملكوت فلتة خاطر ولا لفتة ناظر الا بقضاء الله وقدره وارادته و
مشيئته فمنه الخير والشر ومنه النفع والضر والايمان والكفر وانه لا
واجب على الله تعالى لاحد من خلقه من اثابه فبفضله ومن عاقبه فبعدله
وما ورد على لسان صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه
من امور الآخرة كالحشر والنشر وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير والميزان
والصراط فهذه اصول درج السلف الصالح رضوان الله عليهم على اعتقادها

والتمسك بما ووقع عليها الاجماع قبل تنوع البدع وظهور الاهواء نعوذ بالله
من الابتداع في الدين واتباع الهوى بغير دليل ثم نظرت في اعمال القلب
والمواجب الباطنة والمناهي التي تاتي في هذا الكتاب ليحصل لك علمه ثم تعرف
جملة ما تحتاج الى استعماله كالطهارة والصلوة والصوم ونحو فلقد اديت
فرض الله تعالى عليك الذي تعبدك به في باب العلم ولقد صرت من علماء امة
محمد صلى الله عليه وسلم الراسخين في العلم ان علمت بعلمك واقبلت على عمارة
معادك كنت عبدا عالما عاملا لله تعالى على بصيرة غير جاهل ولا مقلد ولا
غافل ولك الشرف العظيم ولعلمك القيمة الكثيرة والثواب الجزيل وكنت قد قطعت
هذه العقبة وخلفتها وراءك وقضيت حقها باذن الله تعالى والله تعالى مسئول
ان يمدك وايانا عن توفيقه وتيسيره انه ارحم الراحمين ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم العقبة الثانية وهي عقبة التوبة ثم عليك
يا طالب العبادة وفقك الله بالتوبة وذلك لامرين احدهما ليحصل لك
توفيق الطاعة فان شوم الذنوب يورث الحرمان ويعقب الخذلان وان قيد
الذنوب يمنع عن المشي الى طاعة الله عز وجل والمسارعة الى خدمته وان
ثقل الذنوب يمنع عن الخفة للخيرات والنشاط في الطاعات وان الاصرار
على الذنوب مما يسود القلب فتجده في ظلمة وقساوة لا خلوص فيه ولا صفاء
ولا لذة ولا حلاوة وان لم يرحم الله تعالى فسيجر صاحبها الى الكفر والشقاوة

فيا عجبا كيف يوفق للطاعة من هو في شوم وقساوة وكيف يدعا الى الخدمة من هو
مصر على المعصية والجفوة وكيف يقرب للمناجاة من هو متلطخ بالاقذار وا
النجاسات ففي الخبر عن الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كذب
العبد تنحى الملكان عن نتن ما يخرج من فيه فكيف يصلح هذا اللسان لذكر الله عز و جل
فلاجرم لا يكاد يجد المصر على العصيان توفيقا ولا تخف اركانه لعبادة ربه وان
اتفق فبكد لا حلاوة معها ولا صفوة وكل ذلك بشوم الذنوب وترك
التوبة ولقد صدق من قال اذا لم تقو على قيام الليل وصيام النهار فاعلم انك
مكبول قد كبلتك خطيئتك فهذه هي والثاني من الامرين انما يلزمك
التوبة لتقبل عنك عبادتك فان رب الدين لا يقبل الهدية وذلك
ان التوبة عن المعاصي وارضاء الخصوم فرض لازم وعامة العبادة التي تقصدها
نفل فكيف يقبل منك تبرعك والدين عليك حال لم تقضه وكيف
تترك لاجله الحلال والمباح وانت مصر على فعل المحظور والحرام كيف
تناجيه وتدعوه وتثني عليه وهو والعياذ بالله عليك غضبان فهذا ظاهر حال
العصاة المصرين على المعصية والله المستعان فان قلت فما معنى التوبة
النصوح وحدها وما ينبغي للعبد ان يفعله حتى يخرج من الذنوب كلها فاقول
ان التوبة فانها فعل من مساعي القلب وهي عند التحقيق في قول العلماء تنزيه
القلب عن الذنوب قال شيخنا رحمه الله في حد التوبة انه ترك اختيار ذنب

سبق مثله عنه منزلة لا صورة تعظيما لله تعالى وحذارا من سخطه فلها اذا اربع
شرايط احدها ترك اختيار الذنب وهو ان يوطن قلبه ويجرد عزمه على انه لا يعود
الى الذنب البتة فاما ان ترك الذنب وفي نفسه انه ربما يعود اليه او لا يعزم على ذلك
بل يتردد فانه ربما يقع له العود فانه ممتنع عن الذنب غير تايب عنه والثانية
ان يتوب عن ذنب قد سبق عنه مثله اذ لو لم يسبق عنه لكان متقيا غير تايب
الا ترى انه يصح القول بان النبي صلى الله عليه وسلم كان متقيا عن الكفر ولا يصح
بانه كان تايبا عن الكفر اذ لم يسبق عنه كفر بحال وان عمر بن الخطاب كان تايبا
عن الكفر لما سبق عنه ذلك والثالثة ان الذي سبق يكون مثل الذي يتركه
اختيارا في المنزلة والدرجة لا في الصورة الا ترى ان الشيخ الهرم الفاني الذي
قد سبق منه الزنا وقطع الطريق اذا اراد ان يتوب عن ذلك تمكنه التوبة
لا محالة اذ لم يغلق عنه بابها ولا يمكنه ترك اختيار الزنا وقطع الطريق
اذ هو لا يقدر الساعة على فعل ذلك فلا يقدر على تركه فلا يصح وصفه
بانه تارك له ممتنع عنه وهو عاجز عنه غير متمكن لكنه يقدر على ما هو مثل
الزنا وقطع الطريق في المنزلة والدرجة كالقذف والغيبة والنميمة اذ جميع
ذلك معاصي وان كان الاثم يتفاوت في كل واحد بقدرها لكن جميع هذه المعاصي
الفرعية كلها بمنزلة واحدة وهي دون منزلة البدعة دون الكفر فلذلك
صح منه التوبة عن الزنا وقطع الطريق وساير ما مضى من الذنوب الذي هو عاجز

عن امثالها اليوم في الصورة والرابعة ان يكون اختياره لذلك تعظيما لله و
حذارا من سخطه واليم عقابه مجردا لا لرغبة دنيوية او رهبة من الناس او طلب
ثناء او صيت او ضعف في النفس او فقر او غير ذلك فهذه شرايط التوبة واركا نها
فاذا حصلت واستكملت فهي توبة حقيقية صادقة واما مقدمات التوبة
فثلث احدها ذكر غاية قبح الذنوب الثانية ذكر شدة عقوبة الله عز وجل واليم سخطه
وغضبه الذي لا طاقة لك به الثالثة ذكر ضعفك وقلة حيلتك في ذلك فا ن
من لا يحتمل حر الشمس ولطمة شرطي وقرص نملة كيف يحتمل حر نار جهنم وضرب
مقامع الزبانية ولسع حيات كاعناق البخت وعقارب كالبغال خلقت من النار
في دار الغضب والبوار نعوذ بالله من سخطه وعذابه فاذا واظبت على هذه الاذكار
وعاودتها اناء الليل والنهار فانها ستحملك على التوبة النصوح من الذنوب
والله الموفق بفضله فان قيل اليس قد قال النبي صلى الله عليه وسلم الندامة
توبة ولم يذكر مما ذكرتم من شرايطها وشددتم شيئا يقال له اعلم اولا ان الندم غير
مقدور الا ترى انه يقع الندامة عن امور في قلبه وهو يريد ان لا يكون ذلك
والتوبة مقدورة للعبد مامور بها ثم انا قد علمنا انه لو ندم على الذنوب
لما ذهب بذلك جاهه بين الناس او ماله والنفقة فيها فان ذلك لا
يكون توبة بلا ريب فعلمت بذلك ان في الخبر معنى لم تفهمه من ظاهره وهو ان
الندم لتعظيم الله سبحانه وتعالى وخوف عقابه مما يبعث على التوبة النصوح

فان ذلك من صفات التائبين حالهم فانه اذا ذكر الاذكار الثلثة التي هي مقدمات
التوبة بندم ويحمله الندامة على ترك اختيار الذنب وبتبقى ندامته في قلبه
في المستقبل فيحمله على الابتهال والتضرع فمما كان ذلك من اسباب التوبة وصفات
التائب سماه باسم التوبة فافهم ذلك موفقا ان شاء الله تعالى فان قلت موفقا
كيف يمكن للانسان ان يصير بحيث لا يقع منه ذنب البتة من صغير او كبير
كيف وانبياء الله صلوات عليهم الذين هم اشرف خلق الله تعالى قد اختلف
اهل العلم هل نالوا هذه الدرجة ام لا فاعلم ان هذا امر ممكن غير مستحيل والله
يختص برحمته من يشاء ثم من شرط التوبة ان لا يتعمد ذنبا فاما ان وقع منه بسهو
او خطاء فهو معفو عنه بفضل الله تعالى وهذا هين على وفقه سبحانه فان قلت
انما يمنعني من التوبة اني اعلم من نفسي اني اعود الى الذنب ولا اثبت على التوبة
فلا فائدة في ذلك فاعلم ان هذا من غرور الشيطان ومن اين لك هذا العلم
فعسى ان تموت تائبا قبل ان تعود الى الذنب واما الخوف من العود فعليك
العزم والصدق في ذلك وعليه الاتمام فان اتم فذاك من فضله وان لم يتم فقد
غفرت ذنوبك السالفة كلها وتخلصت منها وتطهرت وليس عليك
الا هذا الحديث الذي احدثته الان وهذا هو الربح العظيم والفائدة الكبيرة
ولا يمنعك خوف العود عن التوبة فانك من التوبة ابدا بين احدى الحسنيين
والله ولي التوفيق والهداية فتدبر هذه واما الخروج من الذنوب والتخلص منها

فاعلم ان الذنوب في الجملة ثلثة اقسام احدها ترك واجبات الله تعالى عليك
من صلوات او صيام او زكوة او كفارة او غيرها فتقضي ما امكن منها والثاني
ذنوب بينك وبين الله تعالى كشرب الخمر وضرب المزامير واكل الربوا ونحو ذلك
فتندم على ذلك وتوطن قلبك على ترك العود الى مثلها ابدا والثالث ذنوب
بينك وبين العباد وهذا اشكل واصعب وهي اقسام قد يكون في المال
والنفس والعرض وفي الحرمة وفي الدين فما كان من المال فيجب ان ترده عليه
ان امكنت فان عجزت عن ذلك لعدم او فقر فتستحل منه وان عجزت عن ذلك
لغيبة الرجل او موته وامكن التصدق عنه فافعل وان لم يمكن فعليك
بتكثير حسناتك والرجوع الى الله سبحانه بالتضرع والابتهال ان يرضيه
عنك يوم القيمة واما ما كان في النفس فتمكنه من القصاص او وليائه حتى
يقتص منك او يجعل في حل وان عجزت فالرجوع الى الله تعالى والابتهال اليه ان
يرضيه عنك يوم القيمة واما العرض فان اغتبته او بهته او شتمته فحقك
ان تكذب نفسك بين يدي من فعلت ذلك عنده وان تستحل من
صاحبه ان امكنك هذا ان لم تخش زيادة غيظ او هيج فتنة في اظهار ذلك
او تجديده فان خشيت ذلك فالرجوع الى الله تعالى ان يرضيه عنك والاستغفار
الكثير لصاحبه واما الحرمة بان خنته في اهله وولده او نحوه فلا وجه للاستحلال
والاظهار فانه يولد فتنة وغيظا بل يتضرع الى الله سبحانه ليرضيه عنك

ويجعله خيرا كثيرا في مقابلته فان امنت الفتنة والهيج وهو نادر فتستحل منه واما
في الدين بان كفرته او بدعته او ضللته فهو اصعب الامر فتحتاج الى تكذيب نفسك
بين يدي من قلت ذلك له وان تستحل من صاحبك ان امكنك والا فالابتهال
الى الله سبحانه جدا والندم على ذلك ليرضيه عنك وجملة الامر فما امكنك
من ارضاء الخصوم عملت وما لم يمكنك راجعت الله سبحانه بالتضرع والصدق
ليرضيه عنك فيكون ذلك في مشية الله سبحانه يوم القيمة والرجاء منه
بفضله العظيم واحسانه العميم انه اذا علم الصدق من قلب العبد فانه يرضي
خصماءه من خزانة فضله ولا حكم فاعلم هذه جملة فهذه هذه فاذا انت
عملت ما وصفناه وبرات القلب عن اختيار مثله في المستقبل فقد خرجت
من الذنوب كلها وان حصلت منك تبرية القلب ولم يحصل منك
قضاء الفوايت وارضاء الخصوم والتبعات لازمة وساير الذنوب مغفورة
ولهذا الباب شرح يطول فلا يحتمله هذا المختصر وانظر كتاب التوبة من
كتب احياء علوم الدين اولا وكتاب القربة الى الله تانيا وكتاب الغاية
القصوى ثالثا تجد فوايد كثيرة وشرحا جما (اي كثير الفوايد) والذي ذكرناه هنا هو الاصل
الذي لا بد منه وبالله التوفيق **فصل** ثم اعلم يقينا ان هذه العقبة عقبة صعبة
امرها مهم وضررها عظيم فلقد بلغنا عن الاستاذ ابي اسحاق الاسفرايني
رضي الله عنه وكان من الراسخين في العلم العاملين انه قال دعوت الله

سبحانه ثلثين سنة ان يرزقني توبة نصوحا ثم تعجبت في نفسي وقلت سبحان
الله حاجة دعوت الله سبحانه فيها ثلثين سنة فما قضيت الى الان فرايت
فيما (يرى النايم كانه) قائلا يقول لي اتعجب من ذلك اتدري ما ذا تسال الله انما تسال الله ان يحبك
اما سمعت قول الله جل جلاله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين
اهذه حاجة هينة فانظر الى هؤلاء الايمة واهتمامهم ومواظبتهم على
صلاح قلوبهم والتزود لمعادهم **واما** ضرر المخوف فان اول الذنب
قسوة واخره والعياذ بالله شوم وشقوة فاياك ان تنسى امر ابليس
وبلعم ابن باعورا كان مبدا امرهما ذنبا واخره كفرا فهلكا مع الهالكين
ابد الابدين فعليك رحمك الله بالتيقظ والجهد عسى ان تقلع عن
عرق هذا الاصرار وتخلص رقبتك من هذه الاوزار ولا تامن قساوة
القلب من الذنوب وتامل حالك فلقد قال الصالحون ان سواد القلب
من الذنوب وعلامة سواد القلب ان لا يجد للذنوب مفزعا (اي خوفا) ولا للطاعة موقعا
ولا للموعظة منجعا ولا تستحقرن الذنوب فتحسب نفسك تايبا وانت
مصر على الكباير (اي اثرا) فقد بلغنا عن كهمس ابن الحسن انه قال اذنبت ذنبا انا ابكي
عليه منذ اربعين سنة قيل ما هو يا ابا عبد الله قال زارني اخ في الله
فاشتريت له سمكا فاكل ثم قمت الى حايط جاري فاخذت منه قطعة طين
فغسل بها يده فانقد نفسك وحاسبها وسارع الى التوبة وبادر فان

لاجل مكتوم والدنيا غرور فتضرع الى الله سبحانه وابتهل واذكر حال ابينا ادم عليه
السلام الذي خلقه الله سبحانه بيده وحمله الى جنته على اعناق الملائكة لم يذنب
الا ذنبا واحدا فنزل به ما نزل حتى روي ان الله تعالى قال له يا ادم اي جار كنت
لك قال نعم الجار يا رب قال يا ادم اخرج من جواري وضع عن راسك تاج
كرامتي فانه لا يجاورني من عصاني حتى انه فيما روي بكى على ذنبه مائتي سنة حتى
قبل توبته وغفر ذنبه الواحد هذا حاله مع نبيه وصفيه في ذنب واحد
فكيف حال الغير في ذنوب لا تحصى وهنا تضرع التائب وابتهاله فكيف
بالمصر المتعسف ولقد احسن من قال يخاف على نفسه من يتوب فكيف
ترى حال من لا يتوب وان تبت ثم نقضت التوبة وعدت الى الذنب
ثانيا فعد الى التوبة مبادرا وقل لنفسك لعلي اموت قبل ان اعود الى الذنب
هذه المرة وكذلك ثانيا وثالثا ورابعا وكما اتخذت الذنب والعود اليه
حرفة فاتخذ التوبة والعود اليها حرفة ولا تكن في التوبة اعجز منك في الذنب
ولا تيأس ولا يمنعك الشيطان من التوبة بسبب ذلك فانه دلالة
الخير اما تسمع قوله صلى الله عليه وسلم خياركم كل مفتن تواب
اي كثير الابتلاء بالذنب كثير التوبة منه والرجوع الى الله جل جلاله بالندامة
والاستغفار وتذكر قوله سبحانه ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله
غفورا رحيما فهذه فصل وجملة الامر انك اذا اردت

فراود قلبك عن الذنوب كلها بان توطنه على ان لا تعود الى الذنب ابدا البتة
لكن ما كان منك على وجه علم الله سبحانه وتعالى صدق عزمك
من قلب تقي وترضي الخصوم بما امكنك وتقضي الفوائت بما تقدر عليه
وترجع في الباقي الى الله سبحانه وتعالى بالابتهال والتضرع ليكفيك ذلك ثم تذهب
فتغتسل وتغسل ثيابك وتصلي اربع ركعات كما تجب وتضع وجهك
على الارض في مكان خال لا يراك فيه احد الا الله ثم تجعل التراب على راسك
وتمرغ وجهك الذي هو اعظم اعضائك في التراب بدمع جار وقلب حزين
وصوت عال تذكر ذنوبك واحدا واحدا ما امكنك وتلوم نفسك العاصية
عليها وتوبخها وتقول اما تستحي يا نفس اما آن لك ان تتوب الك طاقة
بعذاب الله سبحانه الك حاجة لسخط الله سبحانه وتذكر من هذا كثيرا وترفع
يديك الى الرب الرحيم سبحانه وتقول اللهم عبدك الآبق رجع الى بابك
عبدك العاصي رجع الى الصلح عبدك المذنب اتاك بالعذر فاعف
عني بجودك وتقبلني بفضلك وانظر الي برحمتك اللهم اغفر لي ما سلف من
الذنوب واعصمني فيما بقي من الاجل فان الخير كله بيدك وانت بنا رؤوف
الرحيم يا مجلي عظائم الامور يا منتهى همة المهمومين يا من اذا اراد امرا فانما
يقول له كن فيكون احاطت بنا ذنوبنا انت المذخور لها يا مذخورا لكل شدة
كنت اذخرك لهذه الساعة فتب علي انك انت التواب الرحيم ثم الزم البكاء

تقي
تجب

والتذلل وقل يا من لا يشغله سمع عن سمع يا من لا تغلطه المسائل يا من لا يبرمه الحاح
الملحين اذقنا برد عفوك وحلاوة مغفرتك برحمتك يا ارحم الراحمين انك على كل شئ
قدير ثم تصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله ثم تستغفر لجميع المسلمين
والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات فترجع الى طاعة الله عز وجل فتكون قد تبت
توبة نصوحا وقد خرجت من الذنوب طاهرا كيوم ولدتك امك واحبك
الله سبحانه ولك من الاجر والثواب وعليك من البركة والرحمة ما لا يحيط به
وصف واصف وحصل لك الامن والخلاص ونجوت من غصة المعاصي وبليتها في الدنيا
والآخرة ولنت قد قطعت هذه العقبة الصعبة باذن الله سبحانه وتعالى والله ولي
التوفيق والهداية بمنه وفضله تمت كتاب التوبة بعون الله وحسن توفيقه
والحمد لله رب العالمين والصلوة على رسوله محمد وآله اجمعين برحمتك
يا ارحم الراحمين **العقبة الثالثة** وهي عقبة العوائق ثم عليك
يا طالب العبادة وفقك بدفع العوائق لتستقيم عبادتك وقد ذكرنا
انها اربعة احدها الدنيا ودفعها انما هو بالتجرد عنها والزهد فيها وانما
لزمك هذا التجرد والزهد لامرين احدهما لتستقيم العبادة وتكثر فان
الرغبة في الدنيا تشغلك اما ظاهرك بالطلب او باطنك بالارادة و
حديث النفس وكلاهما يمنع عن العبادة فان النفس واحدة والقلب
واحد فاذا اشتغل بشئ انقطع عن ضده وان مثل الدنيا والآخرة كمثل الضر

ان ارضيت احدهما اسخطت الاخرى وانهما كالمشرق والمغرب بقدر ما تميل الى احد
اعرضت عن الاخر اما شغلها في الظاهر فقد روينا عن ابي الدرداء رضي الله عنه انه قال
حاولت ان اجمع بين العبادة والتجارة فلم يجتمعا فاقبلت على العبادة وتركت
التجارة وعن عمر رضي الله عنه لو كانتا مجتمعتين لاحد غيري لاجتمعتا لي
لما اعطاني الله سبحانه من القوة واللين فاذا كان الحديث كذلك فاعتبر
بالقائه والسلام واما شغلها في القلب وهو الباطن لمكان الارادة فيما روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من احب دنياه اضر باخرته ومن
احب آخرته اضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى فبان لك انه اذا اشتغل
ظاهرك بالدنيا وباطنك بارادتها فلا تتأتى لك العبادة حقها **واما** اذا زهدت
فيها فتفرغت بظاهرك وباطنك تتيسر لك العبادة بل تعاونك
اعضاؤك ولقد روي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه انه قال ان العبد
اذا زهد في الدنيا استنار قلبه بالحكمة وتعاونت اعضاؤه في العبادة
فمن هذه **والثاني** من الامرين انه يكثر قيمة عملك ويعظم قدره وشرفه
فلقد قال صلى الله عليه وسلم ركعتان من رجل زاهد قلبه خير و
احب الى الله تعالى من عبادة المتعبدين الى آخر الدهر ابدا سرمدا فاذا كانت
العبادة تكثر وتشرف بذلك فحق لمن طلب العبادة ان يزهد في الدنيا و
يتجرد عنها **فان قلت** فما معنى الزهد في الدنيا وحقيقة ذلك **فاعلم** ان الزهد

عند علمائنا رحمهم الله زهدان زهد مقدور للعبد وزهد غير مقدور فالذي
هو مقدور ثلثة اشياء ترك طلب المفقود من الدنيا وتفريق المجموع منها وترك
الارادة واختيارها **واما** الزهد الذي هو غير مقدور للعبد فهو برودة الدنيا
على قلب الزاهد ثم الزهد الذي هو مقدور للعبد بان لا يطلب ما ليس عنده من
الدنيا ويفرق ما عنده منها ويترك بالقلب الارادة واختيارها الا فانها و
رتبة تلك برودة الدنيا على قلبه لاجل الله وعظيم ثوابه وهذا عندي هو الزهد
الحقيقي **ثم اعلم** ان اصعب الامور الثلثة انما هو ترك الارادة بالقلب اذ كم تارك
لها بظاهره محب مريد لها بباطنه فهو في مكابدة ومقاساة في نفسه شديدة
فالشأن كله في هذه الم تسمع قول الله سبحانه تلك الدار الآخرة نجعلها للذين
لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا علق الحكم على نفي الارادة دون الطلب
والفعل للمراد وقوله تعالى عز وجل من قائل **من كان يريد حرث الآخرة نزد له
في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب**
وقوله تعالى **من كان يريد العاجلة** الآية وقوله تعالى **ومن اراد الآخرة** الآية فانما
ترى الشأن كله في الارادة فامرها المهم اذا تمكن العبد اذا واظب واستقام
على الاوليين اعني الترك والتفريق فما هو الا من فضل الله سبحانه ان يوفقه
لدفع هذه الارادة والاختيار عن قلبه فان المفضل الكريم جل وعز ثم التنبه
يبعث على الترك والتفريق ويهون عليك ذلك ذكر آفات الدنيا وعيوبها

وقد اكثر الناس القول في ذلك فقال بعضهم ترك الدنيا لقلة غنائها وكثرة عنائها
وسرعة فنائها وخسة شركائها قال الشيخ الامام رضي الله عنه لكن يتجئ من هذا
رائحة لان من يشكو فراق احد احب وصاله ومن ترك شيئا لمكان الشركاء
فيه اخذه لو انفرد به فالقول البالغ فيه ما قاله شيخنا رضي الله عنه ان الدنيا عدو
الله وانت محبه ومن احب احدا ابغض عدوه قال ولانها في اصلها وسخة
جيفة الا ترى ان آخرها الى القذر والفساد والتلاشي والاضمحلال لكنها جيفة بخرت
بطيب وطربت بزينة فاغتر بظاهرها الغافلون وزهد فيها العاقلون **فان
قيل** فما حكم الزهد في الدنيا اهو فرض ام نفل **فاعلم** ان الزهد يقع في الحلال
والحرام ففي الحرام فرض وفي الحلال نفل ثم منزلة هذا الحرام لمنتهى الطاعة
بمنزلة الميتة المستقذرة لا يقدم عليها الا عند الضرورة بمقدار دفع الضرر
واما الزهد في الحلال فانما يكون في منزلة الابدال يكون عندهم الحلال بمنزلة
الميتة لا ينالون منه الا قدرا لابد منه والحرام عندهم بمنزلة النار لا يخطر
ببالهم قصد تناولها بحال وهذا معنى البرودة على القلب بان تنقطع همته
عنها ويستقذرها ويستنكرها جدا فلا يبقى لها في قلبه اختيار ولا ارادة
فان قلت كيف يمكن ان تصير الدنيا وشهواتها ولذاتها العجيبة المطلوبة
عند الانسان بمنزلة النار وبمنزلة الجيفة المستخبثة والنبية بيننا والطبع
طبعنا **فاعلم** ان من وفق الله فهو الخاص وعلم آفاتها وقذرها في

اصلا فقصر عنه كذلك وانما يتعجب من هذا الراغبون العميان عن عيب
الدنيا وافاتها المغترون بظاهرها وزينتها وساضرب لك مثلا لذلك
فاعلم ان هذا مثل لانسان صنع خبيصا بشرايطه من السكر وغيره ثم طرح فيه
قطعة سم قاتل وابصر ذلك رجل ولم يبصره اخر ووضع الخبيص بين ايديهما
مزينا مزخرفا فالرجل الذي ابصر ما جعل فيه من السم يكون زاهدا في ذلك
الخبيص لا يخطر بباله ان يتناوله منه بحال البتة ويكون ذلك عنده بمنزلة التراب
بل اصعب لمكان ما يعلم من افته ولا يغتر بظاهره وزينته واما الرجل الاخر
الذي لم يبصر ما جعل فيه اغتر بظاهر الزخرف وحرص عليه ولم يصبر عنه واخذ
يتعجب من صاحبه الزاهد فيه وربما يسفهه في ذلك فهذا مثل حرام الدنيا مع
البصراء المستقيمين والجهال الراغبين فان لم يطرح فيه السم وبرق فيه وامتحط
ثم ضمخه وزينه فالرجل الذي شاهد منه ذلك الفعل يكون مستقذرا
اذ ذلك الخبيص زاهدا عنه لا يكاد يقدم عليه الا عند الضرورة وشدة
الحاجة اليه والذي لم يشاهد ذلك فهو جاهل لما فيه مغتر بظاهره
حريص عليه مكب معجب محب فهذا مثل حلال الدنيا مع الفريقين اهل
البصيرة والاستقامة واهل الرغبة والغفلة وانما اختلف حال الرجلين
مع تساويهما في الطبع والبنية لبصارة وعلم كان لاحدهما وجهل
وخفاء كان للاخر فلم علم الراغب وابصر ما علمه الزاهد لكان زاهدا

حتى

منه ولو جهل الزاهد وعمي عن ما عمي عنه الراغب كان مثله فعلمت بذلك
ان هذا التمييز لمكان البصائر دون الطبايع وهذا اصل مفيد وكلام
بين سديد اعترف به من عقل وانصف والله تعالى ولي الهداية والتوفيق
بفضله فان قيل فلا بد لنا من قدر من الدنيا ليكون قواما فكيف
نزهد فيها فاعلم ان الزهد في الفضول لعما لا تحتاج اليه في قوام البنية
فالمقصود القوام والقوة حتى يعبد الله سبحانه لا الاكل والشرب والتلذذ
والله تعالى ان شاء اقام بنيتك بسبب وان شاء اقامها بغير سبب
كالملائكة ثم ان كان ينبغي ان شاء بشيء حاصل عندك او بطلبك
او كسبك وان شاء بشيء يتسبب لك من حيث لا تحتسب من غير طلب
منك وكسب كما قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من
حيث لا يحتسب فاذا لا تحتاج بحال الى طلب وارادة فان لم تقو على ذلك
فطلبت واردت فانو بذلك التقوي على عبادة الله سبحانه دون الشهوة واللذة
فانك اذا نويت ذلك كان الطلب والارادة منك خيرا وطلبا للاخرة
لا للدنيا ولا يقدح في زهدك وتجردك فاعلم هذه الجملة راشدا وبالله
التوفيق العايق الثاني الخلق ثم عليك وفقك الله واياك لطاعته
بالتفرد عن الخلق وذلك لامرين احدهما انهم يشغلونك عن عبادة الله
تعالى على ما حكي عن بعضهم انه قال مررت بجماعة يترامون وواحد جالس

بعيدا منهم فاردت ان احلفه فقال لي ذكر الله اشهى الي من كلامك فقلت
وحدك فقال معي ربي وملكاي فقلت من سبق من هولا فقال من غفر الله له
فقلت اين الطريق فاشار بيده الى السما وقام وتركني فالخلق اذا يشغلونك
عن العبادة بل يمنعونك منها بل يوقعونك في الشر والهلاك علما قال
حاتم الاصم رحمه الله عليه طلبت من هذا الخلق خمسة اشيا فلم اجدها طلبت
منهم الطاعة والزهادة فلم يفعلوا فقلت اعينوني عليهما ان لم تفعلوا فلم يفعلوا
فقلت رضوا مني ان فعلت فلم يفعلوا فقلت لا تمنعوني عنهما اذا امتنعوا فقلت
لا تدعوني الى ما لا يرضي الله العظيم ولا تعادوني عليهما ان لم اتابعكم فلم يفعلوا
فتركتهم واشتغلت بخاصة نفسي واعلم ايها الاخ في الدين ان نبيك
محمدا صلى الله عليه وسلم وصف زمان العزلة وبين نعته ونعت
اهله وامر فيه بالتفرد وكان لا محالة اعلم بالمصالح وانصح لنا منا
لانفسنا فان وجدت زمانك على ما وصف وبين فامتثل امره صلى الله
عليه وسلم واقبل نصيحته ولا تشك فانه صلى الله عليه وسلم
كان اعرف بما يصلح لك في زمانك ولا تتعلل بالعلل الكاذبة ولا تخادع
نفسك ولا تفوت هالك ولا عذر لك والوصف الذي ذكرناه ما هو
في الخبر المشهور عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه انه قال
بينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ ذكر الفتنة فقال اذا رايتم

الناس مرجت عهودهم وخفت اماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين اصابعه
قلت ما اصنع يا رسول الله عند ذلك جعلني الله فداك قال الزم بيتك
واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بامر الخاصة
ودع عنك امر العامة وذكر في خبر اخر انه قال عليه السلام ذلك ايام الهرج
قيل وما ايام الهرج قال حين لا يامن الرجل جليسه وذكر عن ابن مسعود رضي
الله عنه في خبر اخر للحارث بن عميرة انه قال ان مد في عمرك فسياتي عليك
زمان كثير خطباؤه قليل علماؤه كثير سؤاله قليل معطوه الهوى
فيه قائد العلم قال ومتى ذلك قال اذا اميتت الصلوة وقبلت الرشا
ويباع الدين بعرض يسير من الدنيا فالنجا ويحك ثم النجا قلت وجميع
ما ذكر في هذه الاخبار تراه بعينك في زمانك واهله فانظر لنفسك
ثم ان السلف الصالح رضوان الله عليهم اجمعين اجمعوا على التحذير من
زمانهم واهله واثروا العزلة وامروا بذلك وتواصوا بها ولا شك
انهم كانوا ابصر وانصح وان الزمان لم يصر بعدهم خيرا مما كان بل
اشر وامر وهو ما ذكر عن يوسف بن اسباط انه قال سمعت
الثوري يقول والله الذي لا اله الا هو لقد حلت العزلة في هذا الزمان
قلت انا ولئن حلت في زمانه ففي زماننا هذا وجبت وافترضت
وعن سفيان الثوري ايضا انه كتب الى عباد الخواص اما بعد فانك

في زمان كان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم يتعوذون
بالله من ان يدركوه فيما بلغنا ولهم ما ليس لنا حين ادركنا على قلة علم
وقلة صبر وقلة اعوان على الخير وكدر من الدنيا وفساد من الناس
فان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال في العزلة راحة من خلطاء السوء
وفي مثل هذا قيل هذا الزمان الذي كنا نحاذره في قول كعب وفي قول ابن مسعود
اعمى واصم من الازمان ملتبس فيه لا يلبس تصويب وتصعيد ان دام هذا
ولم يحدث له غير لم يبك ميت ولم يفرح بمولود ولقد وجدت عن سفيان
بن عيينة انه قال قلت للثوري اوصني قال اقلل من معرفة الناس
قلت يرحمك الله قد جاء في الخبر اكثروا من معرفة الناس فان لكل مؤمن
شفاعة قال لا احسبك رايت قط ما تكره الا ممن تعرف قلت اجل ثم مات
فرايته بعد موته في المنام فقلت يا ابا عبد الله اوصني قال اقلل من معرفة
الناس ما استطعت فان التخلص منهم شديد وقد قيل في معنى هذا الخبر نظما
وما زلت مذ لاح المشيب بمفرقي افتش عن هذا الورى واكشف فما ان عرفت
الناس الا ذممتهم جزى الله خيرا كل من لست اعرف قال الفضيل في هذا زمان
احفظ لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر
وقال الثوري هذا زمان السكوت ولزوم البيوت والرضا بالقوت
الى ان يموت وعن داود الطائي انه قال صم عن الدنيا واجعل فطرك الاخرة

وفر من الناس فرارك من الاسد وعن ابي عبيد ما رايت حكيما قط الا قال
في عقيب كلامه ان احببت ان لا تعرف فانت الله على باله ولا غبار
في هذا الباب اكثر من ان يحتمله هذا الكتاب وقد صنفنا فيه كتابا اخلاق الابرار
والنجاة من الاشرار فقف عليه ترى العجب العجاب وللعاقل اشارة والله
ولي التوفيق والهداية بفضله **واما الخصلة الثانية** التي تقتضي التفرد
عن الناس في هذا الشان ان الناس يفسدون عليك ما تحصل لك
من العبادة ان لم يعصم الله سبحانه بسبب ما يعرض من قبلهم من دواعي
الرياء والتزين ولقد صدق يحيى بن معاذ حيث قال رؤية
الناس بساط الرياء وهؤلاء الزهاد قد خافوا على انفسهم من هذا المعنى
حتى تركوا الملاقات والتزاور ولقد ذكر ان هرم بن حيان لاويس القرني
رحمهما الله يا اويس صلنا بالزيارة واللقاء فقال اويس قد وصلتك
بما هو انفع لك منهما وهو الدعاء على ظهر الغيب لان الزيارة واللقاء
يعرض فيهما التزين والرياء **وقيل** لسليمان الخواص قدم ابراهيم بن ادهم
اولا تاتيه قال لان القى شيطانا ماردا احب الي من لقائه فاستنكروا
ذلك من قوله فقال اني اذا لقيته اخاف ان اتزين له فاذا لقيت شيطانا
امتنع منه ولقد لقي شيخ الامام بعض العارفين فتذاكرا مليا ثم دعيا في اخر
حديثهما وقال الشيخ للعارف ما اظنني جلست مجلسا طويلا انا ارجى من
مجلسي

هذا فقال له العارف لكني ما جلست انا اخوف من مجلسي هذا الست تقعد
الي احسن حديثك وعلومك فتحدثني بها وتظهرها بين يدي وانا كذلك
فقد وقع الرياء قبلي سنين الامام مليا ثم غشي عليه وكان بعد ذلك
يتمثل بهذه الابيات • يا ويلتي من موقف ما به • اخوف من ان يعدل الحاكم •
ابادرنا الله بعصياننا • وليس لي من دونه راحم • يا غفوا منك عن مذنب
اسرف الا انه نادم • فهذه حال اهل الزهد والزيادة في ملاقاتهم فكيف
حال اهل الرغبة والبطالة بل حال اهل الشر والجهالة واعلم ان الزمان قد
اصبح في فساد عظيم واصبح الناس في ضرر كبير فانهم يشغلونك
عن عبادة الله حتى لا يكاد يحصل لك منها شيء ثم يفسدون عليك
ما حصل لك حتى لا يكاد يسلم لك شيء فلزمتك العزلة والتفرد عن
الناس والاستعانة بالله تعالى من شر هذا الزمان واهله والله تعالى الحافظ
بفضله ورحمته فان قيل فما حكم العزلة والتفرد عن الناس فبين لنا
حال الطبقات للخلق فيها والحد الذي يجب منها فاعلم رحمك الله وايانا
ان الناس في هذا الباب رجلان رجل لا حاجة للخلق اليه في علم وبيان
حكم فالاولى بهذا الرجل التفرد عن الناس فلا يخالطهم الا في جمعة او
جماعة او عيد او حج او مجلس علم بالسنة او حاجة في معيشة لا بد له
من ذلك والا فيواري شخصه ويلزم كنه لا يعرف فاما انا احسب

هذا الرجل ان ينقطع عن الناس فلا يخالطهم في امر من الامور البتة من دين ودنيا
وجمعة وجماعة وغيرها لما يرى له في ذلك من مصلحة وفراغة فانه لا يسعه
له ذلك الا باحد امرين اما ان يصير الى موضع لا يلزمه هنالك هذه الفروض
كرؤس الجبال وبطون الاودية ونحوها ولعل هذا احوال جوه التي دعت العباد
الى تلك المواضع البعيدة واما ان يتقي بالحقيقة ان الضرر الذي يلحقه
في مخالطة الناس بسبب هذه الفروض اعظم من تركها فحينئذ يكون له عذر
في ذلك ولقد رايت انا بمكة حرسها الله بعض المشايخ المتفردين من اهل العلم
وهو لا يحضر المسجد الحرام في الجماعة مع قربه منه وسلامة حاله فجاورته
يوما في ذلك في حال ترددي اليه فذكر من عذره ما اشرنا اليه وهو ان ما يجمع
من الثواب لا يفي بما يلحقه من الآثام والتبعات في الخروج الى المسجد و
لقاء الناس قلت انا وجملة الامر فلا عتب على المعذور والله تعالى اولى بالعذر
وهو عليم بذات الصدور ولكن الطريق العدل فيه هو ان لا
يشارك الناس في الجمعة والجماعة وضروب الخيرات ويباينهم فيما سوى
ذلك فان احب الطريق الثاني بان ينقطع عن الناس جملة فسبيله
الخروج الى موضع لا يتوجه اليه هذه الفروض ثم لان الطريق الثالث
فيما ان يكون مع الناس في مصر واحد لا يحضر جمعة ولا جماعة لعذر يراه
في ذلك من وزر وتبعة عليه فانه يحتاج الى نظر دقيق وعوارض عظيمة

حتى يسقط عند ذلك وفيه خطر من الغلط فالانفراد اسلم واحفظ والله
ولي الهداية واما الرجل الثاني فرجل يكون قدوة في العلم بحيث يحتاج الناس
اليه في امر دينهم لبيان حق او رد على مبتدع او دعوة الى الخير بفعل او بقول
او نحو ذلك فلا يسع مثل هذا الرجل الاعتزال عن الناس بل ينتصب بنفسه
ناصحا بينهم لخلق الله ذابا عن دين الله مبينا لاحكام الله فلقد روينا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا ظهرت البدع وسكت العالم
فعليه لعنة الله هذا اذا كان بينهم واذا خرج من بينهم فلا يجوز له ايضا
ولقد حكي ان الاستاذ ابا بكر بن فورك رحمه الله قصد ان ينفرد لعبادة الله
عن الخلق فبينما هو في بعض الجبال اذ سمع صوتا ينادي يا ابا بكر
اذ صرت من حجج الله على خلقه تركت عباد الله فرجع الى مكانه وكان هذا
سبب صحبته للخلق وذكر لي مامون بن احمد ان ابا اسحق قال لعباد جبل
لبنان يا اكلة الحشيش تركتم امة محمد صلى الله عليه وسلم في ايدي المبتدعة
واشتغلتم ههنا باكل الحشيش قالوا انا لا نقوى على صحبة الناس
وانما اعطاك الله قوة فيلزمك ذلك فصنف بعد ذلك كتاب الجامع
الجلي والخفي وكان لهم رضي الله عنهم مع غزارة علمهم العمل الجم والنظر
الدقيق في سلوك طريق الاخرة فاعلم ان مثل هذا الرجل المحتاج اليه في باب
الدين يحتاج في صحبة الخلق الى امرين شديدين احدهما صبر طويل وحلم عظيم

ونظر لطيف واستعانة بالله دائمة والثاني ان يكون في هذا المعنى منفردا عنهم
وان كان بالشخص معهم فان كلموه كلمهم وان زاروه زارهم وان عظموه عرف قدرهم و
شكرهم وان سكتوا عنه واعرضوا استغنم ذلك منهم وان جهلوا عليه وفق
ساعدهم وان ماروا الى اللغو وتشاغلوا تجنبهم وهاجرهم بل رد عليهم وزجرهم
الا رجاء قبولهم ثم يقوم بجميع حقوقهم من الزيارات والعيادات
وقضاء الحاجات التي ترفع اليه ما امكنه ولا يطالبهم بالمكافات
ولا يرجو ذلك منهم ولا يريهم من نفسه استثقالا لذلك ويبسطهم
بالبذل اذا قدر وينقبض عنهم في الاخذ ان اعطي ويحتمل منهم الاذى ويظهر لهم البشر
ويجمل لهم بظاهره ويكتم حاجته عنهم فيقاسيها ويعالجها في سره وباطنه
ثم يحتاج مع ذلك ان ينظر لنفسه خاصة فيجعل لها حظا من العبادة
الخالصة كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان نمت الليل لاضيعن نفسي
وان نمت النهار لاضيعن الرعية فكيف لي بالنوم بين هاتين وفي هذا
المعنى عرضت ابيات • فان كنت في هذي الائمة راغبا • فوطن
على ان تكبت الوقايع • بنفس وقور عند كل ملمة • وقلب
صبور وهو في الصدر رابع • لسانك مخزون وطرفك ملجم • وسرك
مكتوم لدى الرب ذايع • وذكرك معمور وبابك مغلق • وثغرك
بسام وبطنك جايع • وقلبك مجروح وسوقك كاسد • وفضلك

مدفون وطعنك شايع • وفي كل يوم انت جارع غصة • من الدهر
والاخوان والقلب طايع • تنازلك شغل الناس من غير منة • وليلك
شوق غاب عنه (بسبب الفقد) بيع • فدونك هذا البلي خذ ذريعة • ليوم عبوس
عز فيه الذرايع • نعم فالنفس معهم والقلب ما بعد عنهم وذلك
لعمري امر شديد وعيش نكد وفيه يقول شيخنا رحمة الله عليه في وصيته
يا بني عش مع اهل زمانك ولا تعتد بهم ثم قال ما اشد هذا لعيش مع الاحياء
والالتقاء بالاموات وعن ابن مسعود رضي الله عنه خالط الناس وزايلهم
ودينك ولا تكلمنه فهذه نكتة مقنعة ثم اقول اذا ماج الفتن بعضها في بعض
وتراجع الامر وولي الناس عن امر الدين مدبرين لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة
ولا يطلبون عالما ولا يرمقون مفيدا ولا يعنيهم امر الدين البتة وزيد
الفتنة نعمة العامة وتدب بين الخاصة فللعالم العذر في العزلة والتفرد
ودفن العلم واخفا فان ما ذكرناه هو هذا لزمان النكد الصعب والله
المستعان وعليه التكلان فهذا حكم العزلة والتفرد عن الناس فافهم فان
الغلط فيه عظيم وضرره كثير وبالله التوفيق فان قيل اليس النبي
يقول عليكم بالجماعة فان يد الله على الجماعة وان الشيطان ذيب الانسان
ياخذ الشاذة والناحية والقاصية وقال ان الشيطان مع الفذ وهو من
الاثنين ابعد واعلم ان هذه وردت وورد ايضا الزم بيتك وعليك

بالخاصة

بالخاصة وامر بالعزلة والتفرد في زمان الشر ولا تناقض في قوله صلى الله عليه وسلم
ولا بد من الجمع بين الحديثين بعون الله وتوفيقه فاقول قوله صلى الله عليه وسلم
عليكم بالجماعة يحتمل ثلثة اوجه احدها ان يعني به في الدين والحكم اذا اجتمع
هذه الامة على ضلالة في حق الاجماع والحكم بخلاف ما عليه جمهور الامة
والشذوذ عنهم باطل وضلال واما ان يعتزل عنهم لصلاح في دينه فليس
هذا من ذلك في شيء والثاني عليكم بالجماعة بان لا تنقطعوا عنهم في جمعهم وجماعتهم
ونحوهم فان فيها قوة الدين وجمال الاسلام وغيظ الكفار والملحدين
ولا يخلوا ذلك من بركات ونظر من الله بالرحمة ولذلك نقول
ان حق المنفرد ان يشارك الناس في الجموع العامة والخير وان يجانبهم
في الصحبة والمزاحمة في ساير الامور لما فيها من ضروب الافات
والثالث ان ذلك في غير زمان الفتنة للرجل الضعيف في امر
الدين واما الرجل البصير القوي في امر الله تعالى اذا راى زمان الفتنة
الذي حذر النبي صلى الله عليه وسلم الامة منه وامرهم بالعزلة فالعزلة له
اولى لما في الخلطة من الفساد والافة وان لا ينقطع من جموع الاسلام
بعض والخيرات العامة وان اراد ان ينفرد عن الناس بمرة فليسكن بشعب
جبل او بطن فلاة لصلاح براه في دينه ثم قلت ولا ارى مثل هذا الرجل
م ابن ماكان الا ويمكنه الله من حضور الجماعات والجمع وساير جموع الاسلام

فيحصل لتلاميذه الحظ منها ايضا فان جموع الاسلام من الله بمكان وان تغير
الناس وفسدوا كذا سمعنا من حال الابدال انهم يحضرون جموع الاسلام اين
ما كانت ويسيرون من الارض حيث ما شاؤوا وان الارض لهم قدم واحد
وفي الاخبار ان الارض يطوى لهم وينادون بالتحيات ويتحفون بانواع
البر والكرامات فهنيئا لهم بما ظفروا به واحسن الله عزاء من غفل
عن النظر في خلاص نفسه واعان الطالب الذي لم يصل الى المقصود كما انا
ولقد عرض لي في صفته حالي ابيات من الشعر وهي ۞ ظفر الطالبون واتصل
الوصل ۞ وفاز الاحباب بالاحباب ۞ وبقينا مذبذبين حيارى ۞
بين حد الوصال والاجتناب ۞ نرتجي القرب بالبعاد وهذا ۞ نفس
حال المحال بالالباب ۞ فاسقنا منك شربة تذهب ۞ الغم وتهدي
الى طريق الصواب ۞ يا طبيب السقام يا مرهم الجرح ۞ ويا منقذي
من الاوصاب ۞ ولنقبض عنان الجنان ونرجع الى المقصود من شان
العزلة فقد خرجنا عن شرط الباب فان قيل أليس قد قال صلى الله عليه
وسلم رهبانية امتي الجلوس في المساجد وقد زجر عن التفرد واعلم ان
ذلك في غير زمن الفتنة لما ذكرناه وايضا فانه يجلس في المسجد
ولا يخالط الناس ولا يداخلهم فيكون بالتخصص معهم وفي المعنى منفردا
وهذا هو المعنى في العزلة والتفرد الذي نحن في شرحها التفرد بالتخصص

والمكان

والمكان فافهم ذلك يرحمك الله وفيه يقول ابراهيم بن ادهم رحمه الله كن واحدا
جامعا ومن ذئب ذا انس ومن الناس وحشيا فان قيل فما تقول
في رباطات مدارس علماء الاخرة ورباطات الصوفية سالكي طريق الاخرة والكون
فيها فاعلم ان ذلك الطريقة المثلى في هذا الشان لعامة اهل العلم والاجتهاد
وذلك انها جمعت المعنيين والفايدتين اللتين احدهما العزلة
عن الناس والتفرد عنهم بالصحبة والمخالطة والمزاحمة في امورهم و
الثانية المشاركة معهم في جمعهم وجماعتهم وتكثير شعار الاسلام
فيحصل السلامة التي هي للمتفردين والخير الكثير الذي هو لعامة المسلمين
مع ما للناس فيهم من العبرة والبركة والنصيحة فصار الكون فيها
اعدل طريق واحسن حال واسلم سبيل ولهذا الشان اقام اكثر العارفين
بين الناس لينفعهم لعبادة الله في باب الدين وقد اذاهم ومشاهدة
الخلق لادابهم وحسن رسومهم ليقتدوا بهم فان لسان الحال
افصح من لسان المقال فصار ذلك احسن تدبير في امر الدين للعلم و
العبادة واحكم راي فان قيل فما حال المريد مع المجتهدين والمرتاضين
الصحبة ام يعتزلهم فاعلم انهم اذا كانوا ثابتين على رسومهم الاولية
وسيرهم المروية عن سلفهم فهم اجل اخوان في الله عز وجل واصحاب
واعوان على عبادة الله سبحانه فلا تسعك عنهم عزلة وتنزه وانما

منهم مثل ما نسمع من زهاد لبنان وغيرهم ان منهم جماعات يتعاونون
على البر والتقوى ويتواصون بالحق والصبر واذا تغيروا وزلوا رسوهم
واخذوا بطريقتهم المودونة عن اسلافهم الصالحين فحكم هذا المجتهد
المرتاض معهم كحكمه مع ساير الناس يلزم زاويته ويكف لسانه ويشاركهم
في خيراتهم ومحابهم في ساير احوالهم واوقاتهم فيكون هو في عزلة من اهل
العزلة منفردا عن المنفردين فان قلت فان اختار هذا المجتهد المرتاض ان
يخرج من بينهم الى مكان اخر لصلاح يراه في نفسه وتجنب افة تدخل
عليه في صحبتهم فاعلم ان هذه المدارس والرباطات بمنزلة حصن
يتحصن بها المجتهدون عن القطاع والسراق وان الخارج بمنزلة الصحرا
يدور فيه فرسان الشياطين عسكرا عسكرا فيسلبه او يستاسره
فكيف حاله اذا خرج الى الصحراء وتمكن العدو منه من كل جانب
يعمل به ما شاء فاذا ليس لهذا الضعيف الا لزوم الحصن واما الرجل
القوي البصير الذي لا يغلبه الاعداء واستوى عنده الحصن والصحراء
فلا عليه اذا خرج غير ان الكون في الحصن احوط على كل حال اذ لا يومن
من الغفلات والاتفاقات السو واذا كان الامر بهذه المثابة فالكون مع
رجال الله والصبر على مشقة الصحبة اولى للمرتاض وطالب الخير
بكل حال وان لا مانع للتقوى البالغ مبلغ الاستقامة عن التفرد منهم

فاعلم بهذه الجملة ونادها تغنم وتسلم ان شاء الله عز وجل فان قيل فما
تقول في زيارة الاخوان في الله عز وجل ومواصلة الاصحاب بالتلاقي
والتذكر فاعلم ان زيارة الاخوان في الله تعالى من جواهر عبادة الله سبحانه
وفيها الزلفة الكريمة الى الله عز وجل مع ما فيها من ضروب
الفوايد وصلاح القلب ولكن بشرطين احدهما ان لا تخرج في ذلك الى الاكثار
والافراط قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي هريرة رضي الله عنه زر غبا تزدد
حبا والثانية ان تحفظ حق ذلك بالتجنب عن الريا والتزين وفضول
اللغو والغيبة ونحو ذلك فيعود ذلك عليك وعلى اخيك الوبال
ولقد حكي ان الفضيل وسفيان رحمهما الله تذاكرا فبكيا فقال سفيان
يا ابا علي ارجو انا ما جلسنا مجلسا ارجى لنا من هذا فقال الفضيل ما جلست
مجلسا اخوف علي من هذا قال وكيف يا ابا علي قال الست عمدت الى احسن ما عندك
فتحدثني به وانا عمدت الى احسن ما عندي فحدثتك به فتزينت لي وتزينت
لك فبكى سفيان فيجب ان يكون مجالستك الاخوان وملاقاتهم على مقدار
قصد واحتياط ونظر لطيف فلا يقدح ذلك حينئذ في عزلتك
وتفردك عن الناس ولا يعود عليك وعلى اخيك بضرر واف بل بخير
كثير ونفع عظيم والله الموفق فان قلت فما يبعثني على العزلة عن الناس
والتفرد ويهون علي ذلك فاعلم ان الذي يهون ذلك عليك ثلثة امور

احدها استغراق اوقاتك في العبادة فان في العبادة شغلا وان الاستيناس
بالناس من علامة الافلاس فاذا رايت نفسك تطلع الى كلام الناس
وملاقاتهم من غير حاجة وضرورة فاعلم ان ذلك فضول ساق الفراغ
والبطر ولقد احسن من قال في هذا المعنى ان الفراغ الى سلامك
فادرو لربما عمل الفضول الفارغ فاذا اذاقت العبادة حقها وجدت
حلاوة النجاة واستانست بكتاب الله سبحانه واشتغلت عن الخلق واستو
حشت عن صحبتهم وكلامهم وفي الخبر ان موسى عليه السلام كان اذا رجع عن المنا
جاة يستوحش من الناس وكان يجعل اصبعيه في اذنيه لئلا يسمع
كلامهم وكان كلامهم عنده في النفور والوحشة في ذلك الوقت كاصوات
الحمير وعليك بما قال شيخنا رضي الله عنه اتخذ الله صاحبا وذر الناس
جانبا والثاني قطع الطمع عنهم بحيث يهون عليك امرهم لانه من لا ترجو نفعه
ولا تخاف ضره فوجوده وعدمه سواء والثالث تبصر آفاتهم وتتذكر
ذلك وتكرره على قلبك فان هذه الاذكار الثلثة اذا لزمتها طردتك
عن صحبة الخلق الى باب الله تعالى والتفرغ لعبادته وحببت اليك
والزمتك بابه وبالله التوفيق والعصمة العايق الثالث الشيطان
ثم عليك يا اخي بمحاربة الشيطان وقهره وذلك لخصلتين احدهما انه عدو
لا مطمع فيه لمصالحة والتقاء دونه لا يقنعه الا هلاكك فلا وجه اذا للامن

من مثل هذا العدو والغفلة عنه وتامل اثنين من كتاب الله سبحانه احدهما
قوله سبحانه الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو
مبين والثانية قوله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وهذا في
التحذير وغايته والخصلة الثانية انه مجبول على عداوتك ومنتصب
ابدا لمحاربتك في اناء الليل واطراف النهار يرميك بسهامه وانت غافل فكيف
تكون الحال ثم وقعت معك نكتة اخرى وهي انك في عبادة الله تعالى ودعوة
الخلق الى باب الله سبحانه وتعالى بفعلك وقولك وهذا ضد صنع الشيطان
وهمته ومراده فصرت كانك قمت وشددت وسطك لتغايظ
الشيطان وتكايده وتناقضه فهو ايضا يشد وسطه ليعاديك
يقاتلك ويماكرك حتى يفسد عليك شانك بل حتى يهلكك راسا اذ لا يأبه
من جانبك بعد فانه الذي يسعى ويقصد بالهلاك الى من لا يغايظه ولا
يناقضه بل يصادقه ويوافقه كالكفار واهل الضلالة واهل الرغبة في بعض
الاحوال فكيف تصدى لمن قام بمغايظته وتجرد لمناقضته فله اذا مع سائر
الناس عداوة عامة ومعك انما المجتهد في العبادة والعلم عداوة خاصة
وان امرك لمهم ومعه عليك اعوان اشدها عليك نفسك
وهواك وله اسباب ومداخل وابواب انت عنها غافل ولقد صدق
يحيى بن معاذ الرازي حيث قال الشيطان فارغ وانت مشغول

نكتة اي آفة
اي التخاصم
اي اصلا

والشيطان يراك وانت لا تراه وانت تنساه وهو لا ينساك ومن نفسك
الشيطان عليك عون فلا بد من محاربته وقهره والا فلا تامن الفساد
والهلاك فان قيل فباي شي احارب الشيطان وباي شي اقهره فادفعه
فاعلم ان اهل هذه الصناعة في هذه المسألة طريقين احدهما ما قال
بعضهم ان التدبير في دفع الشيطان الاستعاذة بالله تعالى سبحانه لا غير فان
الشيطان كلب سلطه الله عليك فان اشتغلت في محاربته ومعالجته
تعبت وضاع عليك وقتك وربما يظفر بك فيعقرك ويجرحك
فان الرجوع الى رب الكلب ليصرفه عنك اولى والثاني ما قال الاخرون ان
الطريق المجاهدة والقيام عليه بالدفع والرد والمخالفة والذي عندي ان الطريق
العدل الجامع في امر ان تجمع بين الطريقين فنستعيذ بالله تعالى اولا منه
كما امرنا وهو الكافي منه ثم ان رايناه يتغلب علينا وعلمنا انه ابتلاء
من الله تعالى ليرى صدق مجاهدتنا في امر الله تعالى وصبرنا كما انه
يسلط علينا الكفار مع قدرته على كفاية امرهم وشرهم ليكون لنا حظ
من الجهاد والصبر والتمحيص والشهادة كما قال الله تعالى وليعلم الله الذين والتمحيص خ
امنوا ويتخذ منكم شهداء وقال الله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة
ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين
فكذلك هنا ثم ان محاربته وقهره فيما قال علماؤنا رضي الله عنهم في ثلثة

اشياء احدها ان تعرف وتتعلم مكايده وحيله فلا يتجاسر حينئذ عليك
كاللص اذا علم ان صاحب الدار قد احس به (اي لا يجترئ) الثاني ان تستخف
بدعوته فلا تعلق قلبك بذلك وتتبعه فانه بمنزلة الكلب النابح ان اقبلت
عليه ولع بك ولج وان اعرضت عنه سكت الثالث ان تديم ذكر الله بلسانك لكن ينبغي ان تعرض عنه صح
وقلبك فلقد قال صلى الله عليه وسلم ان ذكر الله تعالى في جنب
الشيطان كالاكلة في جنب ابن ادم فان قلت فكيف نعلم مكايده وكيف
الطريق الى معرفة ذلك فاعلم ان له وساوس هي بمنزلة السهام التي يرميها
وذلك انما يتبين لك بمعرفة الخواطر واقسامها والثاني ان له حيلا بمنزلة
الشبكات التي ينصبها وذلك يتبين بمعرفة المكايد واوضاعها ومجاريها
ولقد ذكر علماؤنا رضي الله عنهم ابوابا في الخاطر وقد صنفنا كتابا سميناه
تلبيس ابليس وكتابنا هذا لا يحتمل الاكثار لكنا نذكر لك ان شاء الله من
كل واحد منها اصلا كافيا اذا اعتصمت به فاما اصل الخواطر فاعلم ان الله
تعالى وكل بقلب ابن ادم ملكا يدعو الى الخير يقال له الملهم ولدعوته الهام
وسلط الله في مقابلته شيطانا يدعو العبد الى الشر يقال له وسواس
ولدعوته وسوسة فالملهم لا يدعو الا الى الخير والوسواس لا يدعو الا الى الشر
في قول اكثر علمائنا رضي الله عنهم وقد حكي عن شيخنا رحمة الله عليه
ان الشيطان ربما يدعو الى الخير وقصده في ذلك الشر بان يدعو الى المفضول

يمنعه عن الفاضل ويدعوه الى الخير ليجره الى ذنب عظيم لا يفي خيره بذلك
الشر من عجب او غيره فهذان داعيان قايمان على قلبه يدعوانه وهو يسمع
قلبه يحس بذلك على ما روي في الاخبار انه اذا ولد لابن ادم مولود قرن الله
سبحانه به ملكا وقرن الشيطان به فالشيطان جاثم على اذن قلب
ابن ادم الايسر والملك جاثم على اذن قلبه الايمن فهما يدعوانه وقال
النبي صلى الله عليه وسلم للشيطان لمة بابن ادم وللملك لمة يعني نزلة
بالدعوة عن قولهم لم بالمكان والم به اذا نزل به ثم ركب الله تعالى في بنية
الانسان طبيعة مايلة الى الشهوات ونيل اللذات كيف كانت من حسن
او قبيح فذلك هوى النفس الصارفة الى الافات فهذه ثلثة دعاة
ثم اعلم بعد هذه المقدمة ان الخواطر هي افعال تحدث في قلب العبد
تبعثه على الافعال والتروك وتدعوه اليها وسميت خواطر لاضطرابها
من خطرات الرمح ونحوها وحدوثها جميعا في قلب العبد بالحقيقة
من الله تعالى لكنها اربعة اقسام منها ما يحدثه الله تعالى في القلب
ابتداء فيقال له الخاطر فقط وقسم يحدثه موافقا لطبع الانسان فيقال له
هوى النفس وينسب اليه وقسم يحدثه عقيب دعوة الملهم فينسب
اليه فيقال له الالهام وقسم يحدثه عقيب دعوة الشيطان فينسب
اليه ويقال له الوسوسة وينسب اليه بانها خواطر من الشيطان وانما هي

في الحقيقة حادثة عند دعوته فهو كالسبب في ذلك ولكنه ينسب اليه فهذه
اربعة اقسام من الخواطر ثم اعلم بعد هذا التقسيم ان الخاطر الذي من قبل
الله تعالى ابتداء قد يكون بخير اكراما والزاما للحجة وقد يكون بشر امتحانا
وتغليظا للمحنة والخاطر الذي يكون من قبل الملهم لا يكون الا بخير اذ هو
ناصح مرشد لم يرسل الا لذلك والخاطر الذي من قبل الشيطان لا يكون
الا بشر اغواء واستزلالا وربما يكون بالخير مكرا واستدراجا والذي
يكون من قبل هوى النفس يكون بالشر وبما لا خير فيه تمتعا وتعسفا
ولقد وجدت عن بعض السلف ان هوى النفس ايضا قد يدعوا الى الخير و
المقصود منه شر كالشيطان فهذه انواعها ثم بعد هذه انك
تحتاج الى معرفة ثلثة فصول لا بد لك منها البتة وفيها المقصود احدها
الفرق بين خاطر الخير وبين خاطر الشر في الجملة والثاني الفرق بين
خاطر شر ابتدائي او شيطاني او هوائي ماذا يفرق بينهما فان لكل وا
حد منها دفعا من نوع اخر والثالث الفرق بين خاطر خير ابتدائي والهامي
او شيطاني او هوائي ليسمع ما يكون من الله تعالى او من الملهم ويجتنب
ما يكون من الشيطان وكذلك الهوى على قول من يقول به فاما الفصل الاول
فقال علماؤنا رضي الله عنهم اذا اردت ان تعرف خاطر الخير من خاطر الشر
وتفرق بينهما فزنه باحد الموازين الاربعة يتبين لك حاله فالاول

ان تعرض الامر الذي خطر ببالك على الشرع فان وافق جنسه فهو خير
وان كان بالضد برخصة او شبهة فهو شر فان لم يتبين لك بهذا الميزان
فاعرضه على الاقتداء فان كان في فعله اقتداء بالصالحين فهو خير وان كان
بالضد اتباعا للطالحين فهو شر وان لم يتبين لك بهذا الميزان فاعرضه
على النفس والهوى فانظر ان كان مما تنفر عنه النفس نفرة طبع لا نفرة خشية
وترهيب فاعلم انه خير وان كان مما تميل اليه النفس ميل طبع وجبلة
لا ميل رجاء الى الله عز وجل وترغيب فهو شر اذ النفس امارة بالسوء
لا تميل باصلها الى خير فباحد هذه الموازين اذا نظرت وانعمت
النظر يتبين لك الخاطر الخير من خاطر الشر والله ولي الهداية بفضله
انه جواد كريم واما الفصل الثاني اذا اردت ان تفرق بين خاطر شر
يكون من قبل الشيطان وبين خاطر شر يكون من قبل هوى النفس او
من قبل الله تعالى ابتداء فانظر فيه من ثلثة اوجه احدها ان وجدته
مصمما راتبا على حالة واحدة فهو من الله تعالى او من هوى النفس وان
وجدته مترددا مضطربا فاعلم انه من الشيطان وكان بعض العارفين
رحمه الله يقول مثل هوى النفس مثل النمر اذا حارب لا ينصرف الا بغنم بالغ
وقهر ظاهر ومثل الخارجي الذي يقاتل تدينا لا يكاد يرجع حتى يقتل و
مثل الشيطان مثل الذيب ان طرد من جانب دخل من جانب آخر

وثانيها ان وجدته عقيب ذنب احدثته فهو من الله تعالى اهانة و
عقوبة بشؤم ذلك الذنب قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما
كانوا يكسبون قال شيخ الامام هكذا يؤدي الذنوب الى قسوة القلب
اولها خاطر ثم يؤدي الى الفسوق والرين وان كان هذا الخاطر مبتدا ا
لا عقيب ذنب كان منك فاعلم انه من قبل الشيطان بمذاق الاكثر لانه
يبتدئ بدعوة الشر ويطلب الاغواء بكل حال والثالث انه وجدته لا
يضعف ولا يفتر بذكر الله تعالى ولا يزول فهو من الهوى وان وجدته يضعف
ويقل بذكر الله فهو من الشيطان كما ذكر في تفسير قوله تعالى من شر
الوسواس الخناس ان الشيطان جاثم على قلب ابن ادم اذا ذكر الله تعالى
خنس وان غفل وسوس واما الفصل الثالث اذا اردت ان تفرق
بين خاطر خير يكون من الله تعالى سبحانه او من الملك فانظر في ذلك
من ثلثة اوجه فان كان قويا مصمما فهو من الله تعالى
وان كان مترددا فهو من الملك اذ هو بمنزلة ناصح يدخل معك
من كل وجه يعرض عليك من كل نصح رجاء اجابتك
ورغبتك في الخير والثاني ان كان عقيب اجتهاد منك وطاعة فهو من
الله تعالى وقال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
والذين اهتدوا زادهم هدى وان كان مبتدا فهو من الملك

في الأغلب والثالث ان كان في الأصول والأعمال الباطنة فهو من الله سبحانه
وان كان في الفروع والأعمال الظاهرة فهو من الملك في الأكثر اذ الملك
لا سبيل له الى معرفة باطن العبد في قول الأكثر واما خاطر الخير الذي يكون من
قبل الشيطان استدراجا الى الشر الذي عليه فلقد قال شيخنا رحمه الله
انظر ان وجدت نفسك في ذلك الفعل الذي خطر بقلبك مع نشاط لا مع
خشية ومع عجلة لا مع تأن ومع امن لا مع خوف ومع عمى العاقبة
لا مع بصيرة فاعلم انه من الشيطان فاجتنبه وان وجدت
نفسك ضد ذلك مع خشية لا مع نشاط ومع تأن لا مع عجلة ومع
خوف لا مع امن ومع بصائر العاقبة لا مع عمى فاعلم انه من الله او
من الملك قلت انا وكان النشاط خفة في الانسان للفعل من غير بصيرة
وذكر ثواب ينشطه في ذلك واما التأني فمحمود الا في مواضع معلومة معدودة نخ
وذكر في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم العجلة من الشيطان
الا في خمسة تزويج البكر اذا ادركت وقضاء الدين اذا وجب
وتجهيز الميت اذا مات وقرى الضيف اذا نزل والتوبة من الذنب
اذا اذنب واما الخوف فيحتمل ان يكون في اتمامه واداته على وجهه وحقه
وقبول الله تعالى اياه واما بصائر العاقبة بان يتبصر ويتيقن انه
رشد وخير ويحتمل لرؤية الثواب في العقبى ورجائه فاعلم ذلك

موفقا فهذه الفصول الثلاثة التي لزمتك معرفتها في فصل الخواطر فارعها وانعم النظر
فيها ما استطعت فانها من العلوم اللطيفة والأسرار الشريفة في هذا الباب والله
الموفق بفضله واما فصل الحيل والمخادعات من الشيطان فيجري ذلك
ومثاله ان مكايد الشيطان مع ابن ادم في الطاعة من سبعة اوجه احدها ان
ينهى عنه فان عصمه الله ورده بان قال اني لمحتاج اليه لك حينا انه لا بد من التزود
من هذه الدنيا الفانية للآخرة التي لا تنقضي ثم يأمر بالتسويف فان عصمه الله
ورده بان قال ليس اجلي بيدي واني ان سوفت عمل اليوم الى الغد فعمل
الغد متى اعمله فان لكل يوم عملا ثم يأمر بالعجلة فيقول اعجل اعجل لتتفرغ لكذا
وكذا فان عصمه الله تعالى ورده بان قال قليل العمل مع التمام خير من
كثير مع النقصان ثم يأمر باتمام العمل مراءاة للناس فان عصمه الله
تعالى ورده بان قال اي شيء اعمل بمراءاة الناس افلا يكفيني رؤية الله تعالى
ثم يريد ان يوقعه في العجب فيقول له ما اعظمك وايقظك فان عصمه الله
ورده بان قال المنة لله تعالى في ذلك دوني فهو الذي خصني بتوفيقه و
جعل لعملي قيمة عظيمة بفضله ولولا فضله فما ذا كان قيمة هذا العمل
في جنب نعمة الله تعالى علي وجنب معصيتي له ثم يأتيه من وجه سادس
وهو اعظمها ولا يقف عليه الا كل متيقظ وهو ان يقول اجتهد انت
في السر فان الله تعالى سيظهره عليك ويشهرك عاملا صالحا واراد بذلك

ضربا من الرياء فان عصمه الله تعالى ورده بان قال يا ملعون الى الآن كنت تاتيني من
وجه افساد عملي والآن تاتيني من وجه اخلاصه لتفسده انما انا عبد الله تعالى
وهو سيدي ان شاء اظهر وان شاء اخفى وان شاء جعلني خطيرا وان شاء
جعلني حقيرا وذلك اليه ما ابالي ان اظهر ذلك للناس او لم يظهر فليس بايديهم
شيء ثم ياتيه من وجه سابع ويقول لا حاجة لك الى هذا العمل لانك ان خلقت
سعيدا لم يضرك ترك العمل وان خلقت شقيا لم ينفعك فعله فان عصمه الله
تعالى ورده بان قال انما انا عبد وعلى العبد امتثال الامر لعبوديته والرب
اعلم بربوبيته يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد ولانه ينفعني العمل كيف
ما كنت لاني ان كنت سعيدا احتجت اليه لزيادة الثواب وان كنت شقيا
فانا محتاج اليه لئلا الوم نفسي على ان الله تعالى لا يعاقبني على الطاعة بكل حال
ولا تضرني على انه ان دخلت النار وانا مطيع احب الي من ان ادخلها
وانا عاص فكيف ووعده حق وقوله صدق وقد وعد على الطاعة بالثواب
فمن لقي الله تعالى على الايمان والطاعة لن يدخل النار البتة ويدخل الجنة
لا لاستحقاقه بعمله الجنة ولكن لوعد الله الصادق تعالى ولهذا المعنى اخبر الله
تعالى عن السعداء اذ قالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده فتيقظ رحمك الله فان
الامر كما ترى وتسمع وقس عليه ساير الاعمال والاحوال واستعن بالله تعالى
واستعذ به فان الامر بيده ومنه التوفيق ولا حول ولا قوة الا بالله

العلي العظيم ثم العايق الرابع النفس ثم غلبت عصمت الله واياها بالحذر من هذه
النفس الامارة بالسوء فانها اضر الاعداء وبلاؤها اصعب البلاء وعلاجها
اعسر الاشياء وداءها اعضل الداء ودواؤها اشكل الدواء وانما ذلك
لامرين احدهما انها عدو من داخل واللص اذا كان من داخل البيت
عزت الحيلة فيه وعظم الضرر ولقد صدق القائل نفسي الى ما ضرني
داعي تكثر اسقامي واوجاعي كيف احتيالي من عدوي اذا كان
عدوي بين اضلاعي والثاني انها عدو محبوب والانسان عم عن عيب
محبوبه لا يكاد يبصر عيبه كما قال القائل وعين الرضا عن كل عيب
كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا فلا يكاد يستقبح الانسان من
نفسه كل قبيح ولا يكاد يطلع على عيب لها وهي في عداوتها واضرارها فما
اوشك ما توقعه في فضيحة وهلاك وهو لا يشعر الا ان يحفظ الله تعالى
بفضله ويعين عليها برحمته ثم اقول تامل ايها الرجل تجده واحدة متفقة
وهي انك اذا نظرت وجدت اصل كل فتنة وفضيحة وخزي وهلاك
وذنب وآفة وقع في خلق الله تعالى من اول الخلق الى يوم القيامة من
قبل هذه النفس اما بها وحدها او بمعونتها ومشاركتها ومساعدتها
فاول المعصية لله تعالى كان من ابليس وكان سببه بعد القضاء السابق
هو النفس بكبرها وحسدها لعنه بعد عبادة ثمانين الف سنة

علمها في قعر بحر الضلالة فرق الى الابد لا بد من اذ لم يكن هناك دنيا ولا خلق ولا شيطان
بل كانت النفس بكبرها وحسدها فعملت به ما عملت ثم ذنب آدم وحوا انما كان
شهوة النفس فذلك وحرصها على البقا والخلود حتى اغتر بقول ابليس وكان
ذلك اذا بهوى النفس وشرتها حتى سقط بذلك من جوار الله تعالى
وقرار العزة وسرادق ... الى هذه الدنيا الحقيرة النكدة الفانية المهلكة ولقى اولاده
ما لقوا من ذلك اليوم الى الابد لا بد من ثم حديث قابيل وهابيل كان السبب
الحسد والشح ثم حديث هاروت وماروت كان السبب الشهوة ثم هلم جرا
الى يوم القيمة لا تجد في الخلق فتنة ولا فضيحة ولا ضلالة ولا معصية الا واصلها
النفس وهواها ولولا كان الخلق في خير وسلامة واذا كان عدو بهذا الضرر
كله فحق على العاقل ان يهتم بامره والله تعالى ولي التوفيق والهداية
بفضله فان قلت فما الحيلة ازالتنا في هذا العدو وما التدبير في امره
فبين لنا ذلك فاعلم انما ذكرنا فيما تقدم ان امرها عسير صعب اذ لا يمكن
قهرها بمرة كسائر الاعداء اذ هي المطية والالة وقيل ان اعرابيا ...
يختبر فقال كتب الله لك كل عدو الا نفسك ولا يمكن اهمالها من كل
ضررها فتحتاج الطريق بين الطريقين وتربيها وتقويها بقدر ما يحتمل
فعل خير وتضعفها وتحبسها على حد لا تتمادى فان بيت من امرها
في علاج شديد ونظر لطيف فذكرنا في امرها ان تلجمها بلجام التقوى

والورع

والورع لتحصل الفايدة بين جميعا فان قيل ان هذه دابة جموح وبهيمة صعبة
شكسة لا تنقاد للجام فما الحيلة فيها حتى تمكننا منها زمها فاعلم انك
لما دق والحيلة تذليلها حتى تنقاد للجام قال علماؤنا رضي الله عنهم انما تذلل
النفس وتكسر هواها بثلثة اشيا احدها منع الشهوات
فان الدابة الحرون تلين اذا نقص من علفها والثاني حمل اثقال العبادات
عليها فان الحمار اذا زيد في حمله مع النقصان من علفه تذلل وانقاد والثالث
الاستعانة بالله والتضرع اليه بان يعينك والا فلا مخلص لها استمع قوله يوسف
ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي فاذا واظبت على هذه الامور
الثلثة انقادت لك النفس الجموح باذن الله عز وجل فحينئذ تبادر الى
تملكها وتلجمها وتامن من شرها فان قلت فبين الان ما هو التقوى
حتى نعلمه فاعلم اولا ان التقوى كنز عزيز فلئن ظفرت به فكم تجد فيه
من جوهر شريف وعلق نفيس وخير كثير ورزق كريم وفوز كبير
وغنم جسيم وملك عظيم وكأن خيرات الدنيا والاخرة جمعت
وجعلت تحت هذه الواحدة التي هي التقوى وتأمل ما في القران من
ذكرها كم علق بها من خير وكم وعد عليها من ثواب وكم اضاف
اليها من سعادة وانا اعد لك من جملتها اثنى عشر خصلة اولها المدحة
والثناء قوله تعالى وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور والثاني

الحفظ والحراسة من الاعداء قال الله تعالى وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم
شيئا والثالث التأييد والنصر قال الله تعالى ان الله مع الذين اتقوا
وقال الله تعالى ان الله مع المتقين والرابع النجاة من الشدائد والرزق من الحلال
قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب
الخامس اصلاح العمل قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا
سديدا يصلح لكم اعمالكم السادس غفران الذنوب قال الله تعالى
ويغفر لكم ذنوبكم السابع محبة الله قال الله تعالى ان الله يحب
المتقين التاسع الاكرام والاعزاز قال الله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم
العاشر البشارة عند الموت قال الله تعالى الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم
البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة الحادي عشر النجاة من النار قال الله
تعالى ثم ننجي الذين اتقوا وقوله وسيجنبها الاتقى الثاني عشر الخلود في الجنة
قال الله تعالى اعدت للمتقين فهذا كل خير وسعادة في الدارين
تحت هذه التقوى فلا تنس نصيبك ايها الرجل منها ثم الذي يخص هذا
الشأن من امر العبادة ثلاثة اصول احدها التوفيق والتأييد اولا وهو
للمتقين كما قال الله تعالى ان الله مع المتقين والثاني اصلاح العمل واتمام
التقصير وهو للمتقين كما قال الله تعالى يصلح لكم اعمالكم والثالث قبول
العمل وهو للمتقين قال الله تعالى انما يتقبل الله من المتقين ومدار العبادة

الثامن القبول قال الله تعالى انما يتقبل الله من المتقين صح

على هذه الامور الثلاثة التوفيق اولا حتى يعمل ثم الاصلاح للتقصير حتى يتم ثم القبول
اذا تم وهذه الثلاثة التي يتضرع فيها العابدون الى الله تعالى ويسألون فيقولون
ربنا وفقنا لطاعتك وتمم تقصيرنا وتقبل منا وقد وعد الله ذلك
كله على التقوى واكرم بها التقى سائلا ولم يسئل فعليك بهذه التقوى ان اردت
عبادة الله تعالى بل اردت سعادة الدنيا والعقبى ولقد صدق القائل
من اتقى الله فذاك الذي سيق اليه المتجر الرابح والقائل ايضا من عرف
الله فلم تغنه • معرفة الله فذاك الشقي • ما يصنع العبد بعز الغنى •
والعز كل العز للمتقي وكتب على بعض القبور • اذا حسن سمعي • واسمعني ثم و
ليس زاد سوى التقى فخذي منه او دعي • ثم تأمل اصلا واحدا وهو سبب
انك قد تعبت جميع عمرك في العبادات وجاهدت وكابدت حتى حصل
ما تمنيت الشأن كله في القبول ولقد علمت ان الله سبحانه وتعالى
قال انما يتقبل الله من المتقين فرجع الامر كله الى التقوى ولذلك روي
عن عائشة رضي الله عنها انها قالت ما اعجب رسول الله صلى الله عليه
وسلم بشيء من الدنيا ولا اعجبه احد الا ذو تقوى وعن قتادة قال
مكتوب في التورية يا ابن آدم اتق الله ونم حيث شئت وبلغني
عن عامر بن عبد قيس انه بكى عند موته وكان يصلي كل يوم وليلة
الف ركعة ثم يأتي الى فراشه فيقول يا مأوى كل شر والله ما رضيتك

نه طرفة عين وبكى يوما فقيل له ما يبكيك فقال قوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين
ثم تامل نكتة اخرى وهي اصل الاصول وهو ما ذكر ان بعض الصالحين قال لبعض
اخوانه اوصني بوصية فقال اوصيك بوصية الله رب العالمين للاولين
والآخرين قوله تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله
قلت اليس الله اعلم بصلاح العبد من كل احد وليس هو انصح له وارحم
وارأف من كل احد ولو كانت في العالم خصلة هي اصلح للعبد واجمع
للخير واعظم للاجر واجل في العبودية واعظم في القدر واولى بالحال
وانجح للآمال من هذه الخصلة التي هي التقوى لكان الله امر بها عباده واوصى
خواصه بذلك لكمال حكمته ورحمته فلما اوصى بهذه الخصلة الواحدة
جميع الاولين والآخرين من عباده في ذلك واقتصر عليها فعلمت
انها الغاية التي لا متجاوز عنها ولا مقتصر دونها وانه عز وجل قد جمع كل
نصح ودلالة وارشاد وتنبيه وتأديب وتعليم وتهذيب في هذه
الوصية الواحدة كما يليق بحكمته ورحمته وعلمت ان هذه الخصلة
التي هي التقوى هي الجامعة لخير الدنيا والآخرة الكافية لجميع المهمات
المبلغة الى اعلى الدرجات في العبودية وهذا اصل لا مزيد عليه وفيه كفاية
لمن ابصر النور واهتدى وعمل بذلك واستغنى والله تعالى ولي التوفيق
والهداية بفضله ومنه فان قلت لقد عظم قدر هذه الخصلة وجل موقعها

ومست الحاجة الى معرفتها فلا بد الان من تفصيلها واعلم ان الامر كذلك فحق لها
ان يجل قدرها ويلزم طلبها وتمس الحاجة الى علمها وكذلك تعلم ان كل خطير
وكبير يحتاج في اجتلابه الى طلب كثير وتعب كبير وهمة عالية وجهد
شديد فاذا كان ان هذه الخصلة خصلة عظيمة كبيرة فالمهم هو في طلبها
والقيام بحقها والعناية في تحصيلها ايضا لعمل كبير وشان عظيم فان
المكارم على حسب المكاره وان اللذات على حسب المؤنات والله تعالى يقول
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله هو الرؤف الذي
يسر بتيسيره كل عسير فاستمع وتفهم هذا بيان هذه الخصلة حتى
تعلمها ثم تشمر للقيام بها واستعن بالله عز وجل حتى تعمل فان الخير
كله في ذلك والله تعالى ولي التوفيق والهداية بفضله فنقول اعلم اولا
ان التقوى في قول شيوخنا رحمهم الله هو تنزيه القلب عن ذنب
لم يسبق عنك مثله حتى يحصل العبد من قوة العزم على تركها وقاية بينه
وبين المعاصي هكذا قال شيخنا وذلك ان اصل لفظ التقوى في اللغة
هو الوقوى بالواو وهو مصدر الوقاية يقال وقى يقي وقاية فابدلت عن
الواو تاء كما هو في الوكلان والتكلان ونحوهما فقيل تقوى فاذا ما حصلت
وقاية بين العبد وبين المعاصي من قوة عزمه على تركها وتوطين قلبه
على ذلك فيوصف حينئذ بانه متق ويقال لذلك التبرئة والعزم

والتوطين تقوى والتقوى في القرآن ينطلق على ثلثة اشياء احدها بمعنى
الخشية والهيبة قال الله تعالى فاياي فاتقون وقال واتقوا يوما ترجعون
فيه الى الله والثاني بمعنى الطاعة والعبادة قال الله تعالى يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله حق تقاته قال ابن عباس اطيعوا الله حق طاعته وقال
مجاهد هو ان لا يطاع فلا يعصى وان يذكر فلا ينسى وان يشكر
فلا يكفر والثالث بمعنى تنزيه القلب عن الذنوب وهذه هي الحقيقة في التقوى
دون الاولين الا ترى ان الله يقول ومن يطع الله ورسوله ويخش الله
ويتقه فاولئك هم الفائزون ذكر الطاعة والخشية ثم ذكر التقوى
فعلمت ان حقيقة التقوى معنى سوى الطاعة والخشية وهي تنزيه
القلب عما ذكرنا ثم قالوا رحمة الله منازل التقوى ثلثة تقوى عن الشرك
وتقوى عن البدعة وتقوى عن المعاصي الفرعية ولقد ذكرها الله سبحانه في اية
واحدة وهي قوله تعالى ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح
فيما طعموا اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا
واحسنوا التقوى الاولى تقوى عن الشرك والايمان في مقابلة التوحيد
والتقوى الثانية عن البدعة والايمان الذي ذكر معها اقرار في مقابلة السنة
والجماعة والتقوى الثالثة عن المعاصي الفرعية والاقرار في هذه المنزلة قابلها
بالاحسان وهو الطاعة والاستقامة عليها فيكون منزلة مستقيمي

الطاعة فلاية جمعت ذكر المنازل الثلث منزلة الايمان ومنزلة السنة ومنزلة
استقامة الطاعة فهذا ما قاله العلماء في بيان معنى التقوى قلت انا وجدت التقوى بمعنى
اجتناب فضول الحلال وهو ما روي في الخبر المشهور عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه سمي المتقون متقين لتركهم ما لا باس به حذرا عما به باس فاحببت
ان اجمع بين ما قاله علماؤنا وبين ما جاء في الخبر عن النبي صلى الله عليه
وسلم فيكون حدا جامعا ومعنى بالغا فاقول التقوى هو اجتناب
كل ما تخاف منه ضررا في دينك الا ترى انه يقال للمريض المحتمي انه يتقي اذا
اجتنب كل شيء يضره في بدنه من طعام او شراب او فاكهة او غيرها ثم
الذي يخاف منه الضرر في امر الدين قسمان محض الحرام والمعصية وفضول
الحلال لان الاشتغال بفضول الحلال والانهماك فيه يستجر صاحبه الى الحرام
ومحض العصيان وذلك لشره النفس وطغيانها وتمرد الهوى وعصيانها فمن
اراد ان يامن الضرر في امر دينه اجتنب الخطر فامتنع عن فضول
الحلال حذرا ان يجره الى محض الحرام على ما قاله صلى الله عليه وسلم لتركهم
ما لا باس به حذرا عما به باس يعني لتركهم فضول الحلال حذرا عن
الوقوع في الحرام فالتقوى البالغة الجامعة اجتناب كل ما فيه ضرر لامر
ه الدين وهو المعصية والفضول بهذا تفصيلها واما اذا اردنا تحديد
ما على موضع علم الشرع فنقول حد التقوى الجامع تنزيه القلب

عن شر لم يسبق عنك مثله بقوة العزم على تركه حتى يصير ذلك وقاية بينك
وبين كل شر ثم الشر ضربان شر اصلي وهو ما نهى الله عنه كالمعاصي
المحضة وشر غير اصلي وهو ما نهي عنه تأديبا وهو فضول الحلال
كالمباحات الماخوذة بالشهوات فالاول تقوى فرض يلزم بتركها عذاب
النار **والثانية** تقوى خير وادب يلزم بتركها الحبس والحساب والتعيير
واللوم فمن اتى بالاولى فهو في الدرجة الادنى من التقوى وهي منزلة مستقيمي
الطاعة ومن اتى بالاخرى فهو في الدرجة الاعلى من التقوى وذلك بمنزلة متقي
المباح فاذا جمع العبد بينهما على اجتناب كل معصية وفضول فقد استكمل
معنى التقوى وقام بحقها وجمع كل خير فيها وهذا هو الورع الكامل الذي
هو ملاك امر الدين وذلك منزلة الادب على باب الله سبحانه فهذا معنى التقوى
وبيانها في الجملة وسيمر بك ان شاء الله **فان قلت** فصل لنا الان هذا المعنى
في النفس واستعماله فيها فان الحاجة جاءت من هناك لنعلم كيف
نلجم هذه النفس بهذا المعنى الذي فهمتني حقيقة التقوى فاقول اجمالها
تفصيله في امر هذه النفس ان تقوم عليها بقوة العزم فتمنعها عن كل
معصية وتفطمها عن كل فضول فاذا فعلت ذلك كنت قد اتقيت
الله في عينك واذنك ولسانك وبطنك وفرجك وجميع اركانك
والجمتها بلجام التقوى ولهذا الباب شرح يطول وقد اشرنا اليه في كتاب

احياء علوم الدين واما الذي لا بد منه هاهنا ان تقول من اراد ان يتقي الله تعالى
فيراع الاعضاء الخمسة فانهن الاصول فهي العين والاذن واللسان والقلب
والبطن فيحترس عليها بالصيانة لها عن كل ما يخاف منه ضررا في امر الدين
من معصية وحرام وفضول واسراف من حلال فاذا حصل صيانة هذه
الاعضاء فمرجو ان يكفي سائر اركانه ويكون قد قام بالتقوى الجامعة
بجميع بدنه عز وجل فدعت الحاجة الى بيان خمسة فصول لهذه الاعضاء و
تفصيلها محرم في حق كل واحد منها على قدر الحاجة **الفصل الاول**
فصل العين عليك وفقك الله وايانا بحفظ العين فانها سبب
كل فتنة وآفة واذكر في امرها ثلاثة اصول كافية احدها ما قال الله سبحانه
وتعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك
ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون واعلم انك تاملت هذه الاية فانها
مع قصرها ثلاثة معان عزيزة تأديب وتنبيه وتهديد فاما التاديب
قوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ولابد للعبد من امتثال
امر سيده والتادب بادبه والا فيكون شيئا لادب يحجب ولا يؤذن
له في حضور المجالس والمثول بالحضرة فافهم هذه النكتة وتامل ما تحتها
فان فيها ما فيها واما التنبيه فقوله تعالى ذلك ازكى لهم وينطق على معنيين
احدهما والله اعلم ان ذلك اطهر لقلوبهم والزكوة الطهارة والتزكية

التطهير والثاني ذلك انمى للخير لهم واكثر ذلك وازكى في الاصل النمو فنبه على ان
في غض البصر تطهير القلب وتكثير الطاعة والخير وذلك انك ان لم تغض بصرك
وارسلته عنانه تنظر الى ما لا يعنيك فلا تخلو اما ان تقع عينك على حرام
فان تعمدت فذنب كبير وربما تعلق قلبك بذلك فتهلك ان لم يرحم الله
تعالى فلقد روي ان العبد لينظر النظرة ينغل فيها قلبه كما ينغل الاديم في الدباغ
لا ينتفع به ابدا وان كان مباحا فانها يشتغل قلبك به فيأخذك
الوسواس والخواطر بسببه ولعلك لا تصل اليه فيبقى مشغول القلب منقطعا
عن الخير وان كنت لم تر ذلك فقد كنت مستريحا عن ذلك كله وفي هذا
المعنى ذكر عن عيسى عليه السلام وعلى نبينا انه قال اياكم والنظرة فانها تزرع
في القلب الشهوة وكفى بها لصاحبها فتنة وقال ذو النون رحمه الله
نعم صاحب الشهوات غض الابصار ولقد احسن القائل وانت
اذا ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر رايت الذي
لا كله انت قادر عليه ولا عن بعضه انت صابر فانما كنت غاضا
البصر حافظا للعين لا تنظر الى ما لا يعنيك ولا يهمك كنت نقي الصدر
فارغ القلب مستريحا عن كثير من الوسواس سالم النفس عن الآفات
متزايدا في الخيرات فتنبه لهذه النكتة الجامعة والله عز وجل الموفق بمنه
واما التهديد فقوله تعالى ان الله خبير بما يصنعون وقال تعالى يعلم خائنة

الاعين

٢٥

الاعين وما تخفي الصدور وكفى بهذا تحذيرا لمن خاف مقام ربه فهذا اصل
واحد من كتاب الله تعالى الاصل الثاني ما روينا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان النظر الى محاسن المرأة سهم مسموم
من سهام ابليس فمن تركها اذاقه الله طعم عبادة تسره وان وجدان
حلاوة العبادة ولذة المناجات من العابدين ثمرات وهذا شيء مجرب
علمه وتحققه من عمل به انا اذا متنع عن النظر الى ما لا يعنيه يجد
لذة للعبادة وحلاوة وللقلب صفوة لم يجد بها قبل ذلك
الاصل الثالث ان تنظر الى كل عضو من اعضائك يصلح لماذا و
ينظر له ماذا فعل حسب مقدار ذلك تصونه وتحفظه فالرجل للمشي
في رياض الجنة وقصورها واليد لكاس الشراب وتناول الاثمار
وكذلك في سائر الاعضاء فالعين انما هي للنظر الى رب العالمين
سبحانه وليس في الدارين كرامة اجل واكبر من ذلك فحقيق لشيء
ينتظر به جلله مثل هذه الكرامة ان يصان ويحفظ ويعز ويكرم
فهذه الاصول الثلثة اذا احسنت التامل فيها كفتك المؤنة
في هذا الفصل والله ولي التوفيق وهو حسبي الله ونعم الوكيل
الفصل الثاني في الاذن فعليك بصيانته عن سماع الخنا والفضول
وذلك لامرين احدهما ما روي ان المستمع شريك المتكلم وفي ذلك

وفي ذلك يقول القايل • تحرّ من الطرق اوساطها • وعدّ عن الجانب
المشتبه • وسمعك صن عن سماع القبيح • كصون اللسان عن النطق به •
فانك عند استماع القبيح • شريك لقايله فانتبه والثاني ان ذلك يهيج
الخواطر والوساوس في القلب ثم من ذلك يتدو الاشغال في البدن فما يبقى
للعبادة شيء ثم اعلم ان الكلام الذي يقع في قلب الانسان وسمعه بمنزلة
الطعام الذي يقع في جوفه فمنه الضار ومنه النافع ومنه الغذاء ومنه
السم بلا ان بقاء الكلام وتخرجه اكثر وابلغ فان الطعام يزول عن المعدة بنوم
او قيء وربما يبقى اثره زمانا وله دواء يزيل اثره من جسم الانسان واما
الكلام الذي وقع في قلبه فربما يبقى معه جميع عمره ولا ينساه فان كان
شيئا رديا فلا يزال يتعبه ويعيبه ويرد بسببه خواطر في القلب
ووساوس يحتاج ان يعرض عنها ويعدل بقلبه عن تفكرها ويستعيذ
بالله تعالى من شرها ولا يامن ان يحمله على بلية ويحركه حتى يقع في الامر
ذي افة عظيمة بسبب ذلك ولو كنت حفظت سمعك عما لا يعنيك
كنت بمنة المؤنة مستريحا فلينظر العاقل في ذلك وبالله التوفيق الفصل الثالث
اللسان ثم عليك بحفظ اللسان وضبطه وقيده فانه اشد
الاعضاء جماحا وطغيانا واكثرها فسادا وعدوانا ولقد روينا
عن سفيان ابن عبد الله انه قال قلت يا رسول الله ما اكثر ما تخاف

علي فاخذ عليه السلام بلسان نفسه ثم قال هذا وعن يونس بن عبيد اني
وجدت نفسي تحتمل مؤنة الصوم في الحر الشديد بالبصرة ولا تحتمل ترك
كلمة لا يعنيها فعليك اذا بالتحفظ جدا وبذل المجهود وتذكر خمسة اصول
احدها ما روى ابو سعيد الخدري ان ابن ادم اذا اصبح بكرت الاعضاء كلها للسان
وقلن له ننشدك الله ان تستقيم فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا
قلت والمعنى فيه والله اعلم ان نطق اللسان يؤثر في اعضاء الانسان بالتوفيق والخذ
لان ويؤكد هذا المعنى ما حكي عن مالك بن دينار انه قال اذا رايت قساوة في قلبك
ووهنا في بدنك وحرمانا في رزقك فاعلم انك قد تكلمت فيما لا يعنيك
والاصل الثاني حفظ وقتك فان اكثر ما يتكلم به الانسان من غير ذكر الله تعالى
فضلا لا فائدة يكون لغوا يضيع الوقت به وذكر ان حسان بن ابي سنان مر على غرفة بنيت
فقال مذ كم بنيت هذه ثم اقبل على نفسه وقال المغرور تسألين عما لا يعنيك
وعاقبها بصوم سنة قلت فيا طوبى للمهتمين بانفسهم ويا ويح للغافلين
الذين خلعوا العذار وارخوا العنان والله المستعان ولقد صدق القائل
واحسن حيث يقول اغتنم ركعتين في ظلمة الليل اذ كنت خاليا مستريحا
واذا ما هممت بالنطق في الباطل فاجعل مكانه تسبيحا والاصل الثالث حفظ
الاعمال الصالحة فان من لم يصن لسانه واكثر الكلام يقع لا محالة في غيبة
الناس كما قيل من كثر لغطه كثر سقطه والغيبة هي الصاعقة المهلكة للطاعة

علما فيها ان مثل من يغتاب الناس مثل من نصب منجنيقا فهو يرمي به حسناته
شرقا وغربا يمينا وشمالا وبلغنا عن الحسن انه قيل له يا ابا سعيد ان فلانا
اغتابك فبعث اليه طبقا فيه رطب وقال بلغني انك اهديت الي حسناتك
فاردت ان اكافيك وذكرت الغيبة عند ابن المبارك فقال لو كنت مغتابا لا
امي لانها احق بحسناتي وذكر ان حاتم الاصم فاته القيام ليلة فعيرته زوجته فقال
ان اقواما صلوا البارحة فلما اصبحوا اغتابوني فيكون صلاتهم يوم
القيمة في ميزاني **الاصل الرابع** السلامة من افات الدنيا عليها قال سفيان
لا تتكلم بلسانك ما تكسر به اسنانك وقال اخر لا تبسط لسانك
فيفسد عليك شانك وقال اخر احفظ لسانك لا تقول فتبتلى ان البلاء موكل
بالمنطق ولابن المبارك رضي الله عنه احفظ لسانك ان اللسان سريع الى المرء
في قتله وان اللسان دليل الفؤاد يدل الرجال على عقله ولابن مطيع رحمه الله
لسان المرء ليث في كمين اذا خلى عليه له اغار فصنه عن الخنا بلجام صمت
يكن لك من بليات ستار وفي المثل رب كلمة تقول لصاحبها دعني ل
الله التوفيق برحمته **الاصل الخامس** ذكر افات الاذن وعواقبها واذكر
فيه نكتة واحدة وهي انك لا تخلو اما ان تقول قولا محظورا او قولا مباحا من
فضول لا يعنيك فان كان محظورا فنهيه عن عذاب الله تعالى الذي لا طاقة لك
فقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ليلة اسري بي نظرت

في النار الى اقوام يأكلون الجيف فقلت يا جبرائيل من هؤلاء قال هؤلاء الذين ياكلون
لحوم الناس ولقد قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ اقطع لسانك عن حملة القران
وطلاب العلم ولا تمزق بلسانك فتمزقك كلاب النار وعن ابي قلابة ان
في الغيبة خراب القلب من الهدى فنسأل الله العصمة من ذلك من فضله ومنه
الكلام في المحظور **واما المباح** ففيه اربعة امور احدها شغل الكرام الكاتبين
بما لا خير فيه ولا فائدة وحق للمرء ان يستحيي منهما فلا يؤذيهما قال الله تعالى ما يلفظ
من قول الا لديه رقيب عتيد **والثاني** ارسال كتاب الى الله سبحانه من اللغو والهذر
فليحذر العبد من ذلك وليخش الله عز وجل وذكر ان بعضهم نظر الى رجل يتكلم
بالخنا فقال يا هذا انما تملي كتابا الى ربك فانظر ما تملي **والثالث** قراءته
بين يدي ملك الجبار يوم القيمة على رؤوس الاشهاد بين الشدائد والاهوال
عطشان عريان جيعان منقطعا عن الجنة محبوسا عن النعمة **والرابع** اللوم
والتعيير لما ذا قلت وانقطاع الحجة والحياء من رب العزة وقد قلنا ان
الفضول فيه حساب يطول وكفى بهذه الاصول واعظا لمن اتعظ وقد بسطنا
في كتاب اسرار معاملات الدين ما فيه مقنع فانظر فيه تجد الشفاء
الفصل الرابع القلب ثم عليك بحفظ القلب واصلاحه وحسن النظر
في ذلك وبذل الجهد فانه اعظم هذه الاعضاء واكثرها اثرا وادقها امرا واشقها
اصلاحا واذكر فيه خمسة اصول مقنعة **الاول** قوله تعالى يعلم خائنة الاعين

وما تخفي الصدور

وقوله تعالى يعلم ما في قلوبكم فاحذروه وقوله تعالى انه عليم بذات الصدور وكم
كرر ذكره في القران وكفى باطلاع العليم الخبير تحذيرا وتهديدا للخواص من العباد
لان المعاملة مع علام الغيوب حظ في نظرها لا بعلم من قبلك **والاصل الثاني**
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم وابشاركم
وانما ينظر الى قلوبكم فالقلب انما هو موضع نظر الرب فيا عجبا ممن يهتم بوجهه
الذي هو منظر الخلق فيغسله وينظفه من الاقذار والادناس ويزينه
بما امكنه لئلا يطلع مخلوق فيه على عيب ولا يهتم بقلبه الذي هو موضع
نظر رب العالمين جل ذكره فيطهره ويزينه ويطيبه كي لا يطلع الرب
جل ذكره على دنس فيه وشين وافة وعيب بل يهمله بفضائح واقذار وقبائح
لو اطلع الخلق على واحد منها لهجروه وتبرؤوا منه وطردوه وبالله المستعان
الاصل الثالث ان القلب ملك مطاع ورئيس متبع فالاعضاء كلها له
تبع فاذا صلح المتبوع صلح التبع واذا استقام الملك استقامت الرعية يبين ذلك
ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد
واذا فسدت فسد الجسد الا وهي القلب واذا كان صلاح الكل في ذلك
وجب صرف العناية اليه **الاصل الرابع** ان القلب خزانة كل جوهر للعبد
نفيس وكل معنى خطير اولها العقل واجلها معرفة الله سبحانه التي هي سبب
سعادة الدارين ثم البصاير التي بها التقدم والوجاهة عند الله سبحانه

ثم النية الخالصة في الطاعات التي بها يتعلق ثواب الابد ثم انواع العلوم والحكم التي
هي شرف العبد وساير الاخلاق الشريفة والخصال التي بها يحصل تفاضل الرجال
على ما فصلنا وشرحنا في كتاب اسرار معاملات الدين وحق لمثل هذه الخزانة ان
تحفظ وتصان عن الادناس والافات وتحرس وتحرز عن السراق والقطاع
وتكرم وتجل بضروب الكرامات لئلا يلحق تلك الجواهر العزيزة دنس ولا
يظفر بها والعياذ بالله عدو **والاصل الخامس** انه اذا تأملت حاله وجدت
لخمسة احوال ليست لغيره من اعضاء ابن ادم احدها ان العدو قاصد اليه
مقبل عليه ملازم له فان الشيطان جاثم على قلب ابن ادم فهو منزل الالهام والوسوسة
يتصارعان ابدا بالدعوة بين الملك والشيطان **والثاني** ان الشغل له اكبر فان
الهوى والعقل كلاهما فيه فهو معترك العسكرين الهوى وجنوده والعقل وجنوده
فهو ابدا بين تجاذبهما ولقائهما وتناقضهما وحق بالثغر ان يحرس ويحصن
ولا يغفل عنه **والثالث** العوارض له اكثر فان الخواطر كالسهام لا تزال تقع فيه
كالمطر لا يزال يمطر عليه ليلا ونهارا لا ينقطع ولا انت تقدر على منعها فتمتنع
وليس بمنزلة العين التي بين جفنين تغمض وتستريح او تكون في موضع
خال وليل مظلم فتكفي رؤيتهما او اللسان الذي هو وراء الحجابين بين
الاسنان والشفتين وانت القادر على منعه وتسكينه بل القلب غرض للخواطر
لا تقدر على منعها والتحفظ عنها بحال ولا هي تنقطع عنك بوقت ثم النفس ساعة

الابتاعها والامتناع عن ذلك في مجهود الطاقة امر شديد ومحنة عظيمة **والرابع** ان علاج عليك عسير اذ هو غيب عنك فلا تكاد تشعر حتى يدب فيه اذى وتحدث حالة تحتاج ان تبحث عن ذلك اتم البحث بطول الجهد ودقيق النظر وكثرة الرياضة **والخامس** ان الافات اليه اسرع فهو بالانقلاب اقرب فلقد قيل ان القلب اسرع انقلابا من القدر في غليانها ولذلك قيل ما سمي القلب الا من تقلبه والراي يضرب بالانسان اطوارا ثم ان زل القلب والعياذ بالله فزللة عظيم وعدا صعب واقطع ازادنا فسوغ وميل الى غير الله سبحانه وتعالى ومنتهاه ختم ونكر بالله سبحانه اما تسمع قوله سبحانه ابا واستكبر وكان من الكافرين كان الكبر بقلبه فخمد على الاباء والكفر بظاهر اما تسمع قوله تعالى فمثله كمثل الكلب ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فكان الميل واتباع الهوا بقلبه فخمد ذلك على الذنب المشوم بنفسه اما تسمع قوله تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ولهذا المعنى انما الرجل خاف عباد الله تعالى الخواص على قلوبهم وبكوا عليها وصرفوا عنايتهم اليها قال الله سبحانه في وصفهم يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار جعلنا الله واياكم من المعتبرين بالعبر المتيقظين لمواضع الخطر الموفقين لاصلاحها بحسن النظر انه ارحم الراحمين

فان قيل ان امر هذا القلب لمهم جدا فاخبرنا عن المعاني التي تصلحه وعن الافات التي تعترضه فتفسده عسى ان نوفق لاجتهاد في العمل بذلك بتوفيق الله تعالى **فاعلم** ان تعبير

هذه

هذه المعاني لطوله لا يحتمله هذا الكتاب وانما علماء الاخرة عنوا باستخراج ذلك وتصنيفه في هذه الكتب لا غير وقد ذكروا فيما يحتاج اليه من ذلك نحو سبعين خصلة محمودة وفي اضدادها المذمومة ثم من الافعال والمعاصي الواجبة والمحظورة نحو ذلك في سائر تفاصيلها ولعمري ان من اهمه امر دينه وانتبه من رقدة الغافلين فنظر لنفسه فلا يكون تحصيل جميع ذلك والعمل عليه كثيرا اذا وفقه الله تعالى وقد ذكرنا نبذة منها في شرح عجايب القلب من كتاب احياء علوم الدين واتينا على شرح جميعها بتفاصيلها وكيفية علاجها في كتاب اسرار معاملات الدين وهو كتاب مستقل بنفسه عظيم الفائدة ولا ينتفع به الا فحول العلماء الراسخين في العلم وموضوع هذا الكتاب ان ينتفع المبتدي والقوي والضعيف ونظرنا في الاصول التي لا بد من ذكرها في علاج القلب والحاجة اليها ماسة ولا غنية عنها البتة في شان العبادة فوجدناها اربعة امور وهي مداحض العابدين وافات المجتهدين وبها تفنى القلوب وبليات النفوس تعوق وتشين وتفسد وتتلف واربعة في مقابلتها فيها قوام العباد وانتظام العبادة واصلاح القلوب والافات الاربع الامل والعجلة والحسد والكبر والمناقب الاربع قصر الامل والتاني في الامور والنصيحة للخلق والتواضع والخشوع فهذه هي الاصول في صلاح القلوب وفسادها والنكتة التي عليها المدار فلتبتذل المجهود في التحرز من الافات والتحصيل لهذه المناقب

ان شاء الله تعالى

تكف المؤنة وتظفر بالمقصود وساخبرك عن بعض الآفات بكلمات وجيزة
مقنعة اما طول الامل فهو الآفة العايقة عن كل خير وطاعة الجالبة لكل شر وفتنة
وانه الداء العضال الذي يوقع الخلق في انواع البليات فاعلم انك اذا طال املك
هاج لك منه اربعة اشياء احدها ترك الطاعة والكسل فيها تقول
سوف افعل والايام بين يدي ولا يفوتني ذلك ولقد صدق داود الطائي حيث
قال من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ومن طال امله ساء عمله وقال يحيى بن
معاذ الرازي الامل قاطع من كل خير والطمع مانع من كل حق والصبر صائر
الى كل ظفر والنفس داعية الى كل شر والثاني ترك التوبة وتسويفها
يقول سوف اتوب وفي الايام سعة وانا شاب وسني قليل والتوبة بين
يدي وانا قادر عليها متى رمتها وربما يغتاله الحمام على الاصرار فاختطفه
الاجل قبل اصلاح العمل والثالث الحرص على الجمع والاشتغال بالدنيا عن الاخرة
تقول اخاف الفقر في الكبر وربما اضعف عن الاكتساب ولا بد لي من شيء
فاضل ادخره لمرض او هرم او فقر ونحو ذلك يحركك الى الرغبة في الدنيا والحرص عليها
والاهتمام للرزق يقول ايش اكل وايش اشرب وايش البس ومما اشتاء
وبما اصيف ومالي شيء ولعل العمر يطول فاحتاج والحاجة مع الشيب
شديدة ولا بد لي من قوة وغنية عن الناس هذه وامثالها يحركك الى
طلب الدنيا والرغبة فيها والجمع لها والمنع لما عندك منها واقلها في الباب تشغل

قلبك

قلبك ويضيع عليك وقتك ويكثر همك وغمك بلا فائدة ولا طائل على ما روي
عن ابي ذر رضي الله عنه انه قال قتلني هم يوم لم ادركه قيل وكيف ذلك يا ابا ذر
قال ان املي جاوز اجلي والرابع القسوة بالقلب والنسيان للآخرة لانك اذا املت
العيش الطويل لا تذكر الموت والقبر كما قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه اخوف
ما اخاف عليكم اثنتان طول الامل واتباع الهوى الا ان طول الامل ينسي الاخرة و
اتباع الهوى يصد عن الحق فاذا يصير فكرك ومعظم قلبك في حديث
الدنيا واسباب العيش في صحبة الخلق ونحوها فيقسو القلب من ذلك وانما رقة
القلب وصفوته بذكر الموت والقبر والثواب والعقاب واحوال الاخرة واذا لم
يكن شيء من ذلك فمن اين يكون لقلبك رقة وصفوة قال الله تعالى
فطال عليهم الامد فقست قلوبهم فاذا انك ان طولت املك قلت طاعتك
وتأخرت توبتك وكثرت معصيتك واشتد حرصك وقسي قلبك
وعظمت غفلتك عن العاقبة فذهبت والعياذ بالله ان لم يرحم الله تعالى ذلك
فاي حال اسوء من هذا واي آفة اعظم من هذه وكل هذا بسبب طول الامل
واما ان قصرت املك وقربت من نفسك موتك وتذكرت حال اقرانك
ضده
واخوانك الذين غافصهم الموت في وقت لم يحتسبوا ولعل حالك مثل حالهم فا
يا نفس المغرور اذكري ما قال عون بن عبد الله رحمه الله كم من مستقبل يوما
لم يستكمله ومنتظر غدا لم يدركه لو رايتم الاجل ومسيره لابغضتم الامل وغروره انما

سمعت قول عيسى بن مريم صلوات الله عليه وسلامه الدنيا ثلثة ايام امس مضى
ما بيدك منه شي وغد لا تدري اتدركه ام لا ويوم انت فيه فاغتنم ثم قول ابي ذر
رضي الله عنه الدنيا ثلث ساعات ساعة مضت وساعة انت فيها وساعة لا تدري اتدركها
ام لا فلست تملك في الحقيقة الا ساعة واحدة اذ الموت من ساعة الى ساعة ثم قول
شيخنا رحمه الله الدنيا ثلثة انفاس نفس مضى عملت فيه ما عملت ونفس
لا تدري اتدركه ام لا اذ كم من متنفس نفسا فجاه الموت قبل التنفس الاخر فلست
تملك الا نفسا واحدا لا يوما ولا ساعة فبادر في هذه النفس الواحد الى الطاعة قبل
ان يفوت والى التوبة فلعلك في النفس الثاني تموت ولا تهتم يا نفس بالرزق فلعلك
لا تبقى لتحتاج اليه فتكون وقتك ضايعا والهم فضلة وما عسى ان يهتم
الانسان ليوم واحد او عشية واحدة او نفس واحد اما تذكرين ما قال
صلى الله عليه وسلم لاسامة انما تعجبون من اسامة المشتري بصبر شهر
ان اسامة لطويل الامل والله ما وضعت قدما فظننت اني ارفعها ولا لقمة
وظننت اني اسيغها حتى تدركني الموت والذي نفسي بيده انما توعدون لات
وما انتم بمعجزين فاذا انت ايها الرجل تذكرت هذه الاذكار وواظبت على
ذلك بالاعادة والتكرار قصر املك باذن الله فحينئذ ترى نفسك تبادر الى الطا عة
وتعجل توبتك وتسقط عنك معصيتك وتزهد في الدنيا وطلبها ويخف حسابك
وتبعتك ويقع قلبك في تذكر الاخرة واهوالها وما هو الامن نفسك الى نفس يصير

انما

اليها ويعاينها واحلفوا احدا فتزول عنك الغفلة ويبدو لك الرقة والصفوة
وتستشعر عند ذلك الخوف من الله تعالى والخشية ويستقيم لك امر عباداتك
ويقوى الرجاء في ان تسعد في عاقبتك وتظفر بالمراد في اخرتك وكل ذلك بعد
فضل الله بسبب هذه الخصلة التي هي قصر الامل ولقد حكي ان زرارة بن اوفى رحمه الله
قيل له في النوم بعد موته اي الاعمال ابلغ فيما عندكم قال الرضا وقصر الامل فانظر
لنفسك ايها الاخ وابذل المجهود في هذا الامر الكبير فانه الاهم والاعظم في صلاح
القلب والنفس والله تعالى ولي التوفيق واما الحسد فانه المفسد للطاعات
الباعث على الخطيئات وانه الداء الذي يبتلى به الكثير من القراء والعلما
فضلا من العامة والجهال حتى اهلكهم واوردهم النار اما تسمع قول رسول
الله صلى الله عليه وسلم ستة يدخلون النار بستة العرب بالعصبية
والامراء بالجور والدهاقين بالكبر والتجار بالخيانة واهل الرستاق بالجهل
والعلماء بالحسد وانه بلية بلغ شومها الى ان اوردت العلماء النار فتحقق
ان تحذر منها **واعلم** ان الحسد ينتج خمسة اشيا احدها افساد الطاعات
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار
الحطب **الثاني** فعل المعاصي والشرور عليها قال وهب رحمه الله للحاسد ثلثة
علامات يتملق اذا شهد ويغتاب اذا غاب ويشمت بالمصيبة قلت وما
حسبك ان الله تعالى امر بالاستعاذة من شر الحاسد فقال ومن شر حاسد

اذا حسد

كما امر بالاستعاذة من شر الشيطان فانظر كم ا من الشر والفتنة حتى انزله منزلة
الشيطان والشيطان خذلان لا مستعان عليه ولا مستعاذ بالله والثالث التعب
والهم من غير فايدة بل مع ذلك وزر ومعصية كما قال ابن السماك لم
ار ظالما اشبه بالمظلوم من الحاسد نفس دايم وعقل هايم وغم لازم والرابع عمى القلب
حتى لا يكاد يفهم حكما من احكام الله عز وجل فلقد قال سفيان عليك
بطول الصمت تملك الورع ولا تكن حريصا على الدنيا تكن حافظا ولا تكن طعانا
تنج من السن الناس ولا تكن حاسدا تكن سريع الفهم والخامس الخذلان والحرمان
فلا تكاد تظفر بمراد وتنصر على عدو وكما قال حاتم الاصم الطعان غير ذي
دين والغايب غير عابد والنمام غير مامون والحسود غير منصور قلت
الحسود كيف يظفر بمراده ومراده زوال النعمة عن عباد الله تعالى من المسلمين
وكيف ينصر على اعدائه وهم عباد الله المومنين ولقد احسن ابو يعقوب
فيما قال اللهم صبرنا على تمام النعم على عبادك وحسن احوالهم وان دامت
عليك العطا وكثرة شرك ومعصيتك وتمنعك راحة النفس وفهم القلب
والنصرة على الاعداء والظفر بالمطلوب فاي داء يكون ادوى منه فعليك
بمعالجة نفسك من ذلك والله ولي التوفيق واما الاستعجال والنزق
فانه الخصلة المفوتة للمقاصد والموقعة في المعاصي فان منها بدوا والافات
اربع احدها ان يقصد العابد منزلة في الخير والاستقامة ويجتهد فربما

يعجل

يستعجل في نيلها وليس لك بوقتها فاما ان يفتر ويسدو يترك الاجتهاد فيحرم
تلك المنزلة واما ان يغلو في الجهد واتعاب النفس فينقطع عن تلك المنزلة فهو
بين افراط وتفريط وكلاهما نتيجة الاستعجال ولقد روينا عن النبي صلى الله عليه
وسلم ان ديننا هذا متين فاوغل فيه برفق فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا
ابقى وفي المثل السايران لم تستعجل تصل ولعايل قد يدرك المتاني بعض حاجته
وقد يكون مع المستعجل الزلل والثاني ان يكون للعابد حاجة فيدعو الله فيها
ويكثر الدعاء ويجد فربما يستعجل الاجابة قبل وقتها فلا يجدها فيفتر ويسام
فيترك الدعاء فيحرم حاجته ومقصوده والثالث ان يظلمه انسان فيغيظه فيعجل
في الدعاء عليه فيهلك مسلم بسببه وربما يتجاوز عن الحد فيقع في معصية
وهلاك قال الله تعالى ويدعو الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان
عجولا والرابع ان اصل العبادة وملاكها الورع والورع اصله النظر البالغ
في كل شيء والبحث التام عن كل شيء هو بصدده من اكل وشرب ولبس
وكلام وفعل فاذا كان الرجل مستعجلا في الامر غير متان متثبت متبين لم
يقع منه توقف ونظر في الامور كما يجب ويتسارع الى كل كلام فيقع في الزلل
والى كل طعام فيقع في الحرام والشبهة وكذلك في كل امر فيفوته الورع واي
خير في عبادة بلا ورع واذا كان في خصلة الانقطاع عن منازل
الخير وحرمان الحاجات وهلاك المسلمين وهلاككم ثم خطر فوت الورع

المزيد

هو راس المال فحق للانسان ان يهتم لها بالازالة واصلاح النفس بعدها والله ولي
التوفيق **واما الكبر** فان الخصلة المهلكة رأسا اما تسمع قوله تعالى ابى واستكبر وكان
من الكافرين وليست هذه الخصلة بمنزلة ساير الخصال التي تقدح في عمل وتضر
بفرع انما تضر بالاصل وتقدح في الدين والاعتقاد اذا قويت وغلبت لا يتدارك
والعياذ بالله ثم اقل ما يهيج منها على صاحبها اربع افات احديها حرمان
الحق وعمى القلب عن معرفة آيات الله تعالى وفهم احكام الله تعالى قال الله تعالى سأصرف
عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وقال الله تعالى كذلك يطبع الله
على كل قلب متكبر جبار **والثانية** المقت والبغض من الله قال الله تعالى ان
الله لا يحب المستكبرين وروي عن موسى عليه السلام قال يا رب من ابغض خلقك
اليك قال من تكبر قلبه وغلظ لسانه وصفق عينه وبخلت يده وساء
خلقه **والثالثة** الخزي والنكال في الدنيا قال حاتم اجتنب الموت على ثلاثة الكبر
والحرص والخيلاء فان المتكبر لا يخرجه الله من الدنيا حتى يوريه الهوان من اراذل
اهله وخدامه والحريص لا يخرجه الله من الدنيا حتى يحوجه الى كسرة او شربة ولا يجد
مساغا والمختال لا يخرجه الله تعالى من الدنيا حتى يمرغه ببوله وقذره وقيل من
تكبر بغير حق اورثه الله تعالى ذلا بحق **والرابعة** العذاب والنار في العقبى علما انه
ان الله تعالى يقول الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما
ادخلته نار جهنم والمعنى ان العظمة والكبرياء من صفات التي تختص ب

فلا ينبغي لاحد غيره كما ان رداء الانسان وازاره يختص به لا يشاركه
فيه وان خصلة تفوتك معرفة الحق وفهم آيات الله تعالى واحكامه الذي هو الامر
الاصل لكم ثم يثمر ذلك المقت من الله سبحانه والخزي في الدنيا والنار في الآخرة لا ينبغي
لعاقل ان يغفل عن نفسه فلا يصلحها بازالتها بالحذر والتحرز والاستعانة بالله
تعالى من ذلك وهو عز وجل ولي التوفيق والهداية والعصمة بفضله فهذا بعض
ما حصرنا في هذه الخصال الاربع من الافات وحسب العاقل واحدا منها
فضلا عن الكل اذا اهتم امر قلبه وحامى عن امر دينه والله الموفق **فان قلت**
فاذا كان الامر بهذه المنزلة من افات هذه الخصال ولزم التحفظ منها فلا بد من
معرفة حقيقتها وحدها فبين لنا ذلك لنعرف كيف الطريق الى التحفظ
عنها **فاعلم** ان في كل واحد منها كلاما كثيرا وقد اشبعنا القول فيه في كتابي
الاحياء والاسرار ونحن نذكرها هنا ما لا بد من ذكره ولا يقع الغنا عنه فنقول
وبالله التوفيق **اما الامل** فقال اكثر علمائنا رحمهم الله ارادة الحيوة للوقت
المتراخي بالحكم والقصد الامل ترك الحكم فيه بان تقيده بالاستثنا
بمشية الله تعالى وعلمه في الذكر او بشرط الصلاح في الارادة فاذا انك ذكرت
حيوتك بان اعيش بعد نفس ثان او ساعة ثانية او يوم ثان بالحكم و
القطع فانت امل وذلك منك معصية اذ هو حكم على الغيب فان
قيدته بالمشية والعلم من الله فقلت اعيش ان شاء الله وان علم الله ان

فقد خرجت عن حكم الامل وكذلك ان اردت حياتك للوقت الثاني قطعا فانت
امل فان قيدت ارادتك بشرط الصلاح خرجت عن حكم الامل ووصفت بقصر
الامل من حيث تركت الحكم فيه فعليك بترك الحكم في ذكر البقاء وارادته والمراد
بالذكر ذكر القلب ثم المراد منه التوطين على ذلك والتثبيت للقلب عليه في فهم لك
بانشاء ان شاء الله تعالى ثم الامل ضربان امل العامة وامل الخاصة فامل العامة ان تريد
الخلود والبقاء لجمع الدنيا والتمتع بها وهذه معصية محضة وضدها قصر الامل
في الله تعالى ويلهم الامل فسوف يعلمون والامل الخاصة ان يريد البقاء لاتمام
عمل خير فيه خطر وهو مما لا يستيقن الصلاح فيه فانه ربما يكون للعبد
فيه او في اتمامه صلاح بان يقع بسببه في آفة لا يقوم بها هذا الخير فاذا ليس للعبد
اذا ابتداء في صلوة او صوم او غيره ان يحكم باتمامه اذ هو غيب ولا ان يقصد
ذلك قطعا لانه ربما لا يكون فيه صلاح بل يعتقد ذلك بالاستثناء او بشرط
الصلاح ليتخلص من عيب الامل قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا تقولن
لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وضد هذا الامل فيما قال العلماء النية
واتفاق انه لك على ضرب من الاتساع لان الناوي بالنية المحمودة يكون ممتنعا من
الامل فهذا حكم الامل في النية المحمودة اذا قد مست الحاجة الى معرفتها مع انها الاصل
الاصيل قالوا رحمهم الله في حدها الجامع التام ان النية الصحيحة المحمودة ارادة اخذ
عمل مبتدا به قبل سائر الاعمال بالحكم مع ارادة اتمامه بالتفويض والاستثناء

فان قيل فلم جاز الحكم في الابتداء ووجب التفويض والاستثناء في الاتمام قيل له
لعدم الخطر في الابتداء اذ هو في حال الابتداء ليس بشيء متراخ عنك ولثبوت
الخطر في الاتمام اذ هو يقع في وقت متراخ فيه الخطر الذي هو انه لا يدري هل يصل الى ذلك
ام لا وخطر الفساد لا يدري هل في ذلك صلاح ام لا فاذا وجب الاستثناء
لخطر الوصول والتفويض لخطر الفساد فاذا حصلت الارادة على هذه الشروط
يكون حينئذ نية محمودة مخرجة عن حد الامل وآفته فتأمل جدا فهذه جملة
واعلم ان حصن قصر الامل ذكر الموت وحصن حصنه ذكر فجاءة الموت
واخذه على غرة وغفلة وهو في غرور وفتور فاحتفظ بهذه الجملة واعقلها
موفقا فان اليها الحاجة ماسة ودع عنك تضييع الوقت في القيل والقال
وملاحات الرجال والله الموفق بفضله **واما الحسد** فهو ارادة زوال نعم الله تعالى
عن اخيك المسلم مما له فيه صلاح فان لم ترد زوالها عنه ولكن تريد لنفسك
مثلها فهو غبطة وعلى هذا يحمل قوله صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنين
الخبر اي لا غبطة الا في ذلك فعبر عن الغبطة بالحسد اتساعا لمقاربتهما فان لم يكن
له فيه صلاح فاردت زوالها عنه فذلك غيرة فهذا الفرق بين هذه الخصال
واما ضد الحسد فالنصيحة وهي ارادة بقاء نعمة الله تعالى على اخيك المسلم
مما له فيه صلاح **فان قيل** كيف نعلم ان له فيها صلاحا او فسادا لننصح
او نحسد **فاعلم** انه قد يقوم لنا غالب الظن بذلك وغلبة الظن بذلك

منا بجرى مجرى العلم فى هذه المواضع ثم ان اشتبه عليك فلا تزد زوال النعمة احد من المسلمين او بقائها الا مقيدا بالتفويض وشرط الصلاح لتخلص من حكم الحسد ويحصل لك فايدة النصيحة **واما حصن النصيحة** المانعة عن الحسد وهو ذكر ما اوجب الله تعالى من موالات المسلمين و حصن هذا الحصن ذكر ما اعظم الله تعالى من حق المؤمن و رفع من قدره وماله عند الله تعالى من الكرامات العظيمة فى العقبى ومالهم فيه من الفوايد الجليلة فى الدنيا من التعاون والتظاهر والجماعات والجمعات ثم ما فى جوامس شفاعته فى الاخرة فهذه ونحوها مما يبعث على النصح لكل مسلم ويجنبك ان تحسد فى نعمة اعطاه الله تعالى اياها والله سبحانه ولى التوفيق بفضله **واما العجل** فانه المعنى الراتب فى القلب الباعث على الاقدام على الامر باول خاطر دون التوقف فيه من بل الاستعجال فى ابتداعه والعمل وضدها الاناة وهو المعنى الراتب فى القلب الباعث على الاحتياط فى الامور والنظر فيها والتانى فى ابتاعها والعمل بها **واما التوقف** فضد التعسف قال شيخنا رحمه الله الفرق بين التوقف والتانى ان التوقف قبل الدخول فى الامور حتى يستبين له رشده والتانى بعد الدخول فى الامور حتى يؤدى لكل جزء منه حقه ثم مقدمات الاناة ذكر وجوه الخطر فى الامور التى يعترض الانسان وضروب الافات المخوفة فيها وذكر ما فى التثبت من السلامة وما فى التعسف والاستعجال من الندامة والملامة بمدح وامثالها مما يبعث على التانى والتوقف فى الامور ويمنع من الاستعجال والتعسف

والله ولى التوفيق بفضله **واما الكبر** فاعلم ان خاطر فى رفع النفس واستعظامها والتكبر اتباعه والتواضع خاطر فى وضع النفس واحتقارها والتواضع اتباعه ولكل واحد منهما عامى وخاصى فالتواضع العامى هو الاكتفاء بالدون من الملبس والمسكن والمركب والتكبر فى مقابلته الترفع عن ذلك والتواضع الخاصى هو تمرين النفس على قبول الحق ممن كان وضيعا او رفيعا والتكبر فى مقابلتها الترفع عن ذلك وهو معصية كبيرة وخطيئة عظيمة ثم حصن التواضع العامى ان تذكر مبداك ومنتهاك وما انت عليه فى الحال من ضروب الافات والاقذار كما قال بعضهم اوله نطفة مذرة واخره جيفة قذرة وانت فيما بينهما حامل عذرة وحصن التواضع الخاصى هو ذكر عقوبة العادل عن الحق المتمادى فى الباطل فهذه جملة كافية لمن استبصر والله ولى التوفيق **الفصل الخامس فى البطن وحفظه** ثم عليك بحفظ البطن واصلاحه فانه اشق الاعضاء اصلاحا على المجتهد واكثرها مؤنة وشغلا واعظمها ضررا وانه الة المنبع والمعدن منه تهيج الامور فى الاعضاء من قوة وضعف وعفة وجماح ونحو فعليك اذا بصيانته عن الحرام والشبهة اولا ثم عن فضول الحلال ثانيا ان كانت لك همة وعبادة الله تعالى فاما الحرام والشبهة فانما يلزمك البحث عنها لثلثة امور اولها حذرا من نار جهنم قال الله سبحانه وتعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا وقال النبى صلى الله عليه وسلم

كل لحم نبت من سحت فالنار اولى به والثاني ان اكل الحرام والشبهة مطرود لا يوفق
للعبادة اذ لا يصلح لخدمة الله تعالى الا كل طاهر مطهر قلت ان اليسر الله تعالى
منع الجنب عن الدخول الى بيته والمحدث عن مس كتابه قال عز من قائل ولا جنبا
الا عابري سبيل وقال تعالى لا يمسه الا المطهرون مع ان الجنابة والحدث امر مباح
فكيف من هو منغمس في قذر الحرام ونجاسة السحت والشبهة متى يدعى الى خدمة
الله تعالى العزيز وذكره الشريف سبحانه كلا ولا يكون ذلك قال يحيى بن معاذ
الرازي الطاعة مخزونة في خزائن الله تعالى ومفتاحها الدعاء واسنانه
الحلال واذا لم يكن للمفتاح اسنان فلا ينفتح الباب واذا لم ينفتح باب
الخزانة كيف نصل الى ما فيها من الطاعة والثالث ان اكل الحرام والشبهة
محروم وان اتفق له فعل خير فهو مردود عليه غير مقبول منه فلا يكون
له من ذلك الا العناء والكد وشغل الوقت قال صلى الله عليه وسلم
كم من قائم ليس له من قيامه الا السهر وكم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع
والظماء وعن ابن عباس رضي الله عنه لا يقبل الله صلوة امرء وفي جوفه
حرام فمن بدن واما فضول الحلال فانه افة العباد وبلية اهل الحرام الاجتهاد
واذا تاملت وجدت فيه عشر افات بل اصول فمن ذلك الاولى ان في
كثرة الاكل قسوة القلب وذهاب نوره روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب يموت كالزرع اذا كثر

عليه الما

عليه الماء ولقد شبه ذلك بعض الصالحين بان المعدة كالقدر تحت القلب تغلي
والبخارات ترتفع اليه فكثرة البخار تتلبد وتسحمه والثانية ان في كثرة الاكل فتنة
الاعضاء وتهييجها وانبعاثها للفضول والفساد فان الرجل اذا كان شبعان بطرت
عينه النظر الى ما لا يعنيه من حرام او فضول والاذن الاستماع اليه واللسان التكلم والفرج
الشهوة والرجل المشي اليه وان كان جايعا فيكون الاعضاء كلها ساكنة هادية ولا تطمح
الى شيء منها ولا تبسط لها ولقد قال الاستاذ ابو جعفر رحمه الله ان البطن عضو ان جاع
هو تشبع ساير الاعضاء يعني تسكن فلا تطالبك شيء وان شبع هو جاع ساير
الاعضاء وجملة الامر ان ساير افعال الرجل واقواله على حسب طعامه وشرابه ان
دخل الحرام خرج الحرام وان دخل الفضول خرج الفضول كان الطعام بذر لها فعاله وافعاله
نبت بذره ومنه والثالثة ان في كثرة الاكل قلة الفهم والعلم فان البطنة تذهب
الفطنة ولقد صدق الداراني رحمه حيث قال اذا اردت حاجة من حوائج الدنيا
والاخرة فلا تاكل حتى تقضيها فان الاكل يغير العقل وهذا امر ظاهر علمه لمن
اختبره والرابعة ان في كثرة الاكل قلة العبادة لان الانسان اذا اكثر الاكل ثقل بدنه
وغلبته عيناه وفترت اعضاؤه فلا يجي منه شيء وان اجتهد الا النوم فيكون
كالجيفة الملقاة ولقد قيل اذا كنت بطنا فعد نفسك زمنا ولقد ذكر عن يحيى
صلوات الله عليه وسلامه ان ابليس بدا له وعليه معاليق فقال له يحيى
ما هذه قال الشهوات التي اصيد بها بني ادم قال هل تجد لي منها شيئا قال لا الا انك

شبعت ذات ليلة فثقلت عن الصلوة قال يحيى عليه السلام لا جرم اني لا اشبع بعدها
ابدا فقال ابليس لا جرم اني لا انصح احدا ابدا فهذا فيمن لم يشبع في عمره الا ليلة فكيف عمن لا
يجوع في عمره ليلة ثم يطمع في العبادة وقال سفيان العبادة حرفة وحانوتها الخلوة
والتها المجاعة الخامسة ان في كثرة الاكل فقد حلاوة العبادة قال ابو بكر الصديق رضي الله
عنه ما شبعت منذ اسلمت لاجد حلاوة عبادة ربي وما رويت منذ اسلمت اشتياقا
الى لقاء ربي وهذه صفات المكاشفين وكان رضي الله عنه مكاشفا واليه اشار صلى الله
عليه وسلم بقوله ما فضلكم ابو بكر بفضل صوم او صلوة وانما هو بشيء وقر في نفسه
وقال الداراني احلى ما تكون العبادة اذا التزق ظهري ببطني السادسة انه فيه خطر الوقوع
في الشبهة والحرام لان الحلال لا يأتيك الا قوتا ولقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان الحلال لا يأتيك الا قوتا والحرام يأتيك جزافا جزافا السابعة ان فيه شغل القلب
والبدن بتحصيله اولا وتهيئته ثانيا ثم باكله ثالثا ثم بالفراغ والتخلص عنه رابعا
ثم بالسلامة منه خامسا بان يبعد وامنه افة في البدن من افات وعلل ولقد قال
صلى الله عليه وسلم اصل كل داء البردة يعني التخمة واصل كل دواء الازم يعني الحمية
وعن مالك بن دينار انه كان يقول يا اخوتاه لقد اختلفت الى الخلاء حتى استحييت
من الله ثم في مدة الجملة من طلب الدنيا والطمع الى الناس وتضييع الوقت بسبب
كثرة الاكل ما لم يخف والثامنة من امور الاخرة شدة سكرات الموت وروي في الاخبار
ان شدة سكرات الموت على قدر لذات الحيوة فمن اكثر من هذه اكثر له من ذلك

والتاسعة

قسم المخطوطات

٤٧

والتاسعة نقصان الثواب في العقبى قال الله تعالى اذهبتم طيباتكم في حيوتكم الدنيا
الاية فانه بقدر ما تاخذ من لذات الدنيا تنقص لك من لذات الاخرة ولهذا المعنى ان
الله تعالى عرض الدنيا الى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قال لا انقص من اخرتك
نبينا خصه بذلك فدل على ان لعينه النقصان الا ان تفضل الله عليه بذلك و
لقد روي ان خالد بن الوليد رضي الله عنه اضاف عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهيأ له
طعاما فقال عمر هذا لنا فما الفقراء المهاجرين الذين ماتوا ولم يشبعوا من خبز شعير
قال لهم الجنة يا امير المؤمنين فقال عمر لئن فازوا بالجنة وكان هذا حظنا من
الدنيا فقد باينونا بونا مبينا وروي ان عمر رضي الله عنه عطش يوما فدعا
بماء فاعطاه رجل اناء فيه ماء بارد فيه تمرات فلما قربها عمر من فيه وجد
الماء باردا حلوا امسكه وقال اف فقال الرجل والله ما الوته حلاوة يا امير المؤمنين
فقال عمر رضي الله عنه ذلك الذي منعني ويحك لولا الاخرة لشاركناكم في عيشكم
العاشرة الحبس والحساب واللوم والتعيير في ترك الادب في اخذ الفضول
وطلب الشهوات فان الدنيا حلالها حساب وحرامها عقاب وشبهتها عتاب
فهذه جملة العشر وفي احدها كفاية لمن نظر لنفسه فعليك ايها المجتهد بالاحتياط
البالغ في القوت كيلا تقع في حرام وشبهة فتلزمك العقاب ثم لا تقتصد
من الحلال على ما يكون عونا على عبادة الله تعالى فلا تقع في شر وبلي في الحبس
والحساب والتوبيخ فوق فان قلت بين لنا اولا حكم الحرام والشبهة وحدهما

في قول العمر والله لقد اشبعنا القول فيه في اسرار معاملات الدين وذكرناه كتابا
مفردا في كتاب الاحياء لكنا نشير الى كلمات مفرقة بحيث تصل الى الفهم الضعيف
المبتدي اذ مقصود هذا الكتاب ان ينتفع به المبتدي في العبادة ويعين الطالب على
بعض العلماء ما تيقنت كونه ملكا للغير منهيا عنه في الشرع فهو حرام محض واما اذا لم
يكن للشيء يقين بذلك ولكن يغلب في ظنك انه كذلك وهو شبهة وقال اخرون بل الحرام
المحض ما يكون به علم او غالب ظن لان غلبة الظن مما يجري العلم في كثير من الاحكام و
اما تساوي الامارتان حتى ينبغي شيئا كلاهما يرجح عندك فذلك شبهة
يشبه انه حلال ويشبه انه حرام فاشتبه امره عليك والتبس حاله ثم الامتناع
عن الذي هو حرام محض حتم واجب وعن الذي هو شبهة تقوى وورع فهذا اولى التقوى
عندنا **فان قيل** فما تقول في قبول جوائز السلاطين في هذا الزمان **فاعلم** ان العلماء
اختلفوا فيه فقال قوم كل ما لا يتيقن انه حرام فله اخذه وقال اخرون لا يحل ان يؤخذ
ما لا يتيقن انه حلال لان الاغلب في هذا العصر على السلاطين الحرام والحلال في ايديهم
عزيز وقال قوم ان صلة السلاطين تحل للغني والفقير اذا لم يتحقق انها حرام وانما
التبعة على المعطي قالوا لان النبي صلى الله عليه وسلم قبل هدية المقوقس ملك
الاسكندرية واستقرض من اليهودي مع قول الله تعالى اكالون للسحت قالوا وقد
ادرك جماعة من الصحابة ايام الظلمة واخذوا منهم ابو هريرة وابن عباس وابن عمر
وغيرهم رضوان الله عليهم اجمعين وقال اخرون لا يحل من اموالهم شيء لغني ولا فقير

انه

اذ هم موسومون بالظلم والغالب من اموالهم السحت والحرام والحكم للغالب فيلزم الاجتناب
وقال اخرون ما لا يتيقن انه حرام فهو حلال للفقير دون الغني الا ان يعلم الفقير ان ذلك
عين الغصب فليس له ان يأخذ الا ليرده على مالكه ولا حرج على الفقير ان يأخذ من اموال
السلاطين لانها ان كانت ملك السلطان فاعطى الفقير فله اخذه بلا ريب
وان كان من غنيمة او خراج او عشر فللفقير فيه حق وكذلك لاهل العلم قال علي بن ابي طالب
رضي الله عنه قال من دخل الاسلام طايعا وقرأ القران ظاهرا فله في بيت مال
المسلمين كل سنة مائتا درهم وروي مائتا دينار ان لم يأخذها في الاخرة واذا كان
كذلك فالفقير والعالم يأخذ من حقه قالوا واذا كان المال مختلطا بما لا يعرف
لا يمكن تمييزه او غصبا لا يمكن رده على صاحبه وورثته فلا يخلص للسلطان
منه الا ان يتصدق به وما كان الله ليأمر بالصدقة على الفقير وينهى الفقير عن
قبوله ويأذن للفقير في القبول وهو عليه حرام فاذا للفقير ان يأخذ الا عين الغصب
والحرام فليس له اخذه وهذه المسائل لا يمكن القول فيها الا بالبسط والتحقيق والاتباع
القول فيها يخرج عن المقصود من الكتاب فان اردت معرفتها فطالع كتاب
الحلال والحرام من كتاب احياء علوم الدين تجده منشرحا مبينا ان شاء الله تعالى
فان قيل فما تقول في صلات اهل السوق وغيرهم هل يلزم ردها والبحث
عنها وقد علمت مجازفتهم وقلة نظرهم في معاملاتهم وكذلك صلات
الاخوان **فالجواب** انه اذا كان ظاهر الانسان الصلاح والستر فلا حرج

عليك في قبول صلته وصدقته ولا يلزمك البحث بان تقول قد فسد الزمان فان هذا
سوء ظن بذلك الرجل المسلم بل حسن الظن بالمسلمين مامور به ثم اعلم ما هو الا
في هذا الكتاب وهو ان ههنا شيئين احدهما حكم الشرع وظاهره والثاني حكم الورع
وحقه فحكم الشرع ان تاخذ ما انت تعلم ظاهره صلاح ولا تسال الا بتيقن انه غصب
او حرام بعينه وحكم الورع ان لا تاخذ من احد شيئا حتى تبحث عنه غاية البحث
وتستقصي غاية الاستقصاء فتستيقن انه لا شبهة فيه بحال والا فترده ولقد
روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه ان غلاما له اتاه بلبن فشربه فقال الغلام كنت
اذا جئتك بشيء سالتني عنه ولم تسالني عن هذا اللبن فقال وما قصته قال رقيت
قوما رقى الجاهلية فاعطوني هذا فقاءه ابو بكر وقال اللهم هذا مقدوري فما بقي في العروق
فانت حسبه فهذا يدلك على وجوب البحث عما تقدم عليه ان كان لك نظر
في الورع وحقه فتنبه هذه فان قلت فكان الورع يخالف الشرع وحكمه فاعلم ان
الشرع موضوع على اليسر والسماحة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية
السمحة والورع موضوع على التشديد والاحتياط كما قيل الامر على المتقي اضيق من
عقد التسعين ثم الورع من الشرع ايضا وكلاهما في الاصل واحد لكن للشرع حكمان
حكم الجواز وحكم الافضل الاحوط فالجائز يقال له حكم الشرع والافضل الاحوط
يقال له حكم الورع فهما مع تميزهما واحد في الاصل فافهم ذلك راشدا فان قلت
ان جاز البحث والاستقصاء عن كل شيء فسد علينا ما ناخذ في هذا الزمان

ونقدر الامر على صاحب الورع اذ لا بد له من بلاغ يبلغه الى الطاعة فاعلم ان طريق الورع
شديد وان من قصد سلوكه فشرطه ان يوطن نفسه وقلبه على احتمال الشدة والا
فلا يتم له ذلك ولهذا المعنى صار الكثير من اهل الورع والنساك يبوون الجبل لبنانا وغيره
واقتصروا على اكل الخبيز وثمرات نابتة لا شبهة فيها على انه من سمت نفسه الى منزل
الورع الاعلى فعليه ان يحتمل الشدائد ويصبر عليها ويسلك طريق اولئك
لينال منزلتهم واما ان اقام بين الناس واكل مما يبدو لونه في ايديهم فليكن عنده بمنزلة
الميتة لا يقدم عليها الا عند الضرورة لابقاية ولا منها الا مقدار يبلغه الى الطاعة فيكون
عذره في ذلك ولا يضيع وان كان في اصله شبهة فان الله تعالى اولى بالعذر ولهذا
قال الحسن البصري رحمه الله عليه فيما يسوق عليكم بالعو لبيد بلغني عن وهيب
بن الورد انه كان يجوع نفسه يوما ويومين وثلاثة ثم ياخذ رغيفا ويقول
اللهم انك تعلم اني لا اقوى على العبادة واخشى الضعف ولاجل ذلك اكله اللهم ان كان
فيه شيء من خبث او حرام فلا تؤاخذني ثم يبل الرغيف في الماء فياكله قلت
فهذان الطريقان للطبقة العليا من اهل الورع فيما نعلمه واما من دونهم فلهم
احتياط وبحث على مقدارهم ولكلهم ايضا نصيب من الورع على مقدار وبعد
ما تعني بنا لما تمنيتم والله تعالى لا يضيع اجر من احسن عملا وهو عليم بما
يعملون فان قيل فهذا جانب الحرام فاخبرنا عن جانب الحلال وما حد الفضول
الذي يلزم منه الحبس والحساب وما المقدار الذي اذا اخذه العبد يكون ذلك

ادبا ولا يكون فضولا ولا عليه حبس ولا حساب فالله اعلم ان احوال المباح في الجملة
ثلثة اقسام احدها ان ياخذ العبد منها في اكثر اموالها مباهيا فيكون الاخذ
فعلا منكرا يستوجب على ظاهر فعله الحبس والحساب واللوم والتعيير وهو منكر وشر
ويستوجب على باطن قصده وهو التكاثر والتفاخر عذاب النار وذلك القصد منه
معصية وذنب لقوله تعالى انما الحيوة الدنيا لعب ولهو الى قوله وفي الاخرة عذاب
شديد قال النبي صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا مباهيا مكاثرا مفاخرا
مرائيا لقي الله تعالى وهو عليه غضبان فالوعيد على قصده ذلك بقلبه والقسم الثاني
ان ياخذ الحلال لشهوة نفسه لا غير فذلك منه شر يستوجب عليه الحبس والحساب
لقوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم وقال النبي صلى الله عليه وسلم حلالها حساب
وحرامها عذاب والقسم الثالث ان ياخذ من الحلال في حال العذر ليستعين
على عبادة الله تعالى ويقتصر على ذلك منه خير وحسنة وادب لا حساب عليه
ولا عقاب بل يستوجب عليه الاجر والمدح لقوله تعالى اولئك لهم نصيب مما كسبوا
وقال صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا استعفافا عن المسئلة وتعطفا
على جاره وسعيا على عياله جاء يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر وذلك
لما قصده هذا المقصود المحمود لله سبحانه فهذه هذه فاعلمها فان قيل فما شرط
المباح حتى يصير خيرا وحسنة لما ذكرتم فاعلم ان المباح لكونه خيرا في الاصل
الشرطين احدهما الحال والثاني القصد فالحال يجب ان يكون في حال عذر وهو بحيث

ان لم ياخذ ونفسه ان يكون حاله ان لم ياخذ ذلك المباح ينقطع بسببه عن فرض
او سنة او نفل فيكون ذلك افضل من ترك المباح الدنيا فضيلة فان لم يكن الحال
كذلك فهو المباح حال العذر واما القصد فان يقصد به العزم والاستعانة
على عبادة الله سبحانه وتعالى وهو يذكر بقلبه انه لولا ما فيه من التواصل الى عبادة الله
سبحانه لما اخذت ذلك فهذا ذكر الجنة فلما حصل ذكر الجنة في حال العذر صار بذلك
الاخذ من الدنيا الحلال خيرا وحسنة وادبا واما لو كان في حال العذر
ولا يكون له هذا القصد والذكر او يكون له هذا الذكر ولا يكون في حال العذر فلا
يصير ذلك الاخذ من جملة الخيرات ثم الاستقامة على حفظ هذا الادب محتاج
الى بصيرة وقصد مجمل بان لا ياخذ الدنيا بحال الا للعزم على عبادة الله تعالى حتى انه
ان سها عن ذكر الجنة في حال اجزأه ذلك القصد المجمل عن تجديد ذكر الجنة قال
شيخنا رحمه الله عليه فصارت الامور الثلثة معتبرة في حصول كونه خيرا
اصلا والقصد المجمل المقتضى عن بصيرة منزلة الادب معتبرا في الاستقامة
عليه فافهم ذلك راشدا فان قيل فان اخذ الدنيا الحلال لشهوة فهل يكون
ذلك معصية وهل يلزم عذاب وهل الاخذ بالعذر فضيلة ام لا فاعلم ان ذلك
فضيلة ونسميه خيرا وحسنة والامر به امر تاديب والاخذ بالشهوة
شر وسيئة والنهي عنه نهي زجر وليس ذلك بمعصية ولا يكون عليه
عذاب النار وانما عليه الحبس والحساب واللوم والتعيير فان قلت فما هذا

الحبس والحساب الذي يلزم العبد فاعلم ان الحساب ان تسأل يوم القيمة عن ما ذا
وفيما ذا انفقت وما ذا اردت بذلك والحبس حبس عن الجنة مدة الحساب
في عرصة القيمة بين اهوالها ومخاوفها عريانا عطشانا ولفى بذلك بلية فان قيل
فان الله سبحانه قد احل لنا هذا الحلال فلم اللوم والتعيير ولحقه لما ذا فاعلم ان اللوم
والتعيير لترك الادب كمن اجلس على مائدة الملك فترك الادب فانه يعير
بذلك ويلام وان كان الطعام له مباحا والاصل في هذا الباب ان الله تعالى خلق
العبد لعبادته فهو عبد الله تعالى من كل وجه فحق للعبد ان يعبد الله تعالى من كل وجه
يمكنه ويجعل افعاله كلها عبادة من اي وجه امكنه وان لم يفعل ذلك واتى بشهوة
نفسه واشتغل بذلك عن عبادة ربه مع تمكنه من ذلك من غير تعذر ولا اد
ا رخذ منه وعبادة لا لا تنعم وشهوة استحق بذلك اللوم والتعيير من حيث فقد
هذا الاصل فاشتغلوا ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فهذه الجملة التي اردنا بيانها
في اصلاح النفس والجامها بلجام التقوى فارعها حقها واحتفظ بها تجدا تفز
بالخير الكثير في الدارين ان شاء الله تعالى والله ولي العصمة بفضله فصل
فعليك ايها الرجل سدد المجهود في قطع هذه العقبة العظيمة الطويلة فانها اعظم
العقبات شدة واكثرها مؤنة واكبرها افة وفتنة فان من هلك
من الخلق كلهم انما انقطعوا عن طريق الحق اما بسبب دنيا او خلق او شيطان
او نفس ولقد ذكرنا في كتبنا المصنفة من كتاب الاسرار والاحياء والقربة الى الله

ما يبعث الله تعالى ان يطلعنا بطلعتي على سر معالجة النفس وان يصلحني ويصلح بي في قصر
وهذا الكتاب الشريف على ركته وجيزة اللفظ عزيزة المعنى تقنع من تاملها وتدعه
على واضحة من الطريق ان شاء الله عز وجل وهذا الفصل مختص بكيفية معالجة الدنيا
والخلق والشيطان والنفس واما الدنيا فحيلتك ان تحذرها وتزهد فيها لان الامر
لا يخلو من ثلثة اما انت من ذوي البصاير والفطن فحسبك ان الدنيا عدوة الله
سبحانه وهو حبيبك ووليك وان الدنيا نقيمة غفلتك والعقل فيما لك
واما من ذوي الهمم في عبادة الله تعالى والاجتهاد فحسبك ان الدنيا تبلغ من شومها
ما يمنعك ارادتها وتشغلك الفكر فيها عن العبادة والخير وكيف نفسها واما انت
من اهل الغفلة لا يصنع لك بتصر الحقايق ولا يغرك على المكارم فحسبك ان الدنيا
لا تبقى اما ان تفارقها واما ان تفارقك كما قال الحسن الا بعثت لك الدنيا لم تبقى
لها فاني قايلة اذا في طلبها وانفاق العمر العزيز عليها ولقد احسن القايل يذهب الدنيا
تساق اليك عفوا • اليس مصيرنا ذاك الى الزوال • وما دنياك الا مثل ظل
اظلك ثم اذن بارتحال • فلا ينبغي للعاقل اذا ان يتخدع بها ولقد صدق القايل حيث
قال اضغاث نوم او كظل زايل ان اللبيب بمثلها لا يخدع واما الشيطان فحسبك
فيه ما قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وقل رب اعوذ بك من همزات
الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون فهذا خير العالمين واعلمهم واعقلهم
وافضلهم عند الله يحتاج مع ذلك ان يستعيذ بالله من شر الشيطان فكيف بك

مع جهلك ونقصك وغفلتك واما الخلق فحسبك فيهم انك ان خالطتهم ووافقتهم
في اهوائهم اثمت وافسدت امر اخرتك وان خالفتهم تعبت باذياتهم وجفواتهم ولا تدري
عليك امر دنياك ثم لا تامن ان يلجئوك الى معاداتهم ومناواتهم وتقع في شرهم ولا تامن
ان مدحوك وعظموك اخاف عليك الفتنة والعجب وان ذموك وحقروك
اخاف عليك الحزن تارة والغضب لغير الله تعالى اخرى وكلا الامرين افة مهلكة ثم اذكر
حالك معهم بعد ما صرت الى القبر تلتذ ايام كيف يتركونك ويهجرونك وينسونك
ولا يكادون يذكرونك كانك لم تزرهم يوما ولم يروك فلا يبقى هنالك الا الله سبحانه
افلا يكون من الغبن العظيم ان تضيع ايامك مع هؤلاء الخلق مع قلة الوفاء
وقلة البقاء معهم وتترك خدمة الله تعالى الذي يرجع اليه احوال امرك ولا
يعزلك الا هو ابدا لا بد لك من الحاجة اليه والتكلان عليه والاعتصام به
في كل حال وعند كل شدة وهول وحده لا شريك له فتأمل يا مسكين لعلك
ترشد والله ولي الهداية بفضله ورحمته **واما النفس** فحسبك ما نشاهد من
حالاتها وزيادة ارادتها وسوء اختيارها فهي في حال الشهوة بهيمة وفي حال الغضب
سبع وفي حال المصيبة تراها طفلا وفي حال النعمة تراها فرعونا وفي حال الجوع
تراها مجنونا وفي حال الشبع تراها مختالا ان اشبعتها بطرت ومرحت وان
جوعتها صاحت وجزعت فهي كما قال الاول كحمار السوء ان اشبعته رمح الناس وان
جاع نهق ولقد صدق بعض الصالحين حيث قال ان زيادة هذه النفس وجهلها

بحيث

بحيث اذا همت بمعصية او انبعثت لشهوة لو تشفعت اليها بالله سبحانه ثم برسوله وبجميع
انبيائه وبكتبه وبجميع السلف الصالحين عباده وتعرض عليها الموت والقبر والقيامة
والجنة والنار لا تعطي القياد ولا تترك الشهوة ثم استقبلها بمنع رغيف لتسكن
وتترك شهوتها لتعلم خستها وجهلها فاياك ان تغفل عنها فانها كما قال
خالقها العالم بها جل جلاله ان النفس لامارة بالسوء فكفى بهذا تنبيها لمن عقل ولقد
بلغنا عن بعض الصالحين يقال له احمد بن ارقم البلخي انه قال نازعتني نفسي بالخروج
الى الغزو فقلت سبحان الله ان الله سبحانه وتعالى يقول ان النفس لامارة بالسوء
وهذه تامرني بالخير وهذا لا يكون ابدا ولكنها استوحشت فتريد لقاء الناس
فتستروح اليهم ويتسامع الناس بها فيستقبلونها بالتعظيم والبر والاكرام فقلت
لها لا انزلك العمران ولا انزل على معرفة فاجابت فاسات الظن بها وقلت ان الله
تعالى اصدق فقلت لها اقاتل العدو حاسرا فتكونين اول قتيل فاجابت
وعددت اشياء منها ارادها فاجابت الى كل ذلك قال فقلت يا رب نبهني بها فاني
متهم لها مصدق لك فكوشفت كانها تقول يا احمد انت تقتلني كل يوم بمنعك
اياي من شهواتي ومخالفتك ولا يشعر بي احد فان قاتلت قتلت
مرة فنجوت منك ويتسامع الناس فيقال استشهد احمد فيكون لي شرفا وذكرا
قال فقعدت ولم يخرج الى الغزو في ذلك العام فانظر الى خداع النفس وغرورها
تراءي الناس بعد الموت بعمل لم تعمل بعد ولقد صدق القائل واحسن توق

نفسك لان من عوايدها فى النفس اخبث من سبعين شيطانا فتنبه رحمك الله لهذه
الخلة الهايلة فى النفس وولع علي مخالفتها قلبك بكل حال تصب وتسلم ان شاء الله
ثم عليك بالجامها بالتقوى لا حيلة لها سواه **واعلم** ان هاهنا اصلا اصيلا وهو ان
العبادة شطران شطر الاكتساب وشطر الاجتناب فالاكتساب فعل الطاعات
والاجتناب الامتناع عن المعاصي والسيئات وهو التقوى وان شطر الاجتناب على كل حال
اسلم واصلح وافضل واشرف للعبد من شطر الاكتساب ولذلك يشتغل المبتدئون من اهل
العبادة الذين هم فى اول درجة الاجتهاد بشطر الاكتساب كل همتهم ان يصوموا نهارهم
ويقوموا ليلهم ونحو ذلك ويشتغل المنتهون اولو البصاير من اهل العبادة بشطر
الاجتناب انما همتهم ان يحفظوا قلوبهم عن الميل الى غير الله سبحانه وبطونهم عن الفضول
والسنتهم عن اللغو واعينهم عن النظر الى ما لا يعنيهم ولهذا المعنى قال العابد الناسك من
العباد ليونس يا يونس ان من الناس من حبب اليهم الصلوات فلا يؤثرون عليها
شيئا وهي عمود العبادة بالنيات لله تعالى والصدق والتضرع والابتهال ومنهم من حبب
اليهم الصوم فلا يؤثرون عليه شيئا ومنهم من حبب اليهم الصدقة فلا يؤثرون
عليه شيئا يا يونس وانا مفسر لك هذه الخصال اجعل صومك الصمت
عن كل سوء واجعل صدقتك كف الاذى فانك لا تتصدق بشيء افضل منه ولا
تصوم بشيء ازكى منه فاذا علمت ان جانب الاجتناب اولى بالرعاية والاجتهاد
فيه فان حصل لك الشطران جميعا الاكتساب والاجتناب فقد استكملت امرك

وحصل

وحصل مرادك ولقد سلمت وغنمت وان لم يتيسر الا احدهما فليكن ذلك جانب
الاجتناب فتسلم ان لم تغنم والا خسرت الشطرين جميعا وما ينفعك قيام الليل
وتعبه ثم تحبط بذرة واحدة وما ينفعك صيام نهار طويل ثم تفسد بكلمة واحدة
ولقد روينا عن ابن عباس انه قيل له ما تقول فى رجلين احدهما كثير الخير وكثير الشر
والاخر قليل الخير وقليل الشر قال لا اعدل بالسلامة شيئا ومثال ما قلناه حال المريض
وذلك ان معالجة المريض نصفان نصف هو الدواء ونصف هو الاحتماء فان اجتمعا
فكانك بالمريض وقد برئ وصح والا فالحمية اولى اذ لا ينفع دواء مع ترك الاحتماء
ولقد ينفع الاحتماء مع ترك الدواء ولقد قال صلى الله عليه وسلم اصل كل دواء
الحمية والمعنى بها والله اعلم انها تغني عن كل دواء ولذا يقال ان الهند جل معالجتهم
الحمية يمنع المريض من الاكل والشرب والكلام عدة ايام فيبرأ ويصح بذلك
لا غير فتبين بهذه الجملة ان التقوى ملاك الامر وجوهره واهلها هم الطبقة
العلية العليا من العباد فعليك ببذل المجهود فى ذلك وصرف جل العناية اليه
والله سبحانه ولي التوفيق **فصل** ثم راع هذه الاعضاء الاربع التي هي
الاصول **الاول** العين وحسبك فيها ان مدار امور الدين والدنيا على القلب
وان خطر القلب وشغله وفساده فى الاكثر من العين ولذلك قال عليه السلام
من لم يملك عينه فليس للقلب عنده قيمة **والثاني** اللسان وحسبك انه فيه
ربحك وغنيمتك وثمرة تعبك واجتهادك كله العبادة والطاعة وان خطر

العبادة واحباطها وافسادها فالاكثر من فضول الكلام بالتصنع والتزين والغيبة ونحو
يتلف عليك بلحظة واحدة ما تعبت فيه سنة بل خمسا وعشرا ولذلك قيل ما شيء
احق بطول السجن من اللسان وفيما روي ان احد العباد السبعة في ايام يونس عليه السلام
يا يونس ان العباد اذا اجتهدوا في العبادة لم يتقووا على عبادتهم بشيء افضل من الصبر
عن الكلام في فصل طويل ثم عاد الى ذلك فقال لا تكونن عندك شيء ازين من حفظ لسانك
ولا تكونن شيء اغنى من سلامة صدرك فمن هذا ثم اذكر النفس الذي تكلمت
فيه بفضول ما كان يضرك لو قلت استغفر الله فربما يوافق ساعة غرة فيغفر
لك فتربح راسك او قلت لا اله الا الله فيكون لك من الاجر والذخر ما لا يحيط به
وهلا تقول اسال الله العافية فربما يتفق حسن نظر فيستجيب الله تعالى دعوتك
فتنجو من بلية الدنيا والاخرة الا يكون من الخسران العظيم والغبن الفظيع ان
تفوت عن نفسك كل هذه الفوايد الكريمة وتجعل نفسك ووقتك في فضول الى ما
يلزمك فيه اللوم والحساب يوم القيمة ولقد احسن القايل وانا ما صمت بالنطق
في الباطل مكان تسبيحا **والثالث** البطن وحسبك ان مقصود العبادة وان الطعام
بذر العمل وما فيه يبدا وينبت واذا خبث البذر لا يطيب الزرع بل فيه خطر
ان يفسد عليك ارضك فلا تفلح ابدا ومن ذلك بلغنا عن معروف الكرخي رحمه الله
انه قال اذا صمت فانظر على اي شيء تفطر وعند من تفطر وطعام من تاكل فكم من ياكل
اكلة فينقلب قلبه عما كان عليه لا يعود الحالة ابدا وكم من اكلة حرمت قيام ليلة

وكم من نظرة ضيعت قراءة سورة وان العبد ليأكل الاكلة فيحرم بها قيام سنة فعليك
ايها الرجل بالنظر الدقيق والاحتياط البالغ الشديد في ذلك ان كان لك عناية بقلبك
وهمة في عبادة ربك هذا في اصل القوت حتى يكون من وجه ثم عليك بالادب فيه والا
لئن كنت للطعام مضيعا للايام اذ قد علمنا يقينا بل راينا عيانا ان العبادة لا تجيء
عنها شيء زا امتلاء البطن وان اكرهت النفس على ذلك وجاهدت بضروب
الحيل فلا يكون لتلك العبادة حلاوة ولا لذة ولذلك قيل لا تطمع حلاوة في العبادة مع
كثرة الاكل واي نور في نفس بلا عبادة بلذة ولا حلاوة ولهذا المعنى قال ابراهيم بن
ادهم رحمه الله صحبت الرجال لله تعالى في جبل لبنان فكانوا يوصونني اذا رجعت
الى ابناء الدنيا فعظهم باربع قل لهم من يكثر الاكل لا يجد لذة العبادة ومن ينم
كثيرا لا يجد في عمره بركة ومن طلب رضاء الناس فلا ينتظر رضاء الرب
ومن يكثر الكلام بفضول وغيبة فلا يخرج من الدنيا على دين الاسلام وعن سهل
انه قال اجتماع الخير كله في هذه الخصال الاربع بها صارت الابدال ابدالا اخماص
البطون والصمت والاعتزال عن الخلق وسهر الليل وقال بعض العارفين
الجوع راس مالنا ومعناه ان ما يحصل لنا من فراغ وسلامة وعبادة وحلاوة
وعلم نافع بسبب الجوع والصبر عليه لله سبحانه واما القلب فحسبك انه اصل
الكل ان افسدته فسد الكل وان اصلحته صلح الكل اذ هو الشجرة وساير الاعضاء
الاغصان ومن الشجرة شرب الاغصان وتصلح وتفسد وانه الملك

وسائر الاعضاء تبع والكل وان صلح الملك صلحت الرعية واذا فسد فسدت
فان اصلاح العين واللسان والبطن وغيره دليل على اصلاح القلب وعمارته واذا رايت
فيه خللا او فسادا فاعلم ان ذلك من خلل في القلب وفساد وقع ثم بل الفساد
فيه اكثر فاصرف عنايتك اليه فاصلحه يصلح لك الكل لتستريح ثم امر دقيق عسير
اذ هو مبني على الخواطر وهي ليست تحت يدك والامتناع من اتباعها مجهود طاقتك
ففيه اقصى المشقة ولهذا المعنى صار اصلاحه اشد على اهل الاجتهاد والاهتمام بامره
اكثر واكبر عندهم وفي البصائر روي عن ابي يزيد رحمه الله قال عالجت قلبي عشرا ولساني
عشرا ونفسي عشرا فكان قلبي اصعب الثلثة فلهذا ثم عليك بالاهتمام
بالخصال الاربع التي ذكرناها من الامل والعجلة في الامور والحسد والكبر وانما
خصصنا هذه الاربع من بين سائر الخصال في هذا الموضع وخصصناها على الاحتراز منها
منها انها علل القراء خاصة اذ هي تعتري سائر الناس عموما والقراء خصوصا
فيكون اقبح واشنع ترى الرجل القارئ بطول الامل وبعده نية خير فيوقعه
في الكسل والتواني في العمل وتراه يستعجل في تحصيل منازل الخير فينقطع عنها
او في اجابة دعاء صالح فيحرم ذلك او في الدعاء على احد بسوء فيندم على ذلك
كما ذكر عن نوح عليه السلام وتراه يحسد نظراءه على ما اتاهم الله من فضله
حتى ربما بلغ ذلك منه مبلغا يحمله على قبائح وفضائح لا يقدم عليها فاسق
ولا فاجر ولهذا المعنى قال سفيان الثوري رحمه الله ما اخاف على ديني الا القراء .

والعلماء فاستنكروا منه ذلك فقال ما انا قلته انما قاله ابراهيم بن النخعي وعن عطاء
قال الثوري رحمه الله احذروا القراء واحذروني معهم فلو خالفت اودهم لي في رمانة فاقول
انها حلوة يقول انها حامضة ما امنته ان يسعى بدمي الى السلطان الجائر وعن مالك
بن دينار اني اقبل شهادة القراء على جميع الخلق ولا اقبل شهادتهم على بعضهم بعض
لاني وجدتهم حسادا وعن الفضيل انه قال لابنه اشتر لي دارا بعيدا من القراء
ما لي ولقوم ان ظهرت مني زلة هتكوني وان ظهرت علي نعمة حسدوني
وكذلك تراه يتكبر على الناس ويستخف بهم مصعرا خده من الناس معبسا
وجهه كانما يمن على الناس بما يصلي زيادة ركعتين او كانما جاءه من الله
تعالى منشور بالجنة والبراءة من النار او كانه استيقن السعادة لنفسه والشقاء
لسائر الناس ثم مع ذلك يلبس لباس المتواضعين من صوف وغيره ويتماوت
وهذا لا يليق بالترفع والتكبر ولا يلائمه بل ينافيه ولكن الاعمى لا يبصر
وذكر ان فرقدا السبخي دخل على الحسن وعليه كساء وعلى الحسن حلة فجعل يلمسها
فقال الحسن ما لك تنظر الى ثيابي ثيابي ثياب اهل الجنة وثيابك ثياب اهل النار
بلغني ان اكثر اهل النار اصحاب الاكسية ثم قال الحسن جعلوا الزهد في ثيابهم
والكبر في صدورهم والذي يحلف به لاحدكم بكسائه اعظم كبرا من صاحب المطرف
بمطرفه ولهذا المعنى اشار ذو النون رحمه الله حيث قال • تصوف
فازدهى بالصوف جهلا • وبعض الناس يلبسه مجانه • يريك مهانة ويريك

مهانة ويريك كبرا، وليس الكبر من شكل المهانة، تصونوا لئن يقال له امين، وما معنى
تصونه في الامانة، ولم يرد الالذة، ولكن ارادة الطريق الى الخيانة، فتحذر يا ايها الرجل من
هذه الافات الاربع لا سيما الكبر فان الثلثة الاول مما حصل لو زللت فيها لوقعت
في العصيان والكبر مما حصل لو وقعت فيها لوقعت في عار الكفر والطغيان ولا تنس
حديث ابليس وقصته انه ابى واستكبر وكان من الكافرين والرجوع الى الله تعالى
ان يعصمنا جميعا بحسن نظره انه الجواد الكريم **فصل** وجملة الامر انك
اذا نظرت بعقلك ايها الرجل فعلمت ان الدنيا لا بقاء لها وان نفعها لا يفي بضررها
وتبعاتها من كد البدن وشغل القلب في الدنيا والعذاب الاليم والحساب الطويل
في الاخرة زهدت في فضولها فلا تاخذ منها الا ما لا بد لك منه في عبادة ربك
وتدع التنعم والتلذذ الى الجنة دار النعيم المقيم في جوار رب العالمين الملك
القادر الغني الكريم وعلمت ان الخلق لا وفاء لهم وان مؤنتهم اكثر من معونتهم فيما
بعينك تركت مخالطتهم الا فيما لا بد لك منه تنتفع بخيرهم وتجتنب ضررهم وتجعل
صحبتك لمن لا تخسر من صحبته ولا تندم على خذمته وانسك بكتابه وملا
زمنك اياه فيكون لك بكل حال وترى منه كل جميل وافضال وتجده عند
كل نائبة في الدنيا والاخرة كما قال صلى الله عليه وسلم احفظ الله تجده حيث
اتجهت وعلمت ان الشيطان خبيث فجرة لعداوتك فاستعذت
بربك القادر القاهر من هذا الكلب اللعين ولا تغفل من مكايده ومصايده

فتطرح

فتطرحه بذكر الله بعيدا ولا تعبا بذلك فانه يسير اذا ظهر منك عزيمة الرجال وانما قال
تعالى انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون ولقد صدق ابو حازم فيما
قال ما الدنيا وما ابليس اما الدنيا فما مضى منها فحلم وما بقي فاماني واما الشيطان
فوالله لقد اطيع فما نفع ولقد عصي فما ضر وعلمت جهالة بني النفس وجماحها الى ما
يضرها ويهلكها نظرت اليها رحمة لها نظر العقلاء العلماء الذين ينظرون في العواقب
لا نظر الجهال والصبيان الذين ينظرون الحال ولا يفطنون الغاية الاذى ويرون من مرارة
الدواء والحجامة بلجام التقوى بان تمنعها عما لا تحتاج اليه بالحقيقة من فضول
وكلام ونظر وتلبس بخصلة فاسدة من طول امال وعجل او حسد مسلم او تكبر
في غير موضع واكل محض شهوة او شرع وتعطيها ما ليس لها منه بد ولا تخاف
منه ضررا اذا اضررت الى الفضول او قد وسع الله تعالى الامر على عباده برحمته واغناهم
عن جميع ما يضرهم في امر دينهم فان حاجة الى ذلك فان الامر كما قال بعض الصحابة
ان التقوى اهون شيء اذا رابني شيء تركته فان النفس ستلين فتتعود ما عودتها
وانه كما قال القائل والنفس راغبة اذا رغبتها واذا ترد الى قليل تقنع وقال اخر في النفس
ما حملتها تتحمل وقال اخر وما النفس الا حيث تجعلها الفتى فان تاقت
تاقت والا تسلت فاذا علمت الذي وصفناه لكنت من الزاهدين الراغبين في الاخرة
فاعلم ان من سمي باسم الزهد فلقد سمي بالف اسم ممدوح وكنت من المتفرغين
المنقطعين الى الله عز وجل الذين هم اهل الاستخدم رب العالمين فتكون كما قال

القايل لنشا على قوم بدنياهم • وقوم تحملوا لاخراهم • فالزمهم باب مرضاته وعن باب الخلق
اغناهم • وكنت من المجاهدين في الله الخواص من عباد الله الذين قال فيهم سبحانه وتعالى ان
عبادي ليس لك عليهم سلطان وكنت من المتقين الذين هم سادة الدارين وصرت حينئذ افضل
من كثير من الملائكة المقربين اذ ليست لهم شهوة تدعوا الى قبيح ولا نفس خبيثة وكنت
قد خلفت هذه العقبة الطويلة الشديدة وسبقت العوايق كلها الى مقصودك
ولا يهولنك فان مع الاستعانة بالله والاعتصام به لهين سهل نسأل الله وهو خير
مسئول ان يمدك وايانا بحسن توفيقه وعونه وتيسيره فانه الكافي لكل مهم والمستعان
به في كل معضل فبيده الخلق والامر وهو على كل شيء قدير فهذا ما اردنا ذكره في هذا الباب
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم **العقبة الرابعة** وهي عقبة العوارض ثم عليك
يا طالب وفقك الله بكفاية العوارض الشاغلة عن عبادة الله تعالى وسد سبلها
عليك لئلا يشغلوك عن مقصودك وقد ذكرنا انها اربعة احدها الرزق ومطالبة
النفس بذلك وانما كفايته في التوكل فعليك بالتوكل على الله عز وجل في مواضع
الرزق والحاجة بكل حال وذلك لامرين احدهما لتتفرغ للعبادة وتتمشى لك
من الخير حقه فان من لم يكن متوكلا فلا بد من اشتغاله عن عبادة الله تعالى
بسبب الحاجة والرزق والمصلحة اما ظاهرا وباطنا اما بطلب وكسب بالبدن
كعامة الراغبين واما بذكر وارادة ووسوسة بالقلب كالمجتهدين المتقين
والعبادة تحتاج الى فراغ القلب والبدن ليحصل حقها والفراغة لا تكون الا للمتوكلين

بل اوكل من هو ضعيف القلب لا يكاد يطمئن قلبه الا بشيء معلوم لا يكاد يتم له امر خطير
من دنيا واخرة وكثيرا ما سمعت من شيخي ابي محمد رحمه الله يقول انما الامر ينبني في العالم
رجلين متوكل او متهور قلت انا هذا كلام جامع في معناه فان المتهور يقصد الامور
على قوة وعادة وجراة قلب لا يلتفت المصارف يصرفه او خاطر يضعفه
فتجري له الامور والمتوكل يقصد الامور على قوة وبصيرة وكمال يقين بوعد الله سبحانه
وتمام ثقة بضمانه لا يلتفت الى انسان يخوفه او شيطان يوسوسه فيفوز
بمقاصده ويظفر بمطالبه وانما المعلوق الضعيف ابدا بين نكول وتردد وفتور
ويتحير كالحمار في معلفه والدجاج في قفصه يرى ما تقوده من صاحبه لا يكاد
ينفك من ذلك تقاعدت نفسه عن معالي الامور وانقطعت همته فلا يكاد يقصد
امرا شريفا وان قصد فلا يكاد يظفر ولا يتم له ذلك اما ترى اصحاب الهمم من
ابناء الدنيا لم ينالوا مرتبة كبيرة ومنزلة خطيرة الا بانقطاع قلوبهم عن
انفسهم واموالهم واهلهم اما الملوك فيباشرون الحروب ويقتحمون الاعداء
اما هلكوا واما ملكوا حتى يحصل لهم مرتبة الملك وعقد الولاية وقيل ان معاوية
لما نظر الى العسكرين يوم الصفين قال من اراد خطيرا خاطر بعظيمته واما
التجار فيركبون المهالك برا وبحرا ويطرحون انفسهم واموالهم في المقاطع
شرقا وغربا ويوطنون انفسهم على احد الامرين اما فوت الارواح واما
حصول الارباح حتى يحصل لهم بذلك ربح عظيم ومال جسيم وعلق نفيس

وانما التوقي الذي قد ضعف قلبه ورق عزمه ولا يكاد يقلع قلبه عن علاقة من
نفسه وماله فهو من بيته الى دكانه طول عمره ولا يصل الى مرتبة شريفة كالملوك
ولا الى ربح عظيم كالتجار المخاطرين وان نال في سوقه ربحا على بضاعة درهما
فذلك له كثير وذلك لتعلق قلبه بشيء معلوم فهما في الدنيا وأبناؤها وأما أبناء
الآخرة ورأسها لهم هذه الخصلة التي هي التوكل وقطع القلب عن العلائق لما احكموه
وحصلوها حقها تفرغوا لعبادة الله تعالى وتمكنوا من التفرد عن الخلق والسياحة
في الارض واقتحام الفيافي واستيطان الجبال والشعاب فصاروا في العباد رجال
الدين واحرار الناس وملوك الارض بالحقيقة يسيرون حيث يشاؤون وينزلون
حيث يشاؤون ويقصدون من الامور العظام علما وعبادة ما يشاؤون لا عائق
لهم ولا حاجز دونهم فكل الاماكن لهم واحد وكل الازمان عندهم واحد واليه الاشارة ع
بقوله صلى الله عليه وسلم من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله ومن سره
ان يكون اغنى الناس فليكن بما في يد الله اوثق منه بما في يده وعن
سليمان الخواص لو ان رجلا توكل على الله سبحانه بصدق النية لاحتاج اليه
الامراء ومن دونهم وكيف يحتاج ومولاه الغني الحميد وعن ابراهيم الخواص
قال لقيت غلاما في التيه كأنه سبيكة فضة قلت له الى اين يا غلام قال الى مكة
قلت بلا زاد ولا راحلة فقال يا ضعيف اليقين الذي يقدر على حفظ السموات
والارض يقدر ان يوصلني الى مكة بلا زاد ولا راحلة فلما دخلت مكة واذا

هو في الطواف يقول يا نفس سيحي ابدا ولا تحبي احدا الا الجليل الصمد يا نفس موتي كمدا فلما
رآني قال يا شيخ انت بعد على ذلك الضعف وقال ابو مطيع لحاتم الاصم بلغني انك
تقطع المفاوز بالتوكل من غير زاد فقال حاتم زادي اربعة اشياء قال ما هي قال ارى
الدنيا والآخرة مملكة لله تعالى وارى الخلق كلهم عبيد الله تعالى وعياله وارى الارزاق
والاسباب كلها بيد الله تعالى وارى قضاء الله نافذا في جميع ارض الله ولقد احسن
من قال ارى الزهاد في روح وراحة قلوبهم عن الدنيا مزاحة اذا ابصرتهم ابصرت
قوما ملوك الارض شيمتهم سماحة **وانما امر الثاني** الذي يقتضي التوكل على الله سبحانه
فهذا الشأن ما يورث من الخطر العظيم والامر الكبير فقد البس الله سبحانه قرن الرزق
بالخلق فقال خلقكم ثم رزقكم فدل على ان الرزق من الله سبحانه كالخلق
ثم لم يكتف بالدلالة حتى وعد فقال ان الله هو الرزاق ثم لم يكتف بالوعد حتى
ضمن فقال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ثم لم يكتف بالضمان حتى
اقسم فقال فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون ثم لم يكتف
بذلك كله حتى امرنا بالتوكل وابلغ وانذر فقال وتوكل على الحي الذي لا يموت
عجب وقال سبحانه وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين فمن لم يثق بقوله ولم يعتبر ولم
يكتف بوعده ولم يطمئن الى ضمانه ولم يقنع بقسمه ثم لم يبال بامره ووعده و
فانظر ماذا يكون حاله واي محنة تجيء من هذا ويحه والله مصيبة شديدة
ونحن منه في غفلة عظيمة ولقد قال الصادق الامين صلى الله عليه وسلم

لابن عمر كيف انت اذا بقيت بين قوم يخبئون رزق سنتهم لضعف اليقين وعن الحسن
انه قال لعن الله اقواما اقسم لهم ربهم فلم يصدقوه وقالت الملائكة عند نزول هذه الاية
فورب السموات والارض هلكت بنو ادم اغضبوا الرب حتى اقسم لهم على ارزاقهم وعن
اويس القرني رضي الله عنه انه قال لو عبدت الله عبادة اهل السموات والارض لم يتقبل
منك حتى تصدقه قيل وكيف نصدقه قال تكون امنا مما تكفل الله من امر رزقك
وترى جسدك فارغا للعبادة ولقد قال له هرم بن حيان اين تامرني ان اقيم فاومى الى الشام
قال كيف المعيشة بها قال اف لهذه القلوب لقد خالطها الشك فما ينفعها الموعظة و
بلغنا ان بنانا ثابت يصلي بين يدي ابي يزيد البسطامي رحمه الله فساله ابو يزيد عن حاله فقال
نتشت عن الفقر فلم ازوجهم الى القبلة الا رجعين فقال ابو يزيد يا مساكين او
لئن نعمة الرزق حولت وجوههم عن القبلة وذكر لي بعض اصحابنا انه راى
رجلا من اهل الصلاح فساله عن حاله فقال هل سلمت بايمانك فقال انما يسلم
الايمان للمتوكلين نسال الله تعالى ان يصلحنا بفضله ولا يواخذنا بما نحن اهله
انه ارحم الراحمين فهذه جملة **فان قلت** فاخبرنا ما حقيقة التوكل وحكمه وما
يلزم العبد منه في امر الرزق **فاعلم** انما نبين لك هنا باربعة فهو بيان لفظة
التوكل وموضعه وحده وحقيقته فاما لفظه وانما هو تفعل من الوكالة
فالمتوكل على احد هو الذي اتخذه بمنزلة الوكيل القائم بامره الضامن لاصلاحه
الكافل له من غير تكلف واهتمام فهذه جملته واما الموضع فاعلم ان التوكل اسم

مطلق

مطلق في ثلثة مواضع احدها في موضع القسمة وهو الثقة بالله بانه لا يفوتك
ما قسم لك فان حكمه لا يتبدل وهذا واجب بالسمع **والثاني** في موضع النصرة
وهو الاعتماد والوثوق بنصر الله تعالى لك اذا نصرته وجاهدت قال الله تعالى فاذا
عزمت فتوكل على الله وقال ان تنصروا الله ينصركم وقال تعالى وكان حقا علينا
نصر المؤمنين وهذا واجب بالوعد **والثالث** في موضع الرزق والحاجة بان
متكفل بما يقيم بنيتك لخدمته وتمكن به من عبادته قوله تعالى ومن يتوكل على الله
فهو حسبه وقال الصادق الامين صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق
توكله لرزقكم كما يرزق الطيور تغدو خماصا وتروح بطانا وهذا فرض لازم
للعبد بدليل العقل والشرع جميعا وهذا هو الاشهر الاغلب منه اعني التوكل
في موضع الرزق وهو المقصود من هذا الفصل فموضع التوكل انما هو الرزق وهو الرزق
المضمون فيما قال العلماء بالله تعالى وانما يتضح لك هذا بتبيان اقسام الرزق
فاعلم ان الرزق اربعة اقسام مضمون ومقسوم ومملوك وموعود فالمضمون
هو الغذاء وما به قوام البنية دون سائر الاسباب فالضمان من الله تعالى لهذا النوع
والتوكل يجب بازائه بدليل العقل والشرع لان الله تعالى كلفنا خدمته وطاعته
بابداننا فقد ضمن ما يستخلل البنية لنقوم بما كلفنا وقال بعض مشايخ الكرامية
كذا ما حسنا على اصله ان ضمان ارزاق العباد واجب في حكمة الله تعالى
لثلثة اشياء احدها انه سيد ونحن العبيد وعلى السيد كفاية مؤنة العبيد

كما ان على العبيد خدمة السيد **الثاني** انه خلقهم محتاجين الى الرزق ولم يجعل لهم سبيلا
الى طلبه اذ لا يدرون ما هو رزقهم وما هو واين هو ومتى هو ليطلبوه بعينه من
مكانه وفي وقته ليصلوا اليه فوجب ان يكفيهم امر ذلك ويوصلهم اليه **الثالث** انه
كلفهم الخدمة وطلب الرزق شغل عنها فوجب ان يكفيهم المؤنة ليتفرغوا الى الخدمة
وهذا كلام من لم يحط باسرار الربوبية والقائل بان على الله واجبا فهو قد او
ضحنا في فن الكلام فساده ولنرجع الى المقصود من غرضنا واما الرزق المقسوم فهو ما
قسم الله وكتبه في اللوح المحفوظ ما ياكله ويشربه ويلبسه كل واحد مقدارا مقدرا
ووقت موقت لا يزيد ولا ينقص ولا يتقدم ولا يتاخر عما كتب بعينه قال صلى الله
عليه وسلم الرزق مقسوم مفروغ ليس تقوى تقي بزايد ولا فجور فاجر بناقصه
واما المملوك فما يملكه كل واحد من اموال الدنيا على حسب ما قدر الله تعالى
وقسم له ان يملكه وهو من رزق الله قال الله تعالى وانفقوا مما رزقناكم اي مما
ملكناكم واما الموعود فهو ما وعد الله تعالى للمتقين من عباده بشرط التقوى حلالا
من غير كد قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب
فهذه اقسام الرزق والتوكل انما يجب بازاء المضمون منها فاعلم ذلك واما حد
التوكل قال بعض مشايخنا انه اتكال القلب على الله بالانقطاع اليه والاياس
عما دونه وقال بعضهم حفظ القلب الى الله هو ضع المصلحة بترك تعلقه على شيء
دونه وقال الشيخ ابو عمرو التوكل ترك التعليق والتعليق ذكر قوام بنيانك

عن شيء دون الله قال الشيخ الامام رحمه الله التوكل والتعليق ذكران فالتوكل هو
ذكر قوام نفسك من قبل الله تعالى والتعليق ذكر قوامها عمن دون الله والاقاويل
عندي ترجع الى اصل واحد وهو ان توطن قلبك على ان قوام بنيتك وسد خلتك
وكفايتك انما هو من الله عز وجل لا باحد دون الله ولا بحطام من الدنيا
ولا بسبب من الاسباب ثم الله سبحانه ان شاء سبب له مخلوقا او حطاما وان شا
كفا بقدرته دون الاسباب والوسايط فاذا ذكرت ذلك بقلبك وتوطنت
عليه انقطع القلب من المخلوقين والاسباب ترع الى الله سبحانه وحده فقد
حصل التوكل حقه فهذا حده واما حصن التوكل الباعث عليه فهو ذكر ضمان
الله تعالى وحصن حصنه ذكر جلال الله وكماله في علمه وقدرته وتنزهه عن الخلف
والسهو والعجز والنقص فاذا واظب العبد على هذه الاذكار بعثته على التوكل
على الله سبحانه في امر الرزق **فان قيل** هل يلزم العبد طلب الرزق بحال **فاعلم** ان الرزق
المضمون الذي هو الغذاء والقوام فلا يمكننا طلبه اذ هو شيء من فعل الله سبحانه
بالعبد كالحياة والموت لا يقدر العبد على تحصيله ولا رفعه واما المقسوم من
الاسباب فلا يلزم العبد طلبه اذ لا حاجة للعبد الى ذلك انما حاجته الى
المضمون وهو من الله وفي ضمانه واما قوله عز وجل وابتغوا من فضل
الله المراد به العلم والثواب وقيل بل هو رخصة اذ هو امر وارد بعد
الحظر فيكون بمعنى الاباحة لا بمعنى الايجاب والالزام **فان قيل** لكن لهذا الرزق

المضمون اسبابه هل يلزمنا طلب الاسباب **قيل له** لا يلزم ذلك اذ لا حاجة للعبد
اليه ان الله سبحانه يفعل بسبب ولغير سبب فمن اين يلزمنا طلب السبب ثم ان الله تعالى
ضمن لك ضمانا مطلقا من غير شرط الطلب والكسب قال الله تعالى وما من دابة
في الارض الا على الله رزقها ثم كيف يصح ان يأمر العبد بطلب ما لا يعرف مكانه فيطلبه
اذ لا يعرف اي سبب منها رزقه الذي يتناوله لا غيره والذي يصير بسبب غذاءه وزينته
لا غيره فلو احتمنا لا يعرف ذلك السبب بعينه من اين يحصل له فلا يصح تكليفه
فتأمل راشدا فانه بين ثم حسبك ان الانبياء صلوات الله عليهم والاولياء المتوكلين
لم يطلبوا رزقا في الاكثر والاعم وتجردوا للعبادة وبالاجماع انهم لم يكونوا تاركين لامر الله
ولا عاصين له في ذلك فتبين لك ان طلب الرزق واسبابه ليس بامر لازم للعبد
فان قلت هل يزيد الرزق بالطلب وهل ينقص بترك الطلب فكل فانه مكتوب
في اللوح المحفوظ مقدر موقت ولا تبديل لحكم الله ولا تغيير لقسمته وكتابته وهذا
هو الصحيح عند علمائنا رضي الله عنهم خلافا لما ذهب اليه بعض اصحاب حاتم و
شقيق قالوا ان الرزق لا يزيد ولا ينقص بفعل العبد لكن المال يزيد وينقص وهذا
فاسد فان الدليل في الموضعين واحد وهو الكتابة والقسمة واليه الاشارة بقوله
تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم ولو كان الطلب يزيد والترك
ينقص لكان للاسى والفرح موضع اذ هو مقصر وتوان حتى فاته وجد وتشمر
حتى حصله قال النبي صلى الله عليه وسلم للسائل هات لو لم تأتها لاتتك **فان قيل**

٦١

فالثواب والعقاب ايضا مكتوب في اللوح المحفوظ عنده ثم يلزمنا طلبه ويزيد بالطلب
وينقص بتركه **فاعلم** ان طلب الثواب انما وجب لان الله تعالى امر به امرا حتما
واوعد على تركه ولم يضمن الثواب على غير فعلنا وزيادة الثواب والعقاب
بفعل العبد والمرزوق بينهما فرق نكتة هي ما قاله بعض علمائنا ان المكتوب في اللوح
المحفوظ قسمان قسم هو مكتوب مطلقا من غير شرط وتعليق بفعل العبد وهو
الارزاق والاجال الا ترى كيف ذكرهما الله تعالى مطلقا غير مشروط وقال الله تعالى وما
من دابة في الارض الا على الله رزقها وقال الله تعالى فاذا جاء اجلهم فلا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون وقال صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم اربعة قد
فرغ منهن الخلق والخلق والرزق والاجل وقسم مكتوب بشرط معلق مشروط
بفعل العبد وهو الثواب والعقاب الا ترى كيف ذكرهما الله تعالى في كتابه معلقا
بفعل العبد قال الله تعالى ولو انهم امنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلنا هم صح
جنات النعيم وهذا بين فاعلمه **فان قيل** فنحن نجد الطالبين يجدون الارزاق
والاموال والتاركين يعدمون ويفتقرون **قيل له** كانك لا تجمع ذلك
طالبا محروما فقيرا وفارغا مرزوقا غنيا بل ان هذا هو الاكثر لتعلم انه
تقدير العزيز العليم وتدبير الملك الحكيم وانشدني ابو بكر محمد بن سابق
الواعظ الصقلي رحمه الله بالشام • وكم قوي قوي في تقلبه • مهذب الراي عنه
الرزق منحرف • وكم ضعيف ضعيف في تقلبه • كانه من خليج البحر يغترف • هذا

دليل على أن لا إله إلا الله والخلق سر خفي ليس ينكشف فإن قلت هل تدخل البادية بلا زاد فاعلم أن
كان لك قوة القلب بالله والثقة البالغة بوعد الله فادخل وإلا فكن كالعوام
بعلائقهم ولقد سمعت الإمام أبا المعالي رحمه الله يقول إن من جرى مع الله تعالى على عادة
الناس جرى الله تعالى معه على هو عادة الناس في كفاية المؤنة وهذا كلام حسن
جدا وفيه فوائد جمة لمن تأملها فإن قلت أليس الله تعالى يقول وتزودوا فإن خير
الزاد التقوى فاعلم أن فيه قولين أحدهما أنه زاد الآخرة ولذلك قال خير الزاد
التقوى ولم يقل حطام الدنيا وأسبابها والثاني أنه كان قوم لا يأخذون
زادا في طريق الحج ليتكلوا على الناس ويسألون ويلحون ويؤذون الناس فأمروا
بالزاد أمر تنبيه على أن أخذ الزاد من مالك خير من أخذ مال الناس والاتكال عليهم
وكذلك نقول فإن قلت فالمتوكل هل يحمل الزاد معه في الأسفار فاعلم أنه ربما يحمل
ولا يعلق القلب به بأنه لا محالة رزقه وفيه قوامه إنما يتعلق القلب بالله تعالى
ويتوكل عليه ويقول إنما الرزق مقسوم مفروغ منه والله تعالى إن شاء أقامني
بهذا وبغيره وربما يحمل بنية أخرى بأن يعين مسلما ونحو ذلك وليس الشأن
في أخذ الزاد وتركه إنما الشأن في القلب لا تعلق قلبك إلا بوعد الله تعالى وحسن كفايته
وضمانه فكم من حامل للزاد وقلبه مع الله تعالى دون الزاد وكم من تارك
للزاد وقلبه مع الزاد دون الله تعالى فالشأن إذا في القلب فافهم هذه الأصول
تكف المؤنة إن شاء الله عز وجل فإن قيل قال النبي صلى الله عليه وسلم

كان يحمل الزاد ولذلك المشايخ والسلف الصالح رحمهم الله تعالى أن ذلك مباح غير حرام
إنما الحرام تعليق القلب بالزاد وترك التوكل على الله سبحانه فافهم ذلك ثم ما ظنك
برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال الله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت
أعصاه في ذلك وعلق قلبه بطعام أو شراب أو درهم أو دينار كلا وحاشاه أن
يكون ذلك بل كان قلبه مع الله تعالى وتوكله على الله فإنه الذي لم يلتفت إلى الدنيا
بأسرها ولم يمد يده إلى مفاتيح خزائن الأرض كلها وإنما كان أخذ الزاد منه
ومن السلف الصالح لنيات الخير لا لميل قلوبهم عن الله تعالى إلى الزاد والمعتبر القصد
على ما أعلمناك فانتبه من رقدتك فإن قلت أيهما أفضل أخذ الزاد أم تركه
فاعلم أن هذا يختلف باختلاف الحال إن كان مقتدى به يريد أن يبين لك
أن أخذ الزاد مباح أو ينوي به عون مسلم أو إعانة ملهوف ونحو ذلك
فالأخذ أفضل وإن كان منفردا قوي القلب بالله سبحانه يشغله الزاد عن
عبادة الله سبحانه وتعالى فالترك أفضل فتفهم هذه الجملة واحتفظ بها راشدا
وبالله التوفيق العارض الثاني الأخطار وإراداتها وقصودها وإنما كفايتها في
التفويض عليك بتفويض الأمر كله إلى الله سبحانه وذلك لأمرين أحدهما لطمأنينة
القلب في الحال فإن الأمور إذا كانت خطيرة مبهمة لا يدري صلاحها من فسادها
فتكون مضطرب القلب هائم النفس لا تدري أيقع فيصلح أو فساد فإذا فوضت
الأمر إلى الله تعالى علمت أنك لا تقع إلا في صلاح وخير فتكون آمنا من الخطر مطمئن

القلب في الحال وبعد الطمأنينة والأمن والراحة في القلب غنيمة عظيمة وكان شيخنا
رحمه الله يقول في مجالسه كثيرا دع التدبير على من خلقك تسترح والثاني من الأمر خطر
حصول الصلاح والخير في الاستقبال وذلك لأن الأمور بالعواقب مبهمة فكم
من شر وكم من ضر في حلية نفع وكم من سم في هيئة شهد وأنت الجاهل بالعواقب في صورة خير
والأسرار فإذا أردت الأمور قطعا وأخذت فيها باختيارك متحكما فما أسرع
ما تقع في هلاك ولا تشعر ولقد حكي أن بعض العباد كان يسأل الله عز وجل أن يريه
إبليس فقيل له سل الله العافية فأبى إلا ذلك فأظهره الله تعالى فلما رآه العابد
قصده بالضرب فقال له إبليس لولا أنك تعيش مائة سنة لأهلكتك
وعاقبتك فاغتر بقوله فقال في نفسه إن عمري بعد فأفعل ما أريد ثم أتوب
فوقع في الفسق وترك العبادة وهلك ففي هذه ما ينبهك على ترك التحكم فإذا أردت
والنجاح في مطلوبك ويحذرك طول الأمل ويضاف إلى الآفة العظيمة ولقصد في
القابل وإياك المطامع والأماني فكم أمنية جلبت منية وإنما إذا فوضت
الأمر إلى الله سبحانه وسألته أن يختار لك ما هو صلاحك لم تقع إلا الخير والسداد
ولم تقع إلا على الصلاح قال الله تعالى حكاية عن عبده الصالح وأفوض أمري إلى الله
إن الله بصير بالعباد فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب
أما ترى كيف أعقب تفويضه بالوقاية من الأسواء والنصر على الأعداء وبلوغ
المراد فتأمل موفقا فإن قلت بين لنا معنى التفويض وحكمه فاعلم أن هاهنا

فصلين

فصلين بهما يتضح الكلام أحدهما موضع التفويض والثاني معناه وحده وضده أما
موضعه فاعلم أن المرادات ثلاثة مراد تعلم يقينا أنه فساد وشر لا شك
فيه البتة كالنار والعذاب وفي الأفعال كالكفر والبدعة والمعصية فلا سبيل إلى إرادة
ذلك والثاني مراد تعلم قطعا أنه صلاح كالجنة والإيمان والسنة ونحو ذلك
فلك إرادتها بالحكم لا موضع للتفويض فيه إذ لا خطر له فيه ولا شك أنه خير
وصلاح والثالث مراد لا تعلم يقينا أن لك فيه صلاحا أو فسادا وذلك
نحو النوافل والمباحات فهذا موضع التفويض فليس لك أن تريدها قطعا بل بالاستثناء
وشرط الخير والصلاح فإن تجردت إرادتك بالاستثناء فهو تفويض وإن أردت
دون الاستثناء فهو طمع مذموم منهي عنه وهو ضد التفويض إذ كل مراد فيه الخطر
وهو أن لا تستيقن صلاحك فيه وإنما معنى التفويض قال بعض شيوخنا هو اختيار د
ما فيه مخاطرة إلى المختار المدبر العالم بمصلحة الخلق وعبارة الشيخ أبو محمد السجزي رع
هو ترك اختيار المخاطرة على المختار ليختار لك ما هو خير لك وقال الشيخ أبو عمرو رحمه الله
هو ترك الطمع والطمع هو إرادة الشيء المخاطر بالحكم فهذه عبارات المشايخ والذي
نقوله أن التفويض إرادة أن يحفظ الله عليك مصالحك فيما لا تأمن فيه الخطر
وضد التفويض الطمع والطمع فيجري في الجملة على وجهين أحدهما في معنى الرجاء تريد
شيئا لا خطر فيه ولا مخاطرة بالاستثناء وذلك ممدوح غير مذموم كما قال والذي
أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا وهذا القسم

ليس مما نحن فيه بسبيل هاهنا **والثاني** طمع مذموم قال النبي عليه السلام اياكم والطمع
فانه فقر حاضر وقيل هلاك الدين وفساده الطمع وملاكه الورع وقال شيخنا رحمه الله
الطمع المذموم شيئان سكون القلب الى منفعة مشكوكة **والثاني** ارادة الشيء الخاطر
بالحكم وهذه الارادة تقابل التفويض لا غير فاعلم ذلك واما حصن التفويض فهو ذكر
خطر الامور وامكان الهلاك والفساد فيها وحصن حصنه ذكر عجزك عن الاعتصام عن
ضروب الخطر والامتناع عن الوقوع فيها بجملتك وغفلتك وضعفك في المواظبة على هذين
الذكرين حملك على تفويض الامور كلها الى الله تعالى والتخطي عن الحكم فيها والامتناع عن
ارادتها الا بشرط الخير والصلاح فهذه هي وبالله التوفيق **فان قيل** ما هذا الخطر
الذي يوجبون التفويض لاجله في الامور **فاعلم** ان الخطر في الجملة خطران خطر الشك
بانه يكون او لا يكون وانك تصل اليه او لا تصل وهذا يحتاج الى الاستثناء ويقع
في باب النية والامل **والثاني** خطر الفساد بان لا يتيقن فيه الصلاح لنفسك و
هذا الذي يحتاج فيه الى التفويض ثم اختلفت عبارات الائمة في الخطر فعن بعضهم ان
الخطر في الفعل هو ان يكون دون نجاة ويمكن ان يجامعه ذنب فالايمان والسنة
والاستقامة عليه لا خطر فيها اذ لا يمكن دون الايمان نجاة والاستقامة
لا يجامعها ذنب فلا يصح ارادة الايمان والاستقامة بالحكم وقال الاستاذ
رحمه الله الخطر في الفعل ما يمكن ان يعترض فيه ما يكون الاشتغال به افضل واولى من
الاقدام على ذلك الفعل وذلك يقع في المباحات والسنن والفرايض الا في ان من ينبغي

عليه وقت الصلاة وقصد ادائها فقصده حريق او غريق يمكنه انقاذه فالاشتغال
بانقاذه اولى من الاقبال على صلاته فلا يصح ارادة المباحات والنوافل والكثير
من الفرايض بالحكم **فان قيل** كيف يصح ان يفترض الله عز وجل على عباده شيئا
ويوعد على تركه ثم لا يكون له صلاح في فعله **فاعلم** ان شيخنا رحمه الله قال ان الله تعالى
لا يامر العبد بشيء الا وفيه صلاحه انا نخرج عن العوارض ولا يضيق عليه فعل فرضا
بحيث لا معدل له عن ذلك الا وله فيه صلاح وربما يسبب الله عز وجل عذرا
لاجله يكون العدول عن احد الامور بين اوقى من الاشتغال بالاخر لما ذكرنا فيكون
العبد في ذلك معذورا بل ماجورا لا بتركه هذا الفرض بل بفعله الفرض الذي هو اولى
ولقد سمعت الامام رحمه الله في هذه المسئلة يقول انما ما افترض الله على عباده
من الصلاة والصوم والحج ونحوه فيها صلاح لا محالة للعبد صحت ارادتها بالحكم
قال فاتفق راينا على ذلك فبقي المباحات والنوافل انها في خطر الحكم فاعلم ذلك
٢ فانه من غوامض هذا الباب وبالله التوفيق **فان قيل** هل يأمن المفوض من الهلاك
والفساد والادبار بمحنة **فاعلم** ان في الغيب لا يفعل بالمفوض الا الصلاح وقد
يفعل في النادر غير الصلاح ولذلك ربما يخذله ويقع عن منزلة التفويض
ولا صلاح للعبد في الخذلان والوقوع عن منزلة التفويض وبه قال الشيخ ابو عمرو رحمه الله
وقيل لا يفعل بالمفوض الا ما فيه صلاحه فيما فوض الى الله سبحانه والخذلان والعقو
عن منزلة التفويض مما لا يقع فيه التفويض اذ لا شك في فساد ذلك والتفويض

انما يقع فيما يشك في فساده وصلاحه وهذا اولى القولين عند شيخنا رحمه الله لان ذلك
لما قويت الباعثة على التفويض فان قيل هل يجب ان يفعل بالمفوض ما هو افضل فاعلم ان
الايجاب مستحيل في حق الله سبحانه ولا يجب لعباد عليه شيء وقد يفعل بالعبد الاصلح دون
الافضل لحكمة من فعله الا يرى انه قد زوى للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه انامهم
طول الليل الى طلوع الشمس في بعض الاسفار حتى فاتتهم صلوة الليل وصلاة الفجر والقيام
افضل من النوم وربما يقدر للعبد الغنى والنعمة في الدنيا وان كان الفقر افضل
ويقدر له الاشتغال بالازواج والاولاد وان كان التجرد لعبادة الله تعالى افضل
فانه بعباده خبير بصير وهذا كما ان الطبيب الحاذق الناصح يختار للمريض
ماء الشعير وان كان ماء السكر افضل وانفس لما علم ان صلاحه فيه فماء
الشعير والمقصود للعبد النجاة من الهلاك لا الفضل والشرف مع الفساد
والهلاك فان قيل هل يكون المفوض مختارا فاعلم ان الصحيح عند علمائنا انه يكون
مختارا ولا يقدح في تفويضه وذلك ان المعنى فيه اذا كان له صلاح في المفضول
والافضل فهو يريد من الله تعالى ان يسبب له الافضل كما ان المريض يقول للطبيب
دوائي ماء السكر دون ماء الشعير اذا كان له صلاح في كليهما ليحصل له الفضل
والصلاح جميعا فكذلك العبد اذا سال الله تعالى ان يجعل صلاحه فيما هو
الافضل ويسبب له ذلك ليجمع له الفضل والصلاح جميعا ولكن بشرط
انه ان اختار الله تعالى له الصلاح في غير الافضل ان يكون راضيا بذلك فان قيل

فلماذا كان للعبد ان يختار الافضل وليس له ان يختار الاصلح فاعلم ان الفرق بينهما
ان العبد يعرف الافضل من المفضول ولا يعرف الصلاح من الفساد ليريد بالحكم
ثم معنى اختياره الافضل ان يريد من الله تعالى ان يجعل صلاحه فيما هو الافضل ويختار
له ذلك ويقدره لان للعبد حظا في شيء من ذلك فاعلمه فهذه جملة من دقيق
هذا العلم واسراره ولولا ان الحاجة مست اليه لما تعرضنا لاجزائه لانه يلاطم بحار
علوم المكاشفة مع انا اقتصرنا على النكتة المقنعة في هذا الكتاب وقصدت
الايضاح لينتفع به فحول العلماء والمبتدئون ان شاء الله وهو ولي التوفيق بمنه
العارض الثالث القضاء وورود انواعه وانما تلزمك الرضا به فعليك
ان ترضى بقضاء الله عز وجل وذلك لامرين احدهما لتتفرغ للعبادة لانك اذا لم
ترض بالقضاء فتكون مهموما مشغول القلب ابدا بانه لم كان كذا ولماذا لا يكون
كذا واذا اشتغل القلب بشيء من هذه الهموم كيف تتفرغ للعبادة انه ليس لك الا قلب
واحد وقد ملأته من الهموم وما كان وما يكون من امر الدنيا فاي موضع فيه لذكر
العبادة وفكر الآخرة ولقد صدق شقيق رحمه الله حيث ان حسن الامور
الماضية وتدبير الآتية قد ذهبت ببركة ساعتك هذه والثاني من الامرين
خطرها في السخط من قضاء الله سبحانه ولقد روينا في الاخبار ان نبيا من الانبياء
شكا بعض ما ناله من المكروه الى الله فاوحى الله تعالى اليه لم تشكوني وليست
باهل ذم ولا شكوى هكذا بدو شانك في علم الغيب فلم تسخط قضائي عليك اتريد

ان اغنى الدنيا لاجلك او ابدل اللوح المحفوظ بسببك في قضي ما تريد دون ما اريد وتكون ما تحب دون ما احب فبعزتي خلقت لئن تلجلج هذا في صدرك مرة اخرى لاسلبنك ثوب النبوة ولاوردنك النار ولاابالي قلت فليستمع العاقل هذه النبأ سة العظيمة والوعيد الهائل مع انبيائه واصفيائه فكيف مع غيرهم ثم استمع ما يقول لئن تلجلج هذا في صدرك مرة اخرى فهذا في حديث النفس فترددا القلب فكيف بمن يصيح ويستغيث ويشكوا وينادي بالويل والصراخ من رد على ذي سلطانه
سخط مرة فكيف بمن هو في
ويتخذ لها اعوانا واصحابا وهذا لمن السخط عن الله تعالى جميع عمره وهذا لمن شكا اليه فكيف لمن شكا الى غيره نعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا ونسئله ان يعفو عنا ويغفر لنا سوآتنا ويصلحنا بحسن نظره فانه ارحم الراحمين فان قلت فما معنى الرضا بالقضاء وحقيقة ذلك وحكمه فاعلم ان علمائنا قالوا ان الرضى ترك التسخط والتسخط ذكر غير ما قضى الله تعالى بانه اولى به واصلح له فيما لا يستيقن صلاحه
وفساده وهذا شرط فيه فاعلم ذلك فان قلت اليس الشرور والمعاصي بقضاء الله تعالى وقدره فكيف يرضى العبد الشر ويلزمه ذلك فاعلم ان الرضا انما يلزم بالقضاء والقضاء الشر ليس بشر وانما الشر هو المقضي فلا يكون رضا بالشر وقد قال شيوخنا رحمهم الله المقضيات اربعة نعمة وشدة وخير وشر فالنعمة يجب الرضا فيها بالقاضي والقضاء والمقضي ويجب عليه الشكر من حيث انه نعمة واظهار المنة عليه بادائه ازاء النعمة والشدة يجب الرضا فيها بالقاضي والقضاء والمقضي ويجب عليه الصبر من حيث انه شدة

والخير

والخير يجب الرضا فيه بالقاضي والقضاء والمقضي ويجب عليه ذكر المنة من حيث انه خير ووفقه له والشر يجب عليه فيه الرضا بالقاضي والقضاء والمقضي من حيث انه مقضي لا من حيث انه شر ولونه مقضيا يرجع الى القضاء والقاضي بالحقيقة ومثاله انك ترضى مذهب المخالف ان يكون معلوما لك لا ان يكون مذهبا لك لونه معلوما يرجع الى العلم والرضا والمحبة انما يكون بالحقيقة للعلم بمذهب المخالف لا لمذهبه فكذلك الرضا بالقضاء فان قيل في الراضي هل يكون مستزيدا قيل له نعم بشرط الخير والصلاح دون الحكم ولا يخرجه عن ذلك الرضى بل يدل على الرضى فهو اولى لانه من اعجبه شيء ورضي ذلك استزاد منه وكان عليه الصلاة والسلام اذا حضر اللبن يقول اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه وفي غيره يقول وزدنا خيرا منه وفي موضع من الموضعين لم يدل على انه غير راض بما قدر الله تعالى من ذلك فان قلت فلم يذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم الاستثناء وشرط الخير والصلاح فاعلم ان هذه الامور انما يكون بالقلب وانما يقول باللسان عبارة عن ذلك فلا يعتبر بترك عبارة مع حصوله بالقلب
تدبر
فاعلم ذلك موفقا ان شاء الله تعالى العارض الرابع الشدايد والمصايب وانما العاقبتها بالصبر فعليك الصبر في المواطن وانما ذلك لامرين احدهما الوصول الى العبادة وحصول المقصود منها فان مبنى امر العبادة كله على الصبر واحتمال المشقة فمن لم يكن صبورا لم يصل الى شيء منها بالحقيقة وذلك انه من قصد عبادة الله تعالى وتجرد لها استقبلته شدايد ومحن ومصايب من وجوه احدها انه لا عبادة الا وفي نفسها مشقة ولذلك

روي كل هذا الترغيب فيه ووعد الثواب عليه انما يتاتي فعل العبد الا بقمع الهوى وقهر النفس
اذ هو زاجر عن الخير ومخالفة الهوى وقهر النفس من اشد الامور على العبد وثانيها ان
العبد اذا فعل الخير مع المشقة لزمه الاحتياط حتى لا يفسد عليه والاتقاء على العمل اشد
من العمل ثالثها ان الدار دار محنة فمن كان فيها لابد من الابتلاء بشدايدها ومصايبها
وذلك اقسام فمنها المصيبة في الاهل والقرابات والاخوان والاصحاب بالموت
والفقد والفراق وفي النفس بانواع الامراض والاوجاع وفي العرض بقدح الناس فيه والطعن
فيه والازدراء والغيبة له والكذب عليه وفي المال بالذهاب والزوال ولكل واحد
من هذه المصايب لذعة وحرقة من نوع اخر فيحتاج الى الصبر عليها كلها والا فمنعه
الجزع والتلهف من التفرغ للعبادة ورابعها ان طالب الاخرة اشد ابتلاء واكثر محنة
ابدا ومن كان الى الله تعالى اقرب فالمصايب له في الدنيا اكثر والبلاء عليه اشد
اما تسمع قوله صلى الله عليه وسلم اشد الناس بلاء الانبياء ثم الشهداء ثم الا
فاذا من قصد الخير وتجرد لطريق الاخرة استقبلته هذه المحن فان لم يصبر عليها ولا يكون
بحيث لا يلتفت اليها انقطع عن الطريق فاشتغل عن العبادة فلا يصل الى شيء
من ذلك ولقد اعلمنا الله سبحانه بلقاء المحن والمصايب وابتلائنا بها وحقق ذلك
ولكن فقال الله تعالى لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
ومن الذين اشركوا اذى كثيرا ثم قال وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور
فكان يقول وطنوا انفسكم على انه لا بد لكم من انواع البلايا فان تصبروا فانتم رجال

وغرايمكم عزايم الرجال فاذا من عزم على عبادة الله سبحانه يجب اولا ان يعزم على الصبر الطويل
ويوطن نفسه على احتمال المشاق في الطريقة المتوالية الى الموت والا فقد قصد الامر بغير
اله واناه من غير وجهه ولقد ذكر عن الفضيل رحمه الله انه قال من عزم على طريق الاخرة فليجعل
في نفسه اربعة الوان من الموت الابيض والاحمر والاسود والاخضر فالموت
الابيض والاسود ذم الناس والاحمر مخالفة الشيطان والاخضر الوقايع بعضها
على بعض والثاني من الامرين ما في الصبر من خير الدنيا والاخرة من ذلك
النجاة والنجاح قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا من حيث لا يحتسب معناه ومن
يتق الله تعالى بالصبر يجعل له مخرجا من الشدايد ومنها الظفر على الاعداء قال الله
تعالى فاصبر ان العاقبة للمتقين ومنها الظفر بالمراد قال الله تعالى وتمت كلمة
ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقيل كتب يوسف في جواب يعقوب
عليهما السلام على نبينا ان اباءك صبروا وظفروا فاصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا
وفي هذا المعنى لا تيئسن وان طالت مطالبة اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا
اخلق بذي الصبر ان يحظى بحاجته ومدمن القرع للابواب ان يلجا ومنها التقدم
على الناس والامامة قال الله تعالى وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا
ومنها الثناء من الله تعالى قال الله سبحانه انا وجدناه صابرا نعم العبد ومنها
البشارة والصلاة والرحمة قال الله تعالى وبشر الصابرين الى قوله اولئك عليهم
صلوات من ربهم ورحمة الاية ومنها المحبة من الله تعالى قال الله تعالى ان الله يحب الصابرين

ومنها الدرجات العلى في الجنة قال الله تعالى اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ومنها
الكرامة العظيمة قوله تعالى سلام عليكم بما صبرتم ومنها ثواب بلا غاية ولا نهاية خارجا
عن اوهام الخلق واعدادهم قوله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
فسبحان من سيد ماجد ما اكرمه وكل هذه الكرامات في الدنيا والاخرة يعطي عبده على
صبر ساعة فبان لك ان خير الدنيا والاخرة في الصبر قال صلى الله عليه وسلم ما
اعطي احد من عطاء خيرا واوسع من الصبر وعن عمر رضي الله عنه انه قال جميع خير
المومنين في صبر ساعة واحدة ولقد احسن القايل • الصبر مفتاح ما يرجى وكل خير
يكون • اصبر وان طالت الليالي • فربما امكن الحرون • وربما نيل باصطبار • ما قيل
هيهات لا يكون • والقايل ايضا صبرت وكان الصبر مني سجية وحسبك ان الله
انني على الصبر صابر حتى يحكم الله بيننا فاما الى عسر واما الى يسر فعليك
باغتنام هذه الخصلة الشريفة وبذل المجهود فيها لتكن من الفايزين والله تعالى ولي
التوفيق **فان قلت** فما حقيقة الصبر وحكمه **فاعلم** ان لفظة الصبر من طريق
اللغة الحبس قال الله تعالى واصبر نفسك اي احبس نفسك وانما يوصف الله
تعالى بالصبر على معنى حبسه العذاب عن المجرمين فلا يعاجلهم به ثم المعنى الذي هو من مقامات
القلب انه حبس النفس عن الجزع والجزع فيما قاله العلماء ذكرا اضطرابك في الشدة
وقيل بل ان الخروج عن الشدة بالحكم والصبر تركه وحد الصبر ذكر مقدار
الشدة ووقتها وانها لا تزيد ولا تنقص ولا تتقدم ولا تتاخر ولا فايدة في الجزع بل فيه الضرر

والخطر

والخطر وحصن هذا الحصن ذكر حسن عوض الله تعالى عليه وكريم الذخر في ذلك لديه فهذه
جملة وبالله التوفيق **فصل** فعليك بقطع هذه العقبة الشديدة المنيعة
بدفع هذه العوارض الاربعة وازاحة عللها والا فلا تدعك تذكر مقصودك
من العبادة فلا تتفكر فيها فضلا عن ان تدركها وتحصلها وان لكل واحد منها اشغالا
شاغلا عاجلا واجلا ثم ان اعظمها واعضلها امر هذا الرزق وتدبيره فانه
البلية الكبرى لعامة الخلق اتعبت نفوسهم وشغلت قلوبهم واكثرت
غمومهم وضيعت اعمارهم واعظمت تباعاتهم واوزارهم وعدلت بهم عن باب الله
تعالى وخدمته الى خدمة الدنيا وخدمة المخلوقين فعاشوا في الدنيا في ظلمة وغفلة
وتعب ونصب ومهانة وذل وقدموا الاخرة مفاليس بين ايديهم الحساب والعذاب
ان لم يرحم الله تعالى بفضله وانظر كم اية انزل الله تعالى في ذلك وكم ذكر من وعد و
ضمان وقسمه على ذلك ولم يزل الانبياء والعلماء يعظون الناس ويبينون
لهم الطريق ويصنفون لهم الكتب ويضربون لهم الامثال ويخوفونهم بالله تعالى
وهم مع ذلك لا يهتدون ولا يتفقون ولا يطمينون بل هم في غمرة من ذلك لا
يزالون يخافون ان يفوتهم غداء او عشاء واصل ذلك كله قلة التدبر لايات الله
سبحانه وقلة التفكر في صنايع الله وترك التذكر لكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم
وترك التامل لاقوال الصالحين مع الاسترسال في وساوس الشيطان والاصغاء
الى كلام الجاهلين والاغترار بعادات الغافلين حتى تمكن الشيطان منهم ود

سخت

العادات في قلوبهم فتأذيهم ذلك الى ضعف القلب ورقة اليقين واما الاخيار
الذين هم اولو البصائر والابصار وارباب الجد والاجتهاد والصبر وارباب الثناء ولم
يعبؤوا باسباب الارض واعتصموا بحبل الله فلم يكترثوا بعوائق الخلق وتيقنوا
بآيات الله وابصروا طريقه فلم يلتفتوا الى وساوس الشيطان والخلق والنفس
فان وسوس لهم شيطان او نفس او لسان بشيء قاموا بالمنافرة والمدافعة
والمخالفة حتى ولى الخلق عنهم واعتزلهم الشيطان وانقادت لهم النفس واستقام
لهم الطريق المستقيم على ما ذكر ابراهيم بن ادهم رح انه لما اراد ان يدخل البادية اتاه
الشيطان فخوفه ان هذه بادية مهلكة ولا زاد معك ولا سبب فعزم على نفسه
ان يقطع البادية على تجرده ذلك وان لا يقطعها حتى يصلي تحت كل ميل من اميالها
الف ركعة وقام بما عزم عليه وبقي في البادية اثنتي عشرة سنة حتى ان الرشيد حج في
بعض تلك السنين فرآه تحت ميل يصلي فقيل له هذا ابراهيم بن ادهم فاتاه فقال كيف
تجدك يا ابا اسحاق فانشد ابراهيم يقول • نرقع دنيانا بتمزيق ديننا • فلا
ديننا يبقى ولا ما نرقع • فطوبى لعبد آثر الله ربه • وجاد بدنياه لما يتوقع • وعن
بعض الصالحين انه كان في بعض البوادي فوسوس اليه الشيطان بانك
متجرد وهذه بادية لا عمران فيها ولا انيس بها فعزم على نفسه ان يمضي على تجرده وان يترك
الطريق حتى لا يقع باحد من الناس ولا ياكل شيئا حتى يجعل في فيه السمن وا
العسل ثم عدل عن الطريق ومر على وجهه قال ثم سرت ما شاء الله فاذا بقافلة

قد

قد اضلت الطريق وهم يسيرون فلما ابصرتهم رميت بنفسي الى الارض لعلهم يبصروني
فيسترهم الله حتى وقفوا علي فغمضت عيني فدنوا مني فقالوا هذا منقطع قد غشي عليه
من الجوع والعطش فهاتوا سمنا وعسلا نجعله في فيه لعله يفيق فاتوا بعسل
وسمن فشددت فمي واسناني فاتوا بسكين فعالجوا فمي حتى يفتحوه فضحكت
وفتحت فاي فلما راوا ذلك مني قالوا امجنون انت قلت لا والحمد لله واخبرتهم ببعض
ما جرى لي مع الشيطان وعن مشايخنا رح قال نزلت في بعض اسفاري ايام التعليم
مسجدا وكنت متجردا على عادة اوليائنا فوسوس لي الشيطان بان هذا مسجد بعيد
عن الناس لو صرت الى مسجد بين الناس لرآك احد وقاموا بكفايتك فقلت
لا ابيت الا هاهنا وعلي عهد الله ان لا آكل شيئا الا الحلوى ولا آكله حتى يوضع في فمي لقمة
وصليت العتمة واغلقت الباب فلما مضى صدر من الليل اذا انا بانسان يدق الباب
ومعه سراج فلما اكثر الدق فتحت الباب فاذا بعجوز فدخلت ووضعت
بين يدي طبقا من الخبيص وقالت هذا ابني ولكن صنعت له هذا الخبيص وجرى مني
كلام فحلف ان لا ياكل حتى ياكل معه رجل غريب او قالت هذا الغريب الذي في المسجد
فكل رحمك الله فاخذت تضع في فمي لقمة وفي فم ولدها لقمة فهذه وامثالها من
مجاهدات الصالحين ومنافقاتهم للشيطان فان لك في ذلك فوائد ثلاثا
احدها ان تعلم ان الرزق لا يفوت من قدر له تعالى والثانية ان تعلم ان المرزوق
والتوكل لهم جنة وان للشيطان فيه غوايل ووساوس عظيمة حتى ان مثل اولئك

الائمة الزهاد لم يتخلصوا من ذلك ولم يشرعهم الشيطان بعد طول تلك الرياضات وكثرة المجاهدات
التي سبقت لهم حتى يحتاجوا الى دفعه بهذه المناقضات ولعمري ان من جاهد النفس
والشيطان سبعين سنة لا يؤمن ان يوسوس له كما يوسوس للمبتدي
في العبادة بل الغافل لم يجتهد شيئا في الرياضة ولو ظفر به لفضحه واهلكه هلاك
الغافلين المغترين ففي ذلك عبرة لاولي الابصار والثالثة ان تعلم ان هذا الامر
لا يتم الا بالجد المحض والمجاهدة البالغة فانهم كانوا لحما ودما وبدنا وروحا
مثلك بل كانوا اخف ابدانا واضعف اركانا وادق عظاما منك ولكن كانت
لهم قوة العلم ونور اليقين وهمة امر الدين حتى قووا على مثل تلك ا
المجاهدات والقيام بتلك المقامات فانظر لنفسك رحمنا الله واياك
وداوها من هذا الداء المعضل لعلك تفلح ان شاء الله عز وجل فصل
ثم اعلم بعد هذه الجملة اني مجرد لك نكتا وجدتها بحيث ينكت في القلب
اذا تذكرتها وتكفيك مؤنة هذا الباب وتدعك على واضحة من الحق ان تأملتها
وعملت بها والله الموفق الاولى تعلم ان الله تعالى ضمن رزقك في كتابه وتكفل لك
وما تقول لو وعدك ملك من ملوك الدنيا ان يضيفك الليلة ويعشيك
وانت حسن الظن به انه صادق لا يكذب ولا يخلف الوعد بل لو وعدك
بذلك سوقي او يهودي او نصراني او مجوسي مستور عندك بظاهر عفيف
في معاملته الست تثق بوعده وتطمئن لقوله ولا تهتم لعشائك تلك

الليلة اتكالا عليه ثم انك قد وعدك الله تعالى وضمن رزقك وتكفل به واقسم عليه
في غير موضع وانت لا تطمئن بوعده ولا تسكن الى قوله وضمانه ولا تنظر الى قسمه بل
يضطرب قلبك ويهتم فيالها من فضيحة لو رايت وياله من مصيبة لو علمت
وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه اتطلب رزق الله من عند غيره وتصبح من خوف
العواقب امنا وترضى بصراف وان كان مشركا ضمينا ولا ترضى بربك ضامنا ولهذا
المعنى يجر هذا الامر الى الشك والشبهة ويخاف على صاحبه والعياذ بالله سلب
المعرفة والدين ولهذا قال سبحانه وتعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وعلى الله
فليتوكل المؤمنون فحسب المؤمن المهتم بامر دينه هذه النكتة الواحدة ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم والثانية ان تعلم ان الرزق مقسوم صح ذلك في كتاب الله تعالى
واخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعلم ان قسمته لا يتغير ولا يتبدل
فان انكرت القسمة او جوزت نقضها فذلك باب الكفر تقرعه نعوذ بالله
وان علمت انه حق لا يتغير فاي فائدة في الاهتمام والطلب الا الذل والهوان
في الدنيا والشدة والخسران والخيبة في الآخرة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
مكتوب على ظهر الحوت والثور يدرى فلان بن فلان فلا يزداد الحريص الا جهدا
وفي ذلك يقول شيخنا رحمه الله انما قدر لماضغيك ان يمضغاه فلا يمضغه غيرك
فكل ويحك رزقك بالعز ولا تأكله بالذل وهذه نكتة مقنعة للرجال والثالثة
ما سمعت من شيخي الامام رحمه الله يحكي عن الاستاذ رحمه الله انه كان يقول ان مما تنقب

وأما الرزق فإني تذكرت وقلت لنفسي أليس هذا الرزق للحيوة والعيش والبنية ما يصنع
بالرزق فإن كان حيوة العبد في خزانة الله وبيده إن شاء يعطيني وإن شاء يمنعني
وهو غيب عني فكله إلى الله تعالى يدبره كيف يشاء فأنا ساكن النفس بذلك
وهذه نكتة لطيفة مقنعة لأهل التحقيق والله المستعان. النكتة الرابعة فيما ذكرنا
في هذا الفصل أن الله تعالى رزق العبد ولم يضمن إلا الرزق المضمون الذي هو الغذاء
والتربية وفيه القوام والقوة وأما الأسباب من الطعام والشراب فالعبد إذا تجرد
لعبادة الله سبحانه وتوكل على الله فربما يحبس عنه الأسباب فلا يبالي بذلك
ولا يتحير لما علم من حقيقة الأمر أن الضمان لقوام البنية والتوكل على الله إنما
هو في هذه المعنى لا غير والمنتظر من الله هذا المعنى وأن الله تعالى لا محالة يمده بالقوة
والمعونة ليقوم بحق العبادة والخدمة ما دام له أجل وتكليف بالعبادة وهذا هو
والله سبحانه قادر على ما يشاء إن شاء أن يقيم بنية عبده بطعام وشراب
أو بطين وتراب أو بتسبيح أو تهليل كالملائكة وإن شاء بدون هذا كله فليس
مطلوب العبد إلا القوام والقوة للعبادة ليس الأكل والشراب وسد الشهوة
ونيل اللذة فلا اعتبار بالأسباب إذاً ولهذا المعنى قويت الزهاد والعباد على الأسفار
وطي الليالي والأيام فمنهم من لم يأكل عشرة أيام ومنهم من لم يأكل شهرا أو شهرين وهو
ذو قوة ومنهم من كان يستف الرمل فيجعله له غذاء نحو ما ذكر عن الثوري رحمه الله
أنه فقدت نفقته بمكة فمكث خمسة عشر يوما يستف الرمل فقال أبو معاوية الأسود

رأيت إبراهيم بن أدهم يأكل الطين عشرين يوما وعن الأعمش قال قال إبراهيم التيمي رحمه الله
ما أكلت منذ شهر قلت منذ شهر قال ولا شهرين إلا أن إنسانا ناشدني الله على عنقود
من عنب فأكلته فإنما اشتكى بطني قلت أنا لا تعجبني من ذلك فإن لله القدرة على
ما يشاء وهذا مريض تراه لا يأكل شهرا وهو حي بعينه والمريض على كل حال أضعف
نفسا وأرق طبعا من القوي الصحيح وإنما الذي يموت جوعا فذلك أجل حضر
كالذي يموت شبعا وتخمة ولقد بلغني عن أبي سعيد الخراز رحمه الله أنه قال كان حالي
مع الله تعالى أن يطعمني في ثلاثة أيام فدخلت في البادية فمضت علي ثلاثة أيام ما
طعمت فلما كان يوم الرابع وجدت ضعفا فجلست مكاني فإذا بهاتف يقول
يا أبا سعيد أيهما أحب إليك سبب أو قوة قلت لا إلا القوة فقمت من وقتي فقد
استقللت فأتت اثني عشر يوما ما طعمت ولا وجدت ألما لذلك فإذا رأيت
العبد احتجبت الأسباب عنه وعلم من نفسه التوكل على الله فليستيقن أن يمده
الله تعالى بالقوة فلا يضجرن لذلك بل حقه أن يشكر الله على ذلك كثيرا فإن له
المنة والصنع اللطيف إذ رفع عنه المؤنة وأعطاه المعونة وحصل له الأصل والمقصود
ورفع عنه الثقل والواسطة وخرق له عادتي العادة وأراه طريق القدرة وأن
شبه حاله حال الملائكة ورفع عن حالة البهائم والعامة في تلك الكرامة فتأمل
هذا الأصل الكبير تغنم الربح العظيم إن شاء الله تعالى فإن قلت لعلك تقول أنك أطنبت
في هذا الفصل خلاف شرط الكتاب في العزم وإنه قليل في جنب ما يحتاج إليه

وهذا المعنى هو اهم شان في العبادة بل عليه مدار امر الدين والدنيا والعبودية فمن له همة
في هذا الشان فليستمسك بذلك وليراع حقه ولا ينحرف عن المقصود بمعزل والذين سلكوا
على بصيرة علماء الاخرة العارفين بالله انهم بنوا امرهم على التوكل على الله والتفرغ
لعبادة الله عز وجل وقطع العلايق عن قلوبهم فكم صنفوا من كتاب وكم اوصوا بوصية
وقيض الله لهم اعوانا من الناس واصحابا يتيسر لهم من الخير المحض ما لم يتيسر
لطائفة من طوايف الزهاد الكرامية على اصول غير مستقيمة وما زلنا اغنى ما دمنا
على منهاج ائمتنا نخرج من معابدنا ومدارسنا كل حين اماما في العلم كالاستاذ
ابي اسحاق وابي حامد وابي الطيب وابن فورك وشيخنا الامام وامثالهم من الشافعي
واماما صديقا في العبادة كابي اسحاق الشيرازي وابي سعيد الصوفي ونصر المقدسي ممن
فاق الائمة علما وزهدا حتى ضعفت القلوب من بعضنا وتلطخنا بشيء من العلايق
التي ضررها اكثر من نفعها فتراجعت الامور وتقاعدت الهمم وطارت البركات
وزالت اللذات والحلاوات فلا يصفو لاحد عبادة او يحصل له علم او حقيقة وان
اللمعة التي تظهر منا الان ليست ممن بقي على منهاج اسلافنا وشيوخنا المتقدمين
كالحارث المحاسبي ومحمد بن ادريس الشافعي والمزني وحرملة وغيرهم من ائمة
الدين رضي الله عنهم اجمعين كما قيل فيه شعر فما صحبوا الايام الا تعففا • ولا وجدوا من
بعدهم بدا • فاضحت تعيثن اهلها ولايته • الى سبيل الشامات قد جعلوا القصدا • تخلل
عقد الفتى من كل صابر • وما حلت الايام عن عقدهم عقدا • فكنا في الصدر الاول

ملوكا

٧٢

ملوكا فصرنا سوقة ولنا فرسانا فصرنا رجالة وليتنا لا ننقطع عن الطريق مرة والله المستعان
على المصايب والمسؤول ان لا يسلبنا هذا الرمق انه جواد كريم حنان منان رحيم ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم **واما التفويض** فتامل فيه اصلين احدهما انك تعلم ان الاختيار
لا يصلح الا لمن كان عالما بالامور بجميع جهاتها ظاهرها وباطنها حالها وعاقبتها والا
فلا يامن ان يختار الفساد والهلاك على ما فيه الخير والصلاح الا ترى انك لو قلت
لبدوي او قروي غشيم انتقد لي هذه الدراهم وميز بين جيدها ورديها فانه لا يهتدي
لذلك ولو قلت لسوقي غير صيرفي فربما يعثر ايضا فلا تامن اذا لا بد ان
تعرضها على البصير في الخبير بالذهب والفضة وما فيهما من الخواص والاسرار
وهذا العلم المحيط بالامور من جميع الوجوه لا يصلح الا لله رب العالمين فلا يستحق
ان احد ان يكون له الاختيار والتدبير الا الله وحده لا شريك له ولذلك يقول
عز وجل وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة ثم قال سبحانه وربك
يعلم ما تكن صدورهم الاية وحكي عن بعض الصالحين انه قيل له عن الله تعالى
سل تعط كان موقفا فقال ان عالما بجميع الوجوه يقول للجاهل من جميع الوجوه
سل تعط ايش اعلم ماذا يصلح لي فاسئله ولكن اختر انت لي فهذه منه **الاصل الثاني**
ما تقول لو ان رجلا قال لك اني اقوم بجميع امورك وادبر ما تحتاج اليه من مصالحك
فتوض الامر كله الي واشتغل انت بشانك الذي يعنيك وهو عندك اعلم اهل
زمانك واحكمهم واقواهم وارحمهم واصدقهم واوفاهم الست تغتنم ذلك

وتعده اعظم نعمة وتمتن منه اكثر منة وتقدم له او فشكروا جميلا ثم انا اختاركم
شيئا لا تعرف وجه الصلاح فيه فلا تعجل لذلك بل تانى وتطمئن الى التدبير وتعلم انه
لا يختار لك الا هو الخير وما ينظر لك الا الصلاح كيف ما كان الامر بعدما وكلت
الامر اليه وضمن ذلك فمالك انك لا تفوض الامور الى رب العالمين سبحانه وهو الذي
يدبر الامر من السما الى الارض اعلم كل عالم واقدر كل قادر وارحم كل راحم واغنى
يختار لك بلطيف علمه وحسن تدبيره ما لا يبلغه علمك ولا يدركه فهمك
ولتستقر انت بشانك الذي يعنيك في عاقبتك واذا اختار لك امرا لا تعلم وجه
سره رضيت بذلك واطمانت اليه كيف ما كان هو الاصلح والخير فتدبر راشدا
ان شاء الله تعالى وبالله التوفيق **واما الرضا بالقضا** فنقول فيه اصلين مقنعين لا مزيد
عليهما احدهما ما في الرضى من الفايدة في الحال والمال اما الفايدة الحالية فراغ القلب
وقلة الهم من غير فايدة ولذلك قال بعض الزهاد ان كان القدر حقا فالهم فضلة
واصله الخبر الماثور عن النبي عليه السلام انه قال لابن مسعود لا يكثر همك
ما قدر يكون وما ترزق لم ياتك هذا هو الكلام الجامع النبوي البالغ في قلة
اللفظ وكثرة المعنى **واما الفايدة في المال** فثواب الله تعالى ورضوانه قوله تعالى رضي الله
عنهم ورضوا عنه وفي السخط من الهم والضجر في الحال والوزر والعقوبة في الاخرة
بلا فايدة اذ القضاء نافذ فلا ينصرف بهمك وسخطك كما قيل ما قد قضي يا نفس
فاصطبري له ولك الامان من الذي لم يقدر وتيقني ان الذي هو كاين لا بد منه صبرت

ام لم تصبري والثاني قال لا يختار الهم بلا فايدة مع الوزر والعقوبة على راحة القلب
وثواب الجنة **الاصل الثاني** ما في السخط من عظيم الخطر والضرر والكفر والنفاق الا ان يتداركه
تعالى وتامل قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا
في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما نفى الايمان واقسم عن من سخط قضاء
رسول الله عليه السلام فكيف حال من سخط قضاء الله تعالى وروينا ان الله تعالى يقول
من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر لنعمائي فليتخذ الها سوائي قيل كانه
يقول هذا لا يرضى ان ربا حتى سخط فليتخذ ربا اخر يرضاه فهذا غاية الوعيد والتهديد
لمن عقل ولقد صدق بعض السلف حيث سئل ما العبودية والربوبية فقال الرب
يقضي والعبد يرضى فاذا قضى الرب ولم يرض العبد فما هناك ربوبية ولا عبودية
فتامل هذا الاصل وانظر لنفسك لعلك تسلم بعون الله وتوفيقه **واما الصبر** فانه دواء
مر وشربة كريهة مباركة يجلب اليك كل منفعة ويدفع عنك كل مضرة فاذا
كان الدواء بهذا الصفة فالانسان العاقل يكره النفس على شربه وتجرعه ويغض
على مرارته وحدته ويقول مرارة ساعة وراحة سنة فاما المنافع التي يجلبها
فاعلم ان الصبر اربعة صبر على الطاعة وصبر عن المعصية وصبر عن فضول
الدنيا وصبر عن المحن والمصايب فاذا احتمل مرارة الصبر فصبر في هذه الموا
الاربعة حصلت له الطاعة ومنازلها من الاستقامة وثوابها الجزيل في العاقبة
ثم لا يقع في المعاصي وبلياتها في الدنيا وتبعاتها في الاخرة ثم لا يبتلى بطلب الدنيا وما

من الشغل والحال والتبعة في المأثم لا يحبط اجر عمله ابتلي وذهب تحصيلا ذا بسبب
الصبر الطاعة ومنازلها الشريفة وثوابها والتقوى والزهد والعوض والثواب
الجزيل من الله تعالى وتفصيل ذلك امر لا يعلمه الا الله تعالى واما رفع المضار فيريحه او لا
من مؤنة الجزع ومقاساته في الدنيا ثم وزره وعقوبته في العقبى واما ان ترك الصبر
وسلك طريق الجزع فاته كل منفعة ولحقه كل مضرة انه لا يصبر على مشقة الطاعة
فلا يفعل الطاعة ولا يصبر على حفظها فيحبطها او لا يصبر على المواظبة عليها فلا يصل
منزلة شريفة فيها من درجات الاستقامة او لا يصبر عن معصية فيقع فيها او
فضول فيشتغل بها او لا يصبر على مصيبة فيحرم ثواب الصبر وربما يكثر الجزع حتى يفوت
العوض بسبب ذلك فيكون له مصيبتان فوت الشيء وفوت الاجر والعوض وحلول
المكروه وحرمان الصبر على المصيبة اشد من المصيبة واي فائدة في تبرمك تذهب
بالحاصل الموجود ولا يرد عليك الذاهب المفقود واذا فاتك احدهما فلا يفوتك
الاجر ومن الكلام الجامع ما ذكر ان عليا رضي الله عنه عزى رجلا فقال ان صبرت
جرت عليك المقادير وانت مأجور او (وجملة الامر ان قطع القلب عن العلائق
المالوفة وقلع النفس عن العادات الراسخة بالتوكل المحض على الله سبحانه وتعالى
وترك التدبير في الامور وتفويضها الى الله عز وجل من غير علم بما هو الخير فيها
وكبح النفس عن التسخط والجزع مع تسارع النفس اليه واكراهها على لجام الرضى وتجرع شربة
الصبر مع نفرتها عن ذلك لامر متعسر وعلاج شديد وحمل ثقيل ولكنه تدبير سديد ودواء

هو ضعيف عن الصبر وسلك طريق الجزع

جرت عليك المقادير وانت مأجور وان جزعت

مستقيم ولذا عاقبته محمودة واحوال الشديدة مسعودة وما تقول في الوالد المشفق الغني اذ منع
ولده العزيز رطبة او تفاحة يأكلها وهو ارمد ويسلمه الى المعلم الغليظ الشاق ويحبسه
طول النهار عنده ويضجره ويحمله الى الحجام ليحجمه فيوجعه ويقلقه اترى انه منع ذلك
من بخل فيه كيف وهو يعطي الاجانب ويوسع عليهم او هوانه بهذا الولد كيف
وهو يكتب له جميع ما في يده او قصد بذلك اتعابه وايذاءه لبغضه له كيف وهو قرة
عينه وثمرة فؤاده لو بات عليه ريح لعز عليه كلا ولكن لما علم ان صلاحه في ذلك
وان بهذا التعب القليل يصل الى خير كثير ونفع عظيم وما تقول في الطبيب
الحاذق الناصح المحب اذ منع المريض الدنف شربة من ماء وهو ظمآن تتغلى كبده و
ضعيف
يسقيه شربة هليلج كريهة تجرع عن ذلك نفسه وطبعه لان ذلك منه معادات
وايذاء كلا بل هو نصح واحسان لما علم بيقين ان في اعطائه شهوة ساعة هلاكه
وعطبه راسا وفي منع ذلك شفاء فتأمل بينهما التفاوت احسب الله عز وجل منعك رغيفا و
درهما فتعلم يقينا انه يملك ما تريد ويقدر على ايصاله اليك وله الجود والفضل
ويعلم حالك فلا يخفى عليه شيء فلا عدم ولا عجز ولا خفاء ولا بخل تعالى عن ذلك
وتقدس فانه اغنى الاغنياء واقدر القادرين واعلم العلماء واجود الاجودين فتعلم
اذا بالحقيقة انه لم يمنعك الا الصلاح واختيار كيف وهو الذي يقول خلق لكم ما في الارض
جميعا كيف وهو الذي جاد عليك بمعرفته وهي انفس الاشياء وجعلها الدنيا باسرها
وفي الخبر المشهور ان الله سبحانه يقول اني لأذود وليي عن نعيم الدنيا كما يذود الراعي

الشفيق ابدع عن مبارك العز وان ابتلاك بشدة فاعلم يقينا انه غني عن امتحانك
وابتلائك عالم بحالك بصير بضعفك وهو بك رؤوف رحيم اما تسمع قوله صلى الله
عليه وسلم انه قال الله ارحم بعبده من الشفيقة بولدها فاذا علمت انه لم ينزل بك
من المكروه الا لصلاح لك جهلته انت وهو عالم به لك ولهذا المعنى تراه يكثر ابتلاء او
ليائه واصفيائه الذين هم اعز عباده حتى يقول صلى الله عليه وسلم اذا احب الله قوما
ابتلاهم ويقول اشد الناس بلاء الانبياء ثم الشهداء ثم الامثل فالامثل واذا رايت
الله يحبس عنك الدنيا او يكثر عليك الشدايد والبلوى فاعلم انك عنده عزيز وانك
منه بمكان كبير وانه يسلك بك طريق اوليائه فيراك ولا يحتاج الى ذلك
اما تسمع قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا بل اعرف منته عليك فيما يحفظ
عليك من صلاحك ويكثر من اجرك وثوابك وينزلك منازل الابرار والاعز عنده
فكم ترى من عواقب حميدة ومواهب كريمة والله تعالى ولي التوفيق بمنه ولطفه ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم **فصل** وبالجملة اذا علمت يقينا ان الله تعالى المتكفل
بضمان رزقك الذي لا بد لك منه في بقائك وقيامك لعبادته وانه القادر على ما
يشاء كيف يشاء وهو البصير بحاجتك حالا فحالا شيئا فشيئا اتكلت على ضمانه الحق
ووعده الصدق وسكن قلبك بذلك واضربت عن ذكر العلايق والاسباب وتعليق
قلبك بها اذ العلايق لا تغنيك ولا تكفيك دون الله عز وجل فانه تعالى مسببها كلها ومدبرها
ثم هو الذي يمرضها ويفنيها ثم هو الذي يلحقك فيها نفعها ويدفع عنك ضررها

وهو تعالى يغنيك ويكفيك دونها ان شاء والامر كله اليه وحده لا شريك له فتوكل عليه لا
غير وكذلك تترك التدبير في امورك على من بيده السماء والارض وتزجر نفسك عن شيء
لا يبلغه علمك وبصرك من امر يكون غدا او لا يكون بانه كيف يكون وتكف عن لعل ولو
اذ ليس فيه الا شغل القلب وتضييع الوقت ولعله يكون امور لم تخطر ببالك فيكون
ما سبق من فكرك وتدبيرك وتضييع الوقت العزيز فيه لغوا بل فاتك بل خسرانا
مبينا تندم عليه وتغبن فيه لمكان شغل القلب وتضييع العمر في ذلك و
وهذا المعنى لبعض الزهاد رضي الله عنهم • سبقت مقادير الاله وحكمه • فارح فوادك
من لعل ومن لو • وقال آخر سيكون ما هو كائن في وقته واخو الجهالة متعب محزون •
ولعل ما تخشاه ليس بكائن • ولعل ما ترجو ليس يكون • وتقول لنفسك في الجملة يا
نفس لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولينا وهو حسبنا ونعم الوكيل انه هو قدير لا نهاية لقدرته
حكيم لا غاية لحكمته رحيم لا احاطة لرحمته ومن كان بهذه الصفة فحقيق ان تتكل عليه
وتفوض الامر كله اليه فعليك بالتفويض وكذلك توطن قلبك على ان ما يقضي الله تعالى
فهو الاوفق والاصلح وان ذلك لا يبلغ علمنا كيفيته وسره وتقول يا نفس المقدور
لا محالة ولا فائدة في التسخط والجزع فيما يصنع الله تعالى ولا وجه للتسخط البتة
تقولين رضيت بالله ربا فكيف لا ترضين بقضائه والقضاء من شان الربوبية
وحقا فعليك بالرضى وكذلك اذا اصابتك مصيبة وحل بك مكروه فتراعي نفسك
عند ذلك وتضبط قلبك حتى لا تجزع ولا يظهر منه شكاية وقلق لا سيما عند الصدمة

الاولي فان الشاح هنالك والنفس متسارعة جدا الي عادات الجزع عند ذلك تقول يا نفس ما
قد وقعت فلا حيلة لدفعها وقد دفع الله تعالي ما هو اكبر منها فان انواع البلاء في خزائنه
لكثيرة وان هذه ستنقضي فلا تبقي وانما سحابة ستنقشع فتجلدي يا نفس قليلا تجدي
لذلك سرورا طويلا وثوابا جزيلا بعد ان لا دفع للنازلة ولا فائدة في الجزع ولا مصيبة
في الحقيقة مع العزاء والصبر فتشتغل لشأنك باسترجاع وقلبك بذكر ما تحصل لك
علي الله تعالي من الاجر وتذكر صبر اولو العزم علي المصايب العظام من الانبياء والاولياء
والاعز علي الله تعالي واذا حبس عنك الدنيا في وقت فتقول يا نفس هو اعلم بالحال وارحم
بك واكرم وانه الذي يطعم الكلب في حينه ويطعم الكافر في عداوته وانا عبده العارف
الموحد اساوي عنده رغيفا ايضا فاعلم بالحقيقة انه لم يحبس ذلك عنك الا لنفع عظيم
ويجعل الله بعد عسر يسرا فاصبري قليلا تري العجب من لطيف صنعه انا سمعت قول
القايل يقول • توقع صنع ربك سوف ياتي • بما تهواه من فرج قريب • ولا تيأس اذا ما نابا
خطب • فكم في الغيب من عجب عجيب • وآخر يقول • الا يا ايها المرء الذي الهم به برح • لقد
انشدت بيت في معني واسع • اذا اشتدت بك العسر ففكر في الم نشرح • فعسر بين يسرين
اذا فكرته فافرح • فاذا اجريت هذه الاذكار ونحوها واظبت عليها بالتكرير والتمرين
فان ذلك سيهون عليك ازال عنك همة واجتهاد زمانا غير طويل ولقد رفعت
هذه العوارض الاربعة عن نفسك وكفيتة المؤنة وصرت عند الله تعالي من المتوكلين
المفوضين الراضين بقضاء الله الصابرين علي بلائه وحصلت لنفسك راحة القلب والبدن في

والدنيا وعظيم الثواب والذخر في العقبي وجليل القدر والمحبة عند رب العالمين فيجمع لك ما في
الدارين ويستقيم لك طريق العبادة اذ لا عايق ولا شاغل وكنت حينئذ قد قطعت هذه العقبة
العسيرة والله سبحانه المسئول ان يمد بك وايانا بحسن توفيقه فان الامر كله بيده وهو ارحم
الراحمين العقبة الخامسة وهي عقبة البواعث ثم عليك يا اخي بالتيسير انا استقامولك الطريق
وسهلت السبيل وارتفعت العوايق وزالت العوارض ولا يحصل لك السير المستقيم الا باستشعار
الخوف والرجاء والزامهما حقهما علي حدهما اما الخوف فانما يجب التزامه لامرين احدهما
الزجر عن المعاصي فان هذه النفس امارة بالسوء ميالة الي الشر طماحة الي الفتنة ولا تنتهي
عن ذلك الا بتخويف عظيم وتهديد بالغ وليست هي في طبعها تخرج بهما الوفاء وتمنعها
الحياء عن الجفاء وانما هي كما يقول القايل حيث يقول العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه
الملامة والتدبير في امرها ان تقرعها ابدا بسوط الخوف وقولا وفعلا وفكرا نحو ما
ذكر عن بعض الصالحين ان نفسه دعته الي معصية فانطلق ونزع ثيابه وجعل يتمرغ
في الرمضاء ويقول لنفسه ذوقي فنار جهنم اشد حرا من هذه اجيفة بالليل بطالة
بالنهار والثاني لئلا تعجب بالطاعات فتهلك بل تقمعها بالذم والنقص والعيب
من الاسواء والاوزار التي فيها ضروب الاخطار وذلك نحو ما ذكر عن النبي صلي الله
عليه وسلم انه قال لو ان [illegible] وعيسي اخذنا بما كسبت هاتان لعذبنا عذابا لم يعذبه
احد واشار باصبعيه وعن الحسن انه كان يقول ما يأمن احدنا ان يكون قد اصاب
ذنبا فغلق باب المغفرة دونه فهو يعمل في غير معمل وعن ابن السماك فيما يعاتب نفسه

تنزلين في الزاهدين وتعملين عمل المنافقين وفي الجنة تطمعين هيهات هيهات ان للجنة
اقواما اخرين ولهم اعمال غير ما تعملين فهذه وامثالها مما يلزم العبد تدبرها للنفس وتكريرها ه
عليها لئلا تفتر عن طاعة او تقع في معصية وبالله التوفيق واما الرجا فانما يلزم ملازمته
لاشتغاله بامرين احدهما للبعث على الطاعات وذلك ان الخير ثقيل والشيطان عنه زاجر والهوى
الى ضده داع وحال اهل الغفلة من عامة الخلق في النفس منطبع مشاهد والثواب الذي
يطلب به من الغيب غايب والامر الوصول اليه فيما تحسبه بعيد واذا كان الحال على هذه الحالة
فلا تنبعث النفس للخير ولا ترغب فيه حقه ولا تنشط له بامر يقابل هذه الموانع ويساويها
بل يزيد عليها وذلك الامر هو الرجاء القوي في رحمة الله والترغيب البالغ في حسن
ثواب وكرم اجره ولقد قال شيخنا رحمه الله الحزن يمنع من الطعام والخوف من الذنوب
والرجاء يقوي على الطاعة وذكر الموت يزهد في الفضول والثاني ليهون عليك احتمال
الشدايد والمشقات فان علم ان من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل ومن طالب
شيئا ورغب فيه حق رغبته احتمل شدته ولا يبالي بما يلزم من مونته ومن احب
احدا حق محبته احب ايضا احتمال محنته حتى انه ليجد بتلك المحنة سرورا من اللذة
الا ترى مشتار العسل لا يبالي بلسع النحل لما يتذكر من حلاوة الشهد والاجير لا يعبا بار العسل ه
تقاء السلم الطويل مع الحمل الثقيل طول النهار لما يتذكر من اخذ الدر
هم بالعشي وان الفلاح لا يفكر في مقاساة الحر والبرد ومباشرة المشقة والكد
طول السنة لما يتذكر من البيدر وان الغلة وكذلك ياخذ العباد الذين هم اهل الاجتها د

اذا ذكر الجنة في طيب منقلبها وانواع نعيمها من قصورها وحورها وطعامها وشرابها
وحليها وحللها وساير ما اعد الله تعالى لاهلها هان عليهم ما احتملوا من تعب في
عبادة او فاتهم في الدنيا من جاه او لذة او نعمة او نالهم في الدين من ذلة او نعمة
او نالهم من ضر ومشقة ولقد حكي ان بعض اصحاب سفين الثوري رحمة الله انهم
كلموه فيما كانوا يرون من خوفه واجتهاده ورثاثة حاله فقالوا يا استاذ لو انقصت
من هذا الجهد لنلت مرادك ايضا ان شا الله تعالى فقال سفين كيف لا اجتهد ولقد
بلغني ان اهل الجنة يكونون في منازلهم فيتجلى لهم نور تضي له الجنان الثمانية فيظنون
ان ذلك نور من جهة الرب فيخرون ساجدين فينادون ان ارفعوا رؤوسكم ليس
الذي تظنون انما هو نور جارية تبسمت في وجه زوجها ثم انشد يقول •
ما ضر من كانت الفردوس مسكنه • ماذا تحمل من بوس واقتار • تراه يمشي كئيبا خا تفا
وجلا • الى المسجد يسعى بين اطمار • يا نفس ما لك من صبر على النار • قد حان ان تقبلي
من بعد ادبار • فقلت ان واذا كان مدار امر العبودية على الامرين القيام بالطاعة
والانتهاء عن المعصية وذلك لا يتم مع هذه النفس الامارة بالسوء الا بترغيب
وترهيب وترجية وتخويف فان الدابة الحرون تحتاج الى قايد يقودها
والى سايق يسوقها واذا وقعت في مهوى فربما تضرب بالسوط من جانب و
تلوح لها بالشعير من جانب اخر حتى تنهض وتتخلص مما وقعت وان الصبي العرم لا يروح
يمشي الى الكتاب الا بترجية من الوالدين وتخويف من المعلم فكذلك هذه النفس

دابة حرون وقعت في مهواة الدنيا فالخوف سوطها وسايقها والرجاء يستميرها وقايدها
وانما اقتضى العزم تحملكنا بين العبادة فالتقوى وذكر العقاب والنار تخويفه وذكر الجنة
وثوابها ترجيه وترغيبه فلذلك يلزم العبد الطالب للعبادة والرياضة ان يشعر
النفس بالامرين الذين هما الخوف والرجاء والا فلا تساعد النفس الجموح على ذلك
ولهذا المعنى اتى الذكر الحكيم بمجموع الامرين الوعد والوعيد والترغيب والتهديد وابلغ
في كل واحد منهما فذكر من الثواب الكريم ما لا صبر عنه وذكر من العقاب الاليم ما لا
صبر عليه فعليك اذا بالتزام هذين المغيبين تحصل لك مرادك ويسهل عليك
احتمال المشقة والله تعالى ولي التوفيق بفضله فان قلت فما حقيقة الرجاء والخوف
وحكمهما فاعلم ان الرجاء والخوف عند علمائنا رحمهم الله يرجعان الى قبيل الخواطر
وانما المقدور للعبد مقدماتهما فالاول الخوف رعدة تحدث في القلب عن ظن مكروه
يناله والخشية نحو لكن الخشية تقتضي ضربا من الاستعظام والمهابة وضد الخوف الجرأة
ولكن قد يقابل بالامن فيقال خائف وامن وخوف وامن لان الامن الذي يجترئ
على الله تعالى والحقيقة ان الجرأة نقصان ومقدمات الخوف اربع الاولى ذكر الذنوب
الكثيرة التي سبقت وكثرة الخصوم الذين مضوا الى المظالم وانت مرتهن لم يتبين
لك الخلاص والثانية ذكر شدة عقوبة الله سبحانه التي لا طاقة لك بها والثالثة
ذكر ضعف نفسك عن احتمالها والرابعة ذكر قدرة الله تعالى عليك متى شاء وكيف
شاء واما الرجاء فهو ارتياح القلب بمعرفة فضل الله تعالى واسترواحه الى سعة رحمته

بلغ

وهذا

وهما من جملة الخواطر غير مقدور للعبد والرجاء هو مقدور للعبد وهو تذكر فضل الله ونعمه
رحمته وقد سمي ايضا ان الخاطر بالاستثناء رجاء والمراد من هذا الباب هو الاول
وهو التذكر على حسب لا ينتاج والاسترواح وضد اليأس وهو تذكر فوات رحمة الله تعالى
وفضله وقطع القلب عن ذلك وهو معصية محضة وبغير الرجاء فرضا لم يكن للعبد
سبيل الى الامتناع عن اليأس الا فهو تعالى بعد اعتقاد الجملة في فضل الله وسعة
رحمته ومقدمات الرجاء اربع الاولى ذكر سوابق فضله اليك من غير قدم او شفيع والثانية
ذكر ما وعد من جزيل ثوابه وعظيم كرامته حسب فضله وكرمه دون استحقاق
اياه بالفعل اذ لو كان على حسب الفعل لكان اقل منه واصغر والثالثة ذكر نعمه
عليك في امر دينك ودنياك في الحال من انواع الامداد والالطاف من غير استحقاق
او سؤال والرابعة ذكر سعة رحمة الله تعالى وسبقها غضبه وانه الرحمن الرحيم الغني الكريم
الرؤوف بعباده المؤمنين فاذا واظبت على هذين النوعين من الاذكار اقتضيا لك لا محالة
استشعار الخوف والرجاء بكل حال والله تعالى ولي التوفيق بمنه وفضله **فصل** فعليك
ايها الرجل بقطع هذه العقبة في تمام الاحتياط والتحرز وحذار غاية فانها عقبة
دقيقة المسلك خطرة الطريق وذلك ان طريقها بين طريقين مخوفين مهلكين احدهما
طريق الامن والثاني طريق اليأس وطريق الرجاء والخوف هو الطريق العدل بين الطريقين
الجائرين فان غلب الرجاء عليك حتى فقدت الخوف البتة وقعت في طريق الامن ولا
يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وان غلب عليك الخوف حتى فقدت الرجاء البتة

وقعت في طريق الياس ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فان كنت ركبت بين
الرجاء والخوف واعتصمت بهما جميعا فهو الطريق العدل المستقيم الذي هو سبيل اولياء الله
واصفيائه الذين وصفهم الله تعالى بقوله انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا
ورهبا وكانوا لنا خاشعين فاذا ظهرت لك وهذه العقبة طرق ثلاثة طريق الامن والجرأة
وطريق الياس والقنوط وطريق الخوف والرجاء ممتد بينهما فان ملت عنه بقدم
الى يمينك او يسارك وقعت في المهلكين وهلكت مع الهالكين ثم اشتراك الطريقين
الجائرين المهلكين اوسع مجالا واكثر داعيا واسهل سلوكا من الطريق العدل لانك
اذا نظرت من جانب الامن رايت من سعة رحمة الله وكثرة فضله رغاية تجوع
ما لا يبقى لك معه خوف فتتكل على ذلك بمرة وتامن وان نظرت من جانب الخوف رايت
من عظيم سياسة الله تعالى وكثرة هيبته ودقة امره وغاية مناقشته مع اوليائه واصفيائه
ما لا يكاد يبقى معه رجاء فتيأس مرة وتقنط فتحتاج اذا الى ان لا تنظر الى سعة الرحمة فقط
حتى تتكل وتامن ولا الى عظيم الهيبة والمناقشة فقط حتى تقنط وتيأس بل تنظر
الى هذا والى هذا جميعا وتاخذ من هذا بعضا ومن هذا بعضا فتركب من بينهما طريقا
دقيقا وتلك ذلك لتسلم فان طريق الرجاء المحض سهل واسع وعريض وعاقبته
تؤديك الى الامن والخسران وطريق الخوف المحض واسع عريض وعاقبته تؤديك
الى الضلال والطريق العدل بينهما طريق الخوف والرجاء وان كان دقيقا عسيرا فانه
طريق سالم ومنهج بين تؤدي الى الغفران والاحسان ثم الى الجنان والرضوان ولقاء الملك

الرحمن

الرحمن سبحانه اما تسمع قوله في هذه السبيل يدعون ربهم خوفا وطمعا ثم قال فلا تعلم نفس ما اخفي
لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون فتامل هذه الجملة جدا وتشمر وسدد لما مر في الاجتهاد
بالهوى والله الموفق ثم اعلم انه لا يتاتى لك سلوك هذه الطريق وقهر هذه النفس الجموح
الكسلانة على الخير الا بخشية المحبوب عندها واكتساب الطاعات الثقيلة عليها
ولا يحصل هذا الا بالتحفظ بثلاثة اصول والتذكر لها على سبيل الدوام من غير فترة ولا
غفلة احدها ذكر ايات الله سبحانه في الترغيب والترهيب والثاني ذكر افعاله سبحانه في الاخذ والعفو
والثالث ذكر جزائه للعباد في المعاد من الثواب والعقاب وتفصيل كل اصل منها يحتاج
الى مصحف كثيرة ولاجلها صنفنا كتاب تنبيه الغافلين ونحن نشير في هذا الكتاب الى كلمات
توقفك على المقصود ان شاء الله تعالى والله ولي التوفيق **الاصل الاول** قوله سبحانه وتعالى
فتدبر ايها الرجل وكن بالمعتبر من ايات الترغيب والترهيب والرغبة والتخويف
فمن ايات الرجاء قوله تعالى لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ومن يغفر الذنوب
الا الله غافر الذنب وقابل التوب وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن
السيئات كتب ربكم على نفسه الرحمة ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون
ان الله بالناس لرؤوف رحيم وكان بالمؤمنين رحيما فهذه ونحوها ايات
الرجاء ومن ايات الخوف والسياسة قوله تعالى يا عبادي فاتقون افحسبتم انما خلقناكم
عبثا ايحسب الانسان ان يترك سدى ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل
سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وبدا

من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا نسأل
الله تعالى ان يسلمنا برحمته ومن الايات اللطيفة الجامعة بين الرجاء والخوف قوله
نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم ثم قال في عقبيه وان عذابي هو
العذاب الاليم لئلا يستولي عليك الرجاء بمرة وقوله شديد العقاب ثم قال في عقبيه ذي الطول
لئلا يستولي عليك الخوف بمرة وقوله شديد العقاب ثم قال في عقبيه ذي الطول لئلا يغلب
عليك بمرة واعجب من ذلك قوله ويحذركم الله نفسه ثم قال في عقبيه والله رؤوف
بالعباد واعجب منه قوله تعالى من خشي الرحمن بالغيب علق باسم الرحمن دون اسم الجبار
او المنتقم او المتكبر ونحوه لتكون الخشية مع ذكر الرحمة ولا تكون الخشية تطير قلبك
بمرة فتكون تخويفا في تاميل وتحريكا في تسكين كما تقول انا تخشى الوالدة الرحيمة اما
نخاف الوالد الشفيق لما تحذر الامير الكريم والمراد من ذلك ان يكون الطريق عدلا
فلا يذهب الى امن وقنوط جعلنا الله واياكم من المتدبرين لهذا الذكر الحكيم العاملين انه
الجواد الكريم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والاصل الثاني في افعاله ومعاملاته اما
من جانب الخوف فلان ابليس عبد ثمانين الف سنة فلم يترك فيها قيد موضع قدم
الا وسجد الله تعالى فيه سجدة ثم ترك له امرا واحدا فطرده عن بابه وضرب
بوجهه عبادة ثمانين الف سنة ولعنه الى يوم الدين واعد له عذابا اليما ابد الابدين
حتى روي ان الصادق الامين صلوات الله عليه وسلامه رأى جبرائيل متعلقا باستار
الكعبة وهو ينادي ويصرخ الهي لا تغير اسمي ولا تبدل جسمي ثم آدم صلوات الله

وسلامه عليه صفيه ونبيه الذي خلقه واسجد له ملائكته وحمله على اعناقهم الى جوار
في بسط فاكل اكلة واحدة لم يؤذن له فيها فنودي لا لا يجاورني من عصاني وامر
الملائكة الذين حملوا قصر سما الى السماء حتى وقع بالارض ولم يقبل توبته فيما روي
حتى بكى عليها مائتي سنة ولحقه من الهوان والبلاء ما لحقه وبقيت ذريته
في تبعات ذلك الى الابد ثم ان نوحا شيخ المرسلين صلى الله عليه وسلم الذي احتمل
في امر دينه ما احتمل لم يقل الا كلمة واحدة على غير وجهها اذ نودي فلا تسألني ما ليس
لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين حتى روي في بعض الاخبار انه لم يرفع
راسه الى السماء حياء من الله سبحانه اربعين سنة ثم ان ابراهيم خليل الله لم يكن
منه الا هفوة واحدة فكم خاف وتضرع وقال والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم
الدين حتى روي انه ع لا يبكي من شدة الخوف فيرسل الله تعالى اليه جبرئيل عليه
افضل السلام فيقول يا ابراهيم هل رأيت خليلا يعذب خليله بالنار فيقول
يا جبرئيل اذا ذكرت خطيئتي نسيت خلته ثم موسى بن عمران عليه السلام لم يكن
منه الا لطمة عن حدة فكم خاف وتضرع واستغفر وقال رب اني ظلمت
نفسي فاغفر لي ثم في زمانه بلعم بن باعورا كان بحيث اذا نظر الى العرش وهو
المعني بقوله تعالى واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان
فكان من الغاوين ولم يقل اتيناه اية واحدة ولم يكن له الا زلة واحدة
مال الى الدنيا واهلها ميلة واحدة وترك لولي من اولياء حرمة بسببه معرفة

وجعله بمنزلة الكلب المطرود فقال تعالى فمثله كمثل الكلب فاوقعه في بحر الضلال والهلاك الى آخر
الابد حتى سمعت بعض العلماء يقول ان كان ذو اوامر بحيث يكون في مجلسه اثنا عشر الف
محبرة للمتعلمين الذين يكتبون عنه ثم صار بحيث كان اول من صنف كتابا ان ليس
للعالم صانع نعوذ بالله من سخطه وعذابه الاليم وقطيع خذلانه الذي لا طاقة لنا فانظر
حب الدنيا وشومها ما ذا يجلب للعلماء خاصة فتنبه فان الامر خطير والعمر
قصير وفي العمل تقصير والناقد بصير فان ختم بالخير اعمالنا واقال لنا عثراتنا فانه
عليه يسير ثم ان داود عليه السلام خليفة في ارضه اذنب ذنبا واحدا فبكى على ذلك
حتى نبت العشب في الارض من دموعه وقال الهي ما ترحم بكائي وتضرعي فجيب
يا داود نسيت ذنبك وذكرت بكاءك ولم يقبل توبته اربعين يوما وقيل اربعين
سنة ثم يونس عليه السلام غضب غضبة واحدة في غير موضعها فسجنه في بطن الحوت
تحت قعر البحار اربعين يوما وهو ينادي لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين
وسمعت الملائكة صوته فقالوا الهنا وسيدنا صوت معروف في موضع مجهول
فقال تعالى ذلك عبدي يونس فتشفعت فيه الملائكة ثم مع ذلك كله غير اسمه فقال
ذا النون فنسبه الى سجنه ثم قال فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا انه كان من المسبحين
للبث في بطنه الى يوم يبعثون ثم ذكر نعمه ومنته فقال تعالى لولا ان تداركه نعمة من ربه
لنبذ بالعراء وهو مذموم فانظر الى هذه السياسة ايها المسكين ولكن كلها جرت
الى سيد المرسلين اكرم خلقه عليه يقول له فاستقم كما امرت ومن تاب معك

ولا تطغوا

ولا تطغوا انه بما تعملون بصير حتى كان صلى الله عليه وسلم يقول شيبتني سورة
هود واخواتها فلعل هذه الآية واشكالها في القرآن وقال تعالى واستغفر لذنبك
الى ان من عليه بالغفران فقال تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك
وقال تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وكان بعد ذلك صلوات
الله عليه وسلامه يصلي الليل حتى تورمت قدماه فيقولون انفعل هذا يا رسول الله
وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فيقول افلا اكون عبدا شكورا وكان
عليه الصلوة والسلام يقول الوائق وعيسى اخذنا بما كسبت هاتان لعذبنا الله
عذابا لم يعذب به احدا من العالمين وكان يصلي الليل ويبكي ويقول اعوذ بعفوك
من عقابك وبرضاك من سخطك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت
كما اثنيت على نفسك ثم الصحابة رضي الله عنهم اجمعين الذين هم خير قرن من خير الامة
كان يبدو منهم شيء من المزاح فنزل قوله تعالى الم يأن للذين امنوا ان تخشع قلوبهم
لذكر الله تعالى الآية ثم وضع في هذه الامة مع كونها مرحومة الحدود والسياسات
العظيمة والآداب حتى كان يونس بن عبيد يقول لا تأمن من قطع في خمسة دراهم
خير عضو منك ان يكون عذابه هكذا فنسأل الله تعالى الكريم الرحيم سبحانه
ان لا يعاملنا بمحض كرمه انه ارحم الراحمين ولما جانب الرجاء فحدث عن رحمة الله تعالى
الواسعة ولا حرج ومن الذي يعرف غايتها او يحسن وصفها فانه الذي يهب
كفر سبعين سنة بايمان ساعة قال الله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم

ما قد سلف اما ترى في امر سحرة فرعون الذين جاؤا للحرب وحلفوا بعزة فرعون عدوا فما قالوا
انا امنا عن صدق القلوب كيف قبلهم ووهب لهم جميع ما سلف ثم كيف جعلهم رؤس الشهدا
في الجنة ابد الابدين فهذا مع من عرفه ووحده ساعة بعد كل ذلك الكفر والضلال
والفساد فكيف حال من افنى في توحيده عمرا لا يرى لذلك اهلا في الدارين غيره اما ترى اصحاب
الكهف وما كانوا عليه من الكفر طول اعمارهم اذ قالوا ربنا رب السموات والارض
والتجوا اليه كيف قبلهم ثم اعزهم واكرمهم فقال ونقلبهم ذات اليمين وذات
الشمال وكيف اعظم لهم الحرمة والبسهم المهابة والحشمة حتى يقول لاكرم الخلق عليه
لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا بل اكرم كلبا تبعهم حتى ذكره في كتابه
العزيز مرات ثم جعله معهم في الدنيا مصحوبا ويدخله الجنة في الاخرة مكرما فهذا افضاله
مع كلب خطا خطوات مع قوم عرفوه ووحدوه اياما معدودة من غير ايمان او خدمة
فكيف فضله مع عبده المؤمن الذي خدمه ووحده سبعين سنة ولو عاش
سبعين الف سنة كان قاصدا للعبودية اما سمعت كيف عاتب الله ابراهيم في
دعائه على المجرمين بالهلاك وكيف عاتب موسى في امر قارون فقال استغاث بك قارون
فلم تغثه وعزتي لو استغاث بي لاغثته وعفوت عنه وكيف عاتب يونس في شان
قومه باتك تحزن على شجرة يقطين انبتها في ساعة وايبستها في ساعة ولا تحزن على مائة الف
او يزيدون ثم كيف قبل عذر قومه وصرف عذابه العظيم عنهم بعد ما اظلهم ثم كيف
عاتب سيد المرسلين فيما روي انه دخل من باب بني شيبة فراى قوما يضحكون حتى

انا كان عند الحجر رجع اليهم القهقرى فقال جاءني جبرائيل فقال يا محمد ان الله تعالى يقول لك
لم تقنط عبادي من رحمتي نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم • وهذا رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول لله ارحم بالعبد من الوالدة الشفيقة بولدها وفي الخبر المشهور عن النبي صلى
عليه وسلم ان الله تعالى مائة رحمة فواحدة منها قسمها بين الجن والانس والبهائم فبها
يتعاطفون وبها يتراحمون وادخر منها تسعة وتسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيمة
واذ قد اعطانا من الرحمة الواحدة كل هذه العطايا الكريمة الغزيرة من معرفته سبحانه
والكون من هذه الامة المرحومة ثم معرفة السنة والجماعة الى ساير ما لا يدرك من
النعم الظاهرة والباطنة فنرجو من فضله العظيم ان يتم ذلك فان من بدأ بالكمال
فعليه الاتمام ويجمع من تسعة وتسعين رحمة كل الخط الوافر انشاء الله تعالى ان
لا تخيب امالنا من فضله العظيم والعميم انه السيد الكريم الجواد الرحيم وتسعين
الاصل الثالث في ذكر ما وعدوا واوعدوا في المعاد فلنذكر في ذلك الاحوال الاربعة
الموت والقبر والقيمة والجنة والنار وما في كل مقام منها من الخطر للمطيعين
والعاصين والمقصرين والمجتهدين فاما الموت فنذكر فيه حال رجلين احدهما ما
روي عن ابن شبرمة انه قال مع الشعبي على مريض نعوده وهو لما به وعنده رجل
يلقنه لا اله الا الله فقال الشعبي ارفق به فتكلم المريض فقال ان تلقنني فاني
لا ادعها ثم قرأ والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها فقال الشعبي الحمد لله
الذي نجا صاحبنا والاخر ما حكي ان تلميذا للفضيل بن عياض حضرته الوفاة

فدخل عليه الفضيل وجلس عند رأسه وقرأ سورة يس فقال يا استاذ لا تقرأ هذه ثم سكت
فقال قل لا اله الا الله فقال لا اقولها لاني منها بريء ومات على ذلك فدخل الفضيل منزله وجعل
يبكي اربعين يوما لم يخرج من البيت ثم رآه في النوم يسحب الى جهنم فقال باي شيء نزع الله المعرفة
عنك وكنت اعلم تلامذتي فقال بثلاثة اشياء اولها بالنميمة فاني قلت
لاصحابي خلاف ما قلت لك والثاني بالحسد حسدت اصحابي والثالث كان بي علة فجئت
الى الطبيب وسألته عنها فقال تشرب في كل سنة قدحا من الخمر فان لم تفعل بقيت بك
العلة فكنت اشربه نعوذ بالله من سخطه الذي لا طاقة لنا به ثم اذكر حال رجلين
احدهما ما حكي عن عبد الله بن المبارك رحمه الله انه لما احتضر نظر الى السماء فضحك
وقال لمثل هذا فليعمل العاملون وسمعت امام الحرمين رضي الله عنه يحكي عن الاستاذ
الكبير رحمه الله انه قال كان لي صاحب ايام التعليم وكان مستديما كثير الجهد
في التعليم لكنا متعبدا وكان لا يحصل مع الاجتهاد الا القليل وكنا نتعجب من حاله
فمرض فلزم مكانه الاولياء في الرباط ولم يدخل الى بيت المريض وكان يجتهد مع مرضه
فاشتدت به الحال وانا جالس عنده فبينما هو اذ شخص بصره الى السماء وقال يا ابن
فورك لمثل هذا فليعمل العاملون وتوفي عند ذلك رحمه الله واما الاخر فنحو ما روي
عن مالك بن دينار انه دخل على جار له احتضر فقال له يا مالك جبلان من نار بين
يدي اكلف الصعود عليهما فسألت اهله فقالوا كان له مكيالان يكيل باحدهما
ويكتال بالآخر فدعوت بهما فضربت احدهما بالآخر حتى كسرتهما ثم سألت الرجل

فقال ما ازداد الامر الا عظما واما البرزخ والحال بعد الموت فنذكر فيه حال رجلين احدهما
ما ذكر عن بعض الصالحين قال رأيت سفيان الثوري رحمه الله في النوم بعد موته فقلت
كيف حالك يا ابا عبد الله فاعرض عني وقال ليس هذا زمان الكنى فقلت كيف
حالك يا سفيان فانشأ يقول • نظرت الى ربي عيانا فقال لي • هنيئا رضاي عنك
يا ابن سعيد • لقد كنت قواما اذا الليل قد دجى • بعبرة مشتاق وقلب عميد • فدونك
فاختر اي قصر تريده • وزرني فاني عنك غير بعيد • والرجل الثاني ما روي ان بعضهم
رأى في المنام شاب الثوري مغلولة يداه الى عنقه فقيل له ما فعل الله بك قال انما
ينفعونني زمان الغناء وهذا زمان ينالني • وحال اخرين احدهما ما روي عن بعض
الصالحين قال كان لي ابن استشهد فلم اره في المنام الا ليلة توفي عمر بن عبد العزيز
رضي الله عنه اذ ترى لي تلك الليلة فقلت يا بني الم تك ميتا فقال لا ولكني استشهدت
وانا حي عند الله تعالى ارزق فقلت ما جاء بك قال نودي في اهل السماء ان لا يبقى
نبي ولا صديق ولا شهيد الا ويحضر الصلاة على عمر بن عبد العزيز فجئت لاشهد الصلاة
عليه ثم جئتكم لاسلم عليكم واما الاخر فما روي عن هشام بن حسان انه قال
مات لي ابن حدث فرأيته في النوم فاذا هو شيب فقلت له يا بني هذا الشيب قال لما قدم
علينا فلان زفرت جهنم لقدومه زفرة لم يبق منا احد الا شاب نعوذ بالله
العظيم الرحيم من عذابه الاليم واما القيامة فتأمل قول الله تعالى يوم نحشر المتقين الى
الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فواحد يخرج من قبره فاذا براق على رأسه

التبر والتاج والحلل فيلبس ويركب الى جنات النعيم لا يخلو من عز وان يمشي الى الجنة
برجله وآخر يخرج من قبره فتأخذه الزبانية والانكال والاغلال لا يخلو ان يسحب او يمشي برجله
الى النار بل يسحب الى سواء الجحيم على وجهه نعوذ بالله من سخطه ولقد سمعت
بعض العلماء يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان يوم القيمة يخرج قوم
من قبورهم لهم نجب يركبونها لها اجنحة خضر فتطير بهم في عرصات القيامة حتى
اتوا على حيطان الجنة فاذا رأتهم الملائكة قال بعضهم لبعض من هؤلاء فيقولون ما ندري
لعلهم من امة محمد صلى الله عليه وسلم فيأتيهم بعض الملائكة فيقولون من انتم ومن
اي الامم انتم فيقولون نحن من امة محمد صلى الله عليه وسلم فيقول الملائكة هل
حوسبتم فيقولون لا فيقولون هل وزنتم فيقولون هل قرأتم كتبكم فيقولون لا فيقولون
الملائكة ارجعوا فكل ذلك وراءكم فيقولون هل اعطيتمونا شيئا فنحاسب عليه وفي
خبر آخر ما ملكنا فنعدل او نجور ولكنا عبدنا ربنا حتى دعانا فاجبناه فينادي رب
منادٍ صدق عبدي ما على المحسنين من سبيل وانه غفور رحيم اما تسمع قوله تعالى افمن
يلقى في النار خير ام من يأتي آمنا يوم القيمة فاعظم بحال بيننا هذه تلك الاهوال
والزلازل والوقائع ومن لا يدخل قلبه فزع ولا يكون على قلبه ثقل نسأل الله
تعالى ان يجعلنا واياكم من اولئك السعداء وما ذلك على الله جل جلاله بعزيز
واما الجنة والنار فتأمل فيهما ايتين من كتاب الله عز وجل احديهما قوله تعالى
وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا وقال

حكاية عن اخرين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسؤوا فيها ولا تكلمون
وروي انهم يصيرون عند ذلك كلابا ينبحون في النار نعوذ بالله الرؤوف الرحيم من
عذابه الاليم فان الامر كما قال يحيى بن معاذ الرازي لا ندري اي المصيبتين اعظم فوت
الجنان ام دخول النيران اما الجنة فلا صبر عنها واما النار فلا صبر عليها وعلى كل حال
فوت النعيم ايسر من مقاسات الجحيم ثم الطامة الكبرى والمصيبة العظمى هي الخلود
اذ لو كان على حال منقطع لكان الامر هينا ولكن الشان في ابد بلا آخر فاي قلب
يحتمل ذلك واي نفس يصبر على ذلك ولذلك قال عيسى صلوات الله عليه ذكر
الهالكين الخالدين يقطع قلوب الخائفين وذكر عن الحسن ان آخر من يخرج من النار
رجل يقال له هناد يعذب الف عام ينادي يا حنان يا منان فبكى الحسن وقال ليتني
كنت هنادا فتعجبوا منه فقال ويحكم اليس يوما يخرج قلت انا وجمع الامر كله الى
اصل واحد وهي النكتة التي تقصم الظهور وتصفر الوجوه وتقطع القلوب
وتذيب الاكباد وتذري العيون من العباد وهي خوف نزع المعرفة فهذه الغاية التي
ينتهي اليها خوف الخائفين ويبكي عليها اعين الباكين ولقد قال بعضهم ان الغموم ثلثة
غم الطاعة ان لا تقبل وغم المعاصي ان لا تغفر وغم المعرفة ان تسلب وقال المخلصون
بل الغم كله واحد بالحقيقة وهو غم المعرفة وكل غم دونه جلل اذا لم ينقضنا
ولقد بلغنا عن يوسف بن اسباط رحمه الله انه قال دخلت على سفيان
فبكى ليله اجمع فقلت بكاؤك هذا على الذنوب فحمل تبنا وقال الذنوب اهون

على الله تعالى من هذا انما خشيت ان يسلبني الله الاسلام نسأل الله ربنا المنان سبحانه ان لا
يبتلينا بمصيبة وان يتم علينا بفضله كبير نعمته وان يتوفانا على ملة الاسلام انه ارحم
الراحمين وقد ذكرنا سبب سوء الخاتمة ومعناها في كتاب احياء علوم الدين
فتامله هناك فان الخوض فيه ههنا خروج عن الكتاب فتأمل هذه الجملة فان التفصيل
اكثر من ان يأتي عليه الوهم والذكر لعلك تفلح ان شاء الله بعون التوفيق وحسن توفيقه
فان قلت فاي الطريقين اسلك طريق الخوف ام طريق الرجاء فقال لك بل المركب بينهما فلقد
قيل من غلب عليه الرجاء صار مرجيا بل انما يخاف ان يصير جريئا ومن غلب
عليه الخوف صار حروريا والمراد ان لا تعتصم باحدهما دون الاخر فان بالحقيقة الرجاء
الحقيقي لا ينفك عن الخوف الحقيقي لا ينفك عن الرجاء الحقيقي ولذلك قيل الرجاء محله اهل
الخوف لا الامن والخوف محله اهل الرجاء لا الياس فان قلت فهل يكون احدهما ارجح
واكثر ذكرا فاعلم ان العبد اذا كان قويا صحيحا فالخوف اولى به واذا مرض وضعف
لا سيما اذا اشرف على الاخرة فالرجاء اولى كذا سمعت العلماء يقولون قلت
وذلك لما روي ان الله تعالى يقول انا عند المنكسرة قلوبهم من مخافتي فيصير رجاؤه
اولى في ذلك الوقت لانكسار قلبه وخوفه المتقدم زمان الصحة والقوة والامكان
ولذلك يقال لهم ان لا تخافوا ولا تحزنوا فان قلت اليس قد جاءت الاخبار الكثيرة
في حسن الظن بالله تعالى والترغيب في ذلك فاعلم ان من احسن الظن بالله تعالى
الحذر من معصيته والخوف من عقابه والاجتهاد في خدمته واعلم ان ههنا اصلا

اصيلا

اصيلا ولكنه عزيز يغلط فيه الكثير من الناس وهو ان الفرق بين الرجاء والامنية
ان الرجاء يكون على اصل والتمني لا يكون على اصل مثاله من زرع واجتهد وجمع بيدرا
ثم يقول ارجو ان يحصل لي منه مائة قفيز فذلك منه رجاء واخر لا يزرع ولا يعمل يوما
فذهب ونام واغفل سنة فاذا جاء وقت البيادر يقول ارجو ان يحصل لي مائة قفيز
فيقول له من اين لك هذا الرجاء وانما ذلك امنية لا اصل لها كذلك العبد اذا
اجتهد في عبادة الله تعالى والانتهاء عن معصية الله سبحانه يقول ارجو ان يتقبل الله
هذا اليسير ويتم التقصير ويعظم الثواب ويعفو عن الزلل واحسن الظن فهذا
منه رجاء واما اذا غفل وترك الطاعات وارتكب المعاصي ولم يبال بسخط الله ولا
رضاه ووعده ووعيده ثم اخذ يقول انا ارجو من الله الجنة والنجاة من النار
فذلك منه امنية لا حاصل تحتها سماها رجاء وحسن ظن وذلك خطأ وضلال
قلت ومما يبين هذا الاصل ما روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم الكيس من دان
نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من يتبع نفسه هواها وتمنى على الله عز وجل
وذلك يقول الحسن البصري رحمه الله ان اقواما الهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا
وليست لهم حسنة يقول اني لحسن الظن بربي وكذب ولو احسن الظن بربه لاحسن
العمل له ثم تلا قوله تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من
الخاسرين وعن جعفر الضبعي قال رايت ابا ميسرة العابد وقد بدت اضلاعه
من الاجتهاد فقلت رحمك الله ان رحمة الله واسعة فغضب وقال هل رايت مني ما يدل

على القنوط ان رحمة الله قريب من المحسنين قال جعفر الصبعي قال لي كان قولك في ذات
الزهد والابدال والاوليا مع كل هذا الاجتهاد في الطاعة والحذر عن المعصية فاين شي
نحو لما كان لهم حسن الظن بالله بل فانهم كانوا اعلم بسعة رحمة الله تعالى واحسن
ظنا بجوده منك ولكن علموا ان ذلك دون الاجتهاد ياسه وغرور فاعتبر بهذه الكلمة
وتامل حالهم وانتبه من رقدتك والله ولي التوفيق **فصل** وبالجملة الامر
انك اذا تذكرت سعة رحمة الله تعالى التي سبقت غضبه ووسعت كل شي
ثم انت من هذه الامة المرحومة الكريمة على الله تعالى ثم غاية فضله العظيم وكمال
جوده القديم وجعل عنوان كتابه اليك بسم الله الرحمن الرحيم ثم كم اياديه
اليك ونعمه عليك ظاهرة وباطنة من غير شفيع او قدم سابقة لك
وتذكرت من جانب اخر كمال جلاله وعظمته وعظم سلطانه ثم شدة غضبه الذي
لا تقوم السموات والارض ثم غاية غفلتك ولزم ذنوبك وجفواتك مع دقة امر
وخطر معاملته في احاطة علمه وبصره بالعيوب والغيوب ثم حسن وعده
ونواله التي لا يبلغ كنهه الاوهام وشدة وعيده والم عقابه الذي لا يحتمله ذكر
القلوب تارة تنظر الى فضله وتارة تنظر الى عذابه وتارة تنظر الى عدله وتارة
تنظر الى رحمته ورافته وطورا تنظر الى نفسك في جفواتها وجناياتها تاذي
بجميع ذلك الخوف والرجاء وانت قد سلكت السبيل الشارع المقصد
وعدلت عن الجانبين المهلكين الامن والياس ولا تسه فيهما مع التايهين

ولا تسلك

٨٦

ولا تسلك مع الهالكين وشربت الشراب المخروج العدل فلم تملك سرور الرجاء الصرف
او مرارة الخوف الصرف فكانك قد وصلت الى المقصود غانما وشفيت من العلتين سالما
ووجدت النفس قد انبعثت للطاعة ودابت في الخدمة ليلا ونهارا من غير فتور ولا
غفلة واجتنبت المعاصي والمخازي وبحر نها مر كما قال نوف ان نوفا اذا ذكر الجنة طال
شوقه واذا ذكر النار طار نومه وصرت حينئذ من الاصفياء الخواص العابدين الذين
وصفهم الله تعالى بقوله انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين
وكنت قد حلت هذه العقبة الخطيرة باذن الله تعالى وحسن توفيقه فكم لك من
خلوق وصفو في الدنيا وكم لك من ذخر لديم واجر عظيم في العقبى والله سبحانه
مسؤل ان يمدك وايانا بحسن توفيقه وتسديده انه ارحم الراحمين واجود الاجودين
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم **العقبة السادسة** وهي عقبة القوادح
ثم عليك يا اخي امدك الله وايانا بحسن توفيقه ما استبان لك السبيل واستقام
لك المسير بتمييز سعيك وصيانته عما يفسده ويضيعه عليك واتمام ذلك
باقامة الاخلاص وذكر المنة والاجتناب عن ضدي الامرين احدهما لما في فعله
من الفائدة وهي حسن القبول من الله تعالى ووفور الثواب عليه والا فيكون مردودا
الثواب كذا وبعضنا على ما روي في الحديث المشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله سبحانه يقول انا اغنى الاغنياء عن الشريك من عمل عملا فاشرك فيه غيره
فنصيبه له فاني لا اقبل الا ما كان لي خالصا وقيل ان الله تعالى يقول لعبده يوم القيامة

ازالتمس ثوابه عليه الم يوسع لك في المجلس الم تكن الرأس في الدنيا الم يرخص بيعك وشراؤك
الم تكرم هذا واشباهه من الخطر والضرر فلت من خطر الريا فضيحتان ومصيبتان
اما الفضيحتان فاحدهما فضيحة السر وهي اليوم على رؤس الملئكة وذلك لما روي
ان الملئكة يصعدون بعمل العبد مبتهجين فيقول الله تعالى ردوه الى سجين فانه
لم يردني به فيفتضح ذلك العمل والعبد والثانية فضيحة العلانية يوم القيمة على رؤ ٤
الخلايق لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان المرائي ينادي يوم القيمة باربعة
يا كافر يا غادر يا فاجر يا خاسر ضل سعيك وبطل اجرك فلا خلاق لك
التمس الاجر ممن كنت تعمل له يا مخادع وروي انه ينادي منادي يوم القيمة ويسمع الخلايق
اين الذين كانوا يعبدون الناس قوموا خذوا اجوركم ممن عملتم له فاني لا اقبل
من العمل عملا خالطه شئ واما المصيبتان فاحدهما فوت الجنة وذلك ما روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم ان الجنة تكلمت وقالت انا حرام على كل بخيل ومراي
والجنة تختم بمعنيين احدهما ان هذا البخيل هو من يبخل بافتح وهو قول لا اله الا الله
محمد رسول الله وهذا المرائي من يرائي بافتح رياء وهو المنافق الذي يرائي بايمانه
وتوحيده وهذا القول رحيبة والثاني انه من لم يتب عن البخل والرياء ولم يراع نفسه
فيه خطران بالخاتمة نتوم فيقع في الكفر فيفوت الجنة راسا والعياذ بالله والمصيبة
الثانية دخول النار وذلك لما روى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم ان اول من يدعى يوم القيمة رجل قد جمع القرآن ورجل قاتل في سبيل الله ورجل

كثيرا لما قال الله تعالى للقاري الم اعلمك ما انزلت على رسولي فيقول بلى يا رب قال فما عملت فيقول
يا رب قمت به اناء الليل والنهار فيقول الله كذبت ويقول الملئكة كذبت ويقول الله تعالى
بل اردت ان يقال فلان قارئ وقد قيل ذلك ويؤتى بصاحب المال فيقول الله
تعالى الم اوسع عليك حتى لم ادعك تحتاج الى احد فيقول بلى يا رب فيقول فما عملت فيما
اتيتك فيقول كنت اصل الرحم واتصدق فيقول الله كذبت ويقول الملئكة كذبت بل اردت
ان يقال فلان جواد وقد قيل ذلك ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقول الله ما فعلت
فيقول امرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله كذبت ويقول الملئكة بل
اردت ان يقال فلان جريء فقد قيل ذلك قال ابو هريرة ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه
وسلم بيده ركبتي وقال يا ابا هريرة اولئك اول خلق الله تسعر بهم نار جهنم وعن
ابن عباس قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان النار واهلها يعجون
من اهل الريا يا رسول الله وكيف تعج النار قال من حر النار التي يعذبون بها وفي هذه
الفضايح بلاغ لاولي الابصار والله سبحانه ولي الهداية بفضله فان قلت
فاخبرنا عن حقيقة الاخلاص والريا وحكمهما وثمراتهما في العمل قلت اعلم ان
ه الاخلاص عند علمائنا اخلاصان اخلاص العمل واخلاص طلب الاجر فاما الاخلاص
العمل فهو ارادة التقرب الى الله عز وجل وتعظيم امره واجابة دعوته والباعث
عليه الاعتقاد الصحيح وضد هذا الاخلاص النفاق وهو التقرب الى من دون الله
سبحانه وقال شيخنا رحمه الله النفاق هو الاعتقاد الفاسد الذي هو للمنافق في الله

وليس هو من قبيل الارادات لعلة ذكرناها وهو ضعيف وانما الاخلاص في طلب الاجر فهو ان

نفع الاخرة بعمل الخير وكان شيخنا رحمه الله يقول اذا اراد نفع الاخرة بخيرلم يرد دنيا

بنفعه رحمن بل بحيث يرجى تلك المنفعة وقد شرحناه في الشرايط وفي الحوادث لان

لعيسى بن مريم عليه السلام ما المخلص من الاعمال قال الذي يعمل لله لا يحب ان يحمده عليه

احد وهذا تعرض لترك الدنيا وانما خصه بالذكر لانه اقوى الاسباب المشوشة للاخلاص

قال الجنيد الاخلاص تصفية الاعمال من الكدورات وقال الفضيل الاخلاص دوام المراقبة و

نسيان الحظوظ كلها وهذا هو البيان الكامل والاقاويل في هذا كثيرة ولا فائدة في تكثير

النقل بعد انكشاف الحقيقة وقد قال سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم

اذا سئل عن الاخلاص فقال ان تقول ربي الله ثم تستقيم كما امرت اي لا تعبد هواك ونفسك

ولا تعبد الا ربك وتستقيم في عبادته كما امرت وهذا اشارة الى قطع كل ما سوى الله عن

مجرى النظر وهو الاخلاص حقا وضد الاخلاص الرياء وهو ارادة نفع الدنيا بعمل الاخرة

ثم الرياء ضربان محض ورياء تخليط فالمحض ان تريد به نفع الدنيا لا غير والتخليط

ان تريدهما جميعا نفع الدنيا ونفع الاخرة وهذا احدهما واما تاثيرهما في ان

اخلاص في العمل ان يجعل الفعل قربة واخلاص طلب الاجر ان يجعله مقبولا وان الاجر

والتعظيم والنفاق يحبط العمل ويخرجه عن كونه قربة مستحقا عليه الثواب

بالوعد من الله فالرياء المحض لا يكون من العارف عند بعض العلماء وان كان ابطل نصف

الثواب وعند الاخرين قد يكون الرياء المحض من العارف وانه يذهب بنصف الاضعاف

والتخليط

٨٨

والتخليط يذهب بربع الاضعاف والصحيح عند شيخنا ان الرياء المحض لا يكون من

العارف مع تذكر الاخرة ويكون مع السهو والمختار ان من تاثير الرياء رفع القبول

والنقصان في الثواب وان لا نعد برده بنصف ولا ربع وشرح هذه المسايل يطول

وقد شرحناها في كتاب الاحياء شرحا مستقصا واشبعنا القول في اسرار معاملات

الدين فان قلت فما معنى الاخلاص وفي اي طاعة يقع ويجب فاعلم ان الاعمال عند

بعض العلماء ثلثة اقسام قسم يقع فيه الاخلاصان جميعا وهو العبادات الظاهرة

الاصلية وقسم لا يقع بشيء منهما وهو الاعمال الباطنة الاصلية وقسم يقع فيه

اخلاص طلب الاجر دون اخلاص العمل وهو المباحات الماخوذة للعدة قال

شيخنا ان كل عمل يحتمل التقرب الى الله من العبادات الاصلية يقع فيه اخلاص

العمل فالعبادات الباطنة اكثرها يقع فيها اخلاص العمل واما الاخلاص طلب الاجر

فقال مشايخ الكرامية لا يقع في العبادات الباطنة اذ لا يطلع عليها احد الا الله تعالى

فيمتنع منها دواعي الرياء فلم يحتج الى الاخلاص طلب الاجر وكان شيخنا يقول اذا اراد

العبد متقربا من الله بالعبادات الباطنة نفع الدنيا فهو ايضا رياء قلت

انا فلا يبعد اذا ان يقع في كثير من العبادات الباطنة الاخلاصان وكذلك النوافل

يجب فيها الاخلاصان جميعا عند الشروع والمباحات الماخوذة للعدة يقع فيها اخلاص

طلب الاجر دون اخلاص العمل اذ هي لا تصلح ان يكون بنفسها قربة بل هي عدة على القربة

فان قلت هذا موضعها فبين لنا وقتها من العمل فاعلم ان الاخلاص طلب الاجر

رتمابنا خرعنه وعند بعض العلماء يعتبر فيه وقت الفراغ من العمل فاذا وقع على اخلاص
او رياء فقد انقضى الامر ولا يمكنه استدراكه بعد وعند جماعة من مشايخ الكرامية
ما لم ينل المنفعة المطلوبة بالرياء يمكنه اقامة الاخلاص في ذلك العمل فاذا نال
المطلوب فقد فات وقال بعض العلماء ان الفريضة يمكن اقامة الاخلاص فيها الى الموت
واما النوافل فلا سبيل الى ذلك قالوا والفرق بينهما ان الله تعالى ادخل العبد في الفريضة
فلا مولى له السير والتفصيل فيهما واما النفل فالعبد هو الذي ادخل نفسه فيه و
تكلفه فطولب بحق ما تكلف قلت وفي هذه المسألة فائدة وهي ان من سبق منه الرياء
وترك الاخلاص في عمل فيمكنه استدراك ذلك وتلافيه على احد الوجوه التي ذكرنا
والمقصود من نقل مذاهب الناس في هذه الدقائق عندنا الان بقلة العاملين وقلة
الرغبة في سلوك هذه الطريق والتقريب على المبتدي في العبادات فان لم يجد
لعلته دواء في هذا وجه في الاخر اخذه في الاعراض وعلل الاعمال وافاتها فافهم
راشدا ان شاء الله فان قلت كل عمل يحتاج الى اخلاص منفرد فاعلم قد اختلف
في ذلك فقيل انه يجب لكل عمل اخلاص وقيل يجوز ثنا والاخلاص بجملة من العبادات
والقليل يكفيها اخلاص واحد
في العمل ذي الاركان كالوضوء لان بعضها متعلق ببعض صلاحا وفسادا فصارت
كشيء واحد فان قلت ان اراد بعمله الخير نفعا من الله تعالى ولا يريد من الناس
شيئا من مدح او سمعة او منفعة ايكون ذلك رياء فاعلم ان ذلك
محض الرياء قال علماؤنا رحمهم الله الاعتبار في الرياء بالمراد لا بالذي يريد منه فان كان

مراده من عمل الخير نفعا دنيويا فانه رياء سواء اراده من الله تعالى ومن الناس قال
الله تعالى من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد الاخرة حرث
الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب فليس الاعتبار بلفظة الرؤية واتفاقها
من معنى الرؤية وانما سميت هذه الارادة الفاسدة بهذا الاسم لانها اكثر ما يقع يكون
من قبل الناس ورؤيتهم فافهم فان قلت اذا كان القصد في الدنيا التي يريدها
من الله التعفف عن الناس والعون على عبادة الله تعالى ايكون ذلك رياء فاعلم
ان التعفف ليس بكثرة المال والجاه وانما هو في القناعة والثقة بكفاية الله وانما العون
على عبادة الله تعالى فاذا كان مراده ذلك فلا يكون رياء ولذلك ما يتصل بامر الاخرة
واسبابها ويصير لطفا لذلك فان اريد بعمل الخير هذا النوع فلا يكون تلك
الارادة رياء لان هذا الامر يصير بتلك النية خيرا ويصير في حكم اعمال الاخرة
ولا يكون ارادة الخير رياء وكذلك ان اردت ان يكون لك تعظيم عند الناس
او محبة عند المشايخ والائمة يكون قصدك من ذلك التمكن من تاييد مذهب
اهل الحق والرد على اهل البدع والنشر للعلم او حض الناس على العبادة ونحو ذلك
دون ان تقصد بذلك شرف نفسك من حيث او دنيا تنالها فان هذه كلها
ارادة سديدة ونيات محمودة لا يدخل شيء منها في باب الرياء اذ المقصود منها الامر
الاخرة بالحقيقة واعلم اني سألت بعض مشايخنا عما يعتاده اولياؤنا من
قراءة سورة الواقعة في ايام العسر ليس المراد بذلك ان يدفع الله تعالى تلك

عنهم ويوسع عليهم بشيء من الدنيا على ما جرت به العادة فليف تقدح ارادة متاع الدنيا
بعمل الآخرة فقال في جوابه رحمه الله كلاما معناه ان المراد منهم ان يرزقهم الله تعالى قناعة
او قوتا يكون لهم عونا على عبادة الله تعالى وقوة على درس العلم وهذه من جملة ارادة
الخير دون الدنيا واعلم ان هذه السيرة اعني قلة هذه التوسعة عند السنة في امر الرزق
والخصاصة انما هو شيء وردت به الاخبار والآثار عن النبي صلى الله عليه
وسلم وعن الصحابة رضي الله عنهم حتى ان ابن مسعود حين عوتب في امر ولده انه لم
يترك لهم الدنيا قال قد خلفت لهم سورة الواقعة ومن ذلك الاصل في السنة جرت
هذه الخصلة في سير علمائنا رحمهم الله والا فلا مبالاة بحمد الله بشيء في امر الدنيا
او سعة وهم الذين يفتنون ضيق الدنيا وعسرها ويتفاءلون بذلك فيما بينهم
ويعدونه من الله سبحانه منة عظيمة ويخافون اذا بدا لهم سعة من الدنيا التي
لا يعدها اكثر الناس الا الاحسان والنعمة ان يكون استدراجا من الله تعالى
ومصيبة ليف وبطانتهم الطهارة والطي في عموم ومقدمهم يقولون الجوع راس مالنا
فهذا وضع مذهب اهل التصوف وهو مذهبي ومذهب اشياخي وبذلك جرت
سنة سلفنا وانما تقصير بعض المتاخرين فلا معتبر به وانما ذكرنا هذا الفصل لئلا
يعترض عليه من الجهال منه بمقاصد القوم في امورهم او يغلط فيهم مبتدي سليم الصدر
لم يأخذ من العلم حقه فيقول كيف يليق هذا بحال اهل الزهد والتجرد وارباب الصبر
والرياضة ولم يعلم ان هذا شيء ماخوذ من السنة ثم المقصود حصول القناعة

والقنا

والقنع لاتباع السنة والشهوة والضعف عن احتمال العسر والشدة واكثر ما نرى
في عقيب ذلك قناعة في القلب وفقد كلب الجوع وضعفه وسلوه عن الطعام و
بيننه علم ذلك من امتحنه فاعلم هذه الجملة موفقا انشاء الله تعالى القادح الثاني العجب
وانما يلزمك اجتناب لامرين احدهما انه يحجب عن التوفيق والتاييد من الله
تعالى فان المعجب مخذول واذا انقطع عن العبد التاييد والتوفيق فما اسرع ما يهلك
ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع
واعجاب المرء بنفسه والثاني انه يفسد العمل الصالح ولذلك قال المسيح صلوات
الله وسلامه يا معشر الحواريين كم من سراج قد اطفاه الريح وكم من عابد قد افسده
العجب فاذا كان المقصود والغاية العبادة وهذه الخصلة تحرم العبد حتى لا يحصل له
خير فان حصل فقليل من ذلك يفسده حتى لا يبقى بيده شيء فحقيق ان يجتهد
من ذلك ويحفظ والله تعالى ولي التوفيق والعصمة فان قلت فما حقيقة العجب
ومعناه وتاثيره وحكمه فبين لنا ذلك فاعلم ان حقيقة العجب استعظام العمل
الصالح وتفصيله عند علمائنا رحمهم الله ذكر العبد حصول شرف عمل الفنا
بشيء دون الله تعالى والناس والشيء قالوا وقد يكون العجب مثلا بان
تذكر غير هذه الثلاثة جميعا النفس والخلق والشيء ومثره ان تذكر من
اثنين وموضاها ان تذكر من واحد وضد العجب ذكر المنة وهو ان تذكر انه بتوفيق
الله وانه الذي شرفه وعظم ثوابه وقدره وهذا الذكر فرض عند دواعي العجب فعلى

في سائر الاوقات واما تاثير العجب في العمل فلبعض العلماء يقتضي الاحباط فان تاب قبل موته
سلم والا احبط واليه ذهب محمد بن صابر من شيوخ الكرامية والاحباط عنده ان
يذهب عن العمل جميع الاسماء الحسنة حتى لا يستحق بذلك ثوابا ولا مدحة البتة وفي قول
غيره وهو مذهب الاصحاب لا يحبط فان قلت كيف يلتبس على العبد العاقل ان الله تعالى
هو الذي وفق للعمل الصالح وعظم قدره واكثر ثوابه بمنه وفضله فاعلم ان ههنا نكتة
لطيفة ودقيقة شريفة وبيان الناس في العجب ثلاثة اصناف صنف منهم معجبون بكل حال
وهم المعتزلة والقدرية الذين لا يرون لله عليهم منة في افعالهم وينكرون العون
والتوفيق الخاص واللطف وذلك لشبهة استولت عليهم وصنف هم الذاكرون المنة
بكل حال وهم المستقيمون لا يعجبون بشيء من الاعمال وذلك لبصيرة اكرموا بها
وتأييد خصوا به والصنف الثالث المخلطون وهم عامة اهل السنة تارة يتنبهون
منة الله وتارة يغفلون فيعجبون وذلك لمكان الغفلة العارضة والفترة في الا
والنقص في البصيرة فان قلت كيف حال القدرية والمعتزلة في افعالهم فاعلم ان
في ذلك اختلافات فقيل انه يحبط لمكان اعتقادهم وقيل لا يحبط بل عفا بالجملة
من فرق الاسلام حتى يخص كل عمل باعجاب كما ان اعتقاد اهل السنة لا يمنع العجب في كل
عمل حتى يخصه بذكر منه فان قيل فهل سوى العجب والرياء من قادح في العمل
فيزله اجلاله فيه لقوادح سواهما لكنا خصصناهما بالذكر لانهما اصل الذي
يدور عليهما معظم الباب وقد قال بعض المشايخ ان حق العبد ان يتحفظ في العمل

من عشرة اشياء النفاق والرياء والتخليط والمن والاذى والندامة والعجب والحسرة
والتهاون وخوف ملامة الناس ثم ذكر شيخنا رحمه الله كل خصلة منها واضدادها بالعمل
فضد النفاق الاخلاص والعمل وضد الرياء اخلاص طلب الاجر وضد التخليط التفريد
وضد المن تسليم العمل لله وضد الاذى تحصين العمل وضد الندامة تثبيت
النفس وضد العجب ذكر المنة وضد الحسرة اغتنام الخير وضد التهاون تعظيم التوفيق
وضد خوف الملامة الخشية واعلم ان النفاق يحبط العمل والرياء يوجب رده والمن
والاذى يحبطان الصدقة اصلا في الوقت وعند بعض المشايخ يبطلان اضعافها
وان الندامة فانها تحبط العمل في قولهم جميعا والحسرة يذهب اضعاف العمل والحسرة
وخوف الملامة والتهاون تخفف العمل فيذهب رزانته قلت في المقبول والذي عند
التحصيل رجحان الصبر وبالتعظيم والاستخفاف والاحباط ابطال التضعيف
والثواب منفعة يقتضيها الفعل بعينه وقواعده واحواله والتضعيف زيادة
على هذا والرزانة زيادة تحصل بمقتضى قراين واحوال اخر كالاحسان الى احد من اهل
الخير ثم الى الوالدين ثم الى النبي من الانبياء ففي التبري يكون رزانة ولا يكون تضعيفا
فهذا التهذيب ما تحقق في هذه المقالة فهم ذلك وبالله التوفيق فصل فعليك
بقطع هذه العقبة المخوفة ذات المقاطع والمتالف في غاية التحذر فان صاحب
بضاعة الطاعات في قطع تلك العقبات وتحمل تلك المشقات حتى حصلت له
بضاعة من العبادة عزيزة شريفة فانه لا يخاف تلفها الا في هذه العقبة فان فيها

مقاطع يحذر ان تسلب فيها بضاعته ومنها ما يحذر ان يبتدو ومنها افات تفسد عليه
طاعته ثم اعظمها خطرا واعمها وقوعا هذان المقطعات اللذان هما الرياء والعجب
فلنذكر في كل واحد منهما اصولا مقنعة يحترز بها لعلك تعصم منهما باذن الله تعالى اما
واما الرياء فنذكر فيه اولا قول الله سبحانه وتعالى الله الذي خلق سبع سموات
ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير كان الله سبحانه
يقول انى خلقت السموات والارض وما بينهما وكل هذه الصنايع والبدايع والكنية
ينظرك لتعلم انى قدير عالم وانت تصلي ركعتين مع ما فيهما من المعايب التقصير
فلا تكتفي بنظري اليك ويعلمني بك وثنائي عليك وشكري لك حتى تحب ان يعلم الخلق
فيمدحوك بذلك ايكون ذلك وفاء ايكون ذلك عقلا يرضيه احد لنفسه ويحك افلا
تعقل والاصل الثاني ان من كان له جوهر نفيس يمكنه ان يأخذ في ثمنه الف
دينار فباعه بفلس اليسير يكون ذلك خسرانا عظيما وغبنا فظيعا وذليلا بينا
على خسة الهمة وقصور العلم وضعف الرأي وقلة العقل فما يناله العبد بعمله
من الخلق من مدحة وحطام بالاضافة الى رضى رب العالمين وشكره وثنائه
لاقل من فلس واحد في جنب الف دينار في جنب الدنيا وما فيها واكثر اليكون
ذلك من الخسران المبين ان تبيع نفسك تلك الكرامات العزيزة الشريفة
بهذه الامور الحقيرة الدنية ثم ان كان لا بد لك من هذه الخسيسة فاقصد
انت الاخرة تتبعك الدنيا بلا طلب الرزق وحده يعطك الداريين انهو مالكهما

جميعا

جميعا وذلك قوله تعالى من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة قال
النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يعطي الدنيا بعمل الاخرة ولا يعطي الاخرة بعمل الدنيا
فاذا انت اخلصت النية وجردت الهمة للاخرة حصلت لك جميعا وان انت
اردت الدنيا ذهبت عنك الاخرة في الوقت وربما لا تنال الدنيا كما تريد وان
نلتها فلا تبقى لك فيكون قد خسرت الدنيا والاخرة فتأمل ايها الغافل والاصل الثالث
ان المخلوق الذي لاجله تعمل ورضاه تطلب لو علم انك تعمل لاجله لابغضك وسخط
عليك واستهانك واستخف بك فكيف يعمل العاقل العمل لاجل من لو علم بطلب
رضاه لسخط عليه واهانه فاعمل يا مسكين لاجل من اذا عملت لاجله وقصدته
احبك واكرمك عطاؤك
بسعيك وطلبت رضاه بذلك نحتي ارضاك واغناك عن الكل وكفاك
فبهذه فافطن ان كنت تعقل والاصل الرابع ان من حصل له سعي يمكن ان
يكتب به رضى اعظم ملك في الدنيا فطلب به رضا كناس خسيس بين الناس فيكون
ذلك دليلا على السفه ورداءة الرأي منه وسوء الخط له ويقال له ما حاجتك
الى رضا هذا الكناس مع امكانك من رضاء الملك فكيف وقد سخط الكناس عليك
بسبب سخط الملك فقد فاتك الكل فهذا حال المرائي فاي حاجة الى رضى مخلوق حقير
ضعيف مهين وهو متمكن من تحصيل رضوان رب العالمين الكافي عن الكل فان
ضعف الهمة وكلت البصيرة حتى طلبت رضا مخلوق لا محالة فسبيلك ان تجرد ارا
وتخلص سعيك لله فان القلوب والنواصي بيده فهو يميل اليك القلوب ويجمعك

النفوس وليخمي من حبك الصدور رفقناك من ذلك ما لا تناله بجهدك وقصدك
وان لم تفعل وقصدت بعملك رضى المخلوقين دون سبحانه وتعالى فانه يصرف عنك النفوس
ويسخط عليك الخلق فيحصل لك بهذا الامر سخط الله وسخط الناس جميعا فيا له من خسران
وحرمان ولقد ذكر عن الحسن انه قال كان رجل يقول والله لاعبدن الله عبادة اذكر بها
فكان اول داخل في المسجد واخر خارج منه لا يراه احد حين الصلوة قائما يصلي وصائما
لا تنظره مجلس الا حلق الذكر فلبث كذا سبعة اشهر فكان لا يمر بقوم الا قالوا فعل الله
بهذا المرائي وصنع فاقبل على نفسه باللوم وقال اراني في غير شيء لاخلصن عملي كله لله
فلم يزد على عمله الذي كان يعمل قبل ذلك الا انه تغيرت نيته الى الخير وكان بعد ذلك
يمر بالناس فيقولون رحم الله فلانا الان قد اقبل على الخير ثم قرء الحسن ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا قال يحبهم ويحببهم الى المؤمنين ولقد صدق القايل
يا مبتغي الحمد والثواب • بعمل يبتغي محاله • قد خيب الله ذا رياء • وابطل السعي والكلاله
من كان يرجو لقاء رب • اخلص من خوفه الفعاله • الحمد والشكر في يديه • واي يعطيك
النوالا • والناس لا يملكون شيئا • فكيف رايتهم ضلاله • وانما العجب فلنذكر فيه امرين احدهما
ان فعل العبد انما صارت له قيمة لما وقع من الله موقع الرضا والقبول والا فترى
الاجير يعمل طول النهار بدرهمين والحارس يسهر طول الليل بدانقين وكذلك
اصحاب الصناعات والحرف كل واحد يعمل في الليل والنهار فيكون قيمة ذلك الدراهم
معدودة فان صرفت الفعل الى الله فصمت يوما قال انما يوفى الصابرون اجرهم

بغير

بغير حساب وفي الخبر اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر فهذا يوم من الذي قيمته درهمان مع احتمال التعب العظيم صارت له
هذه القيمة بتاخير غداء الى عشاء ولو في ليلة لله تعالى قال الله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم
من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون فهذا الذي قيمته دانقان او درهمان صار له
كل هذه القيمة والقدر بل لو جعلت لله شيئا يسيرا تصلي ركعتين خفيفتين بل نفسا
قلت لا اله الا الله قال الله تعالى ومن يعمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك
يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب فهذه شيئا من انفاسك التي لا قيمة لها
عند اهل الدنيا ولا عندك فكم تضيعها في لا شيء وكم تمر عليك بلا فائدة صار لها كل هذا
القدر لماذا لما انه وقع مرضيا لله تعالى فعظم قدره وكثر قيمته بفضله فحق اذا للعاقل
ان يرى حقارة عمله وقلة مقداره من حيث هو وان لا يرى الا المنة لله تعالى عليه فيما شرف
من قدر عمله واعظم من جزائه وان يحذر على فعله من ان يقع على وجه لا يصلح لله
ولا يقع منه موقع الرضى فيذهب عنه القيمة التي حصلت له ويعود الى ما كان في الاصل
من الثمن الحقير من دراهم او دوانيق واحقر واخس من ذلك ومثاله ان المتقود
من العنب والاضبارة من الريحان يكون قيمته في السوق انفاقا ما اهداه واحد الى
الملك دسيسة فوقع منه موقع الرضا فيهب له على ذلك الف دينار لما وقع من الملك
موقع الرضا فصار ما قيمته حبة بالف دينار فاذا لم يرضه الملك ورده عليه
رجع الى قيمته الخسيسة من حبة او دانق فكذلك ما نحن فيه فتنبه والبصر منه

ومن فعلك عملا تثنيه عند الله تعالى **الاصل الثاني** ما لم تعلم ان الملك في الدنيا اذا اجرى
على احد كراية من طعام او كسوة او دراهم او دنانير مدة في ابنة فانه سيخدمه بنفسه
للخدمة اناء الليل والنهار مع ما في ذلك من الذل والصغار ويقوم على راسه حتى تخدر
رجلاه ويسعى بين يديه اذا ركب وربما يحتاج ان يكون على بابه طول الليل والنهار
حارسا وربما يبدو له عدو فيحتاج ان يقاتل عدوه فيبذل روحه التي لا خلف منها
لاجله كل هذه الخدمة والكلفة والخطر والضرر لاجل تلك المنفعة النكدة الحقيرة
مع انها بالحقيقة من الله تعالى وانما هو غمز له سبب في ذلك وربك الذي خلقك
ولم تك شيئا ثم رباك فحسن اليك التربية ثم انعم عليك من النعم الظاهرة والباطنة
في دينك ونفسك ودنياك ما لا يبلغ كنهها فهمك ووهمك قال الله تعالى وان
تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم انك تصلي ركعتين مع ما فيهما من المعايب
والافات ومع ما وعد عليهما في المستقبل من حسن الثواب وضروب الكرامات
حتى تستعظم ذلك وتعجب فليس هذا من شان عاقل اذا نظرت بعين هذه ٥

الاصل الثالث ان الملك الذي من شانه ان يخدمه الملوك ويقوم على راسه
السادات والعظماء ويتولى خدمته الانبياء والحكماء ويطلب خدمته العقلاء
والعلماء ويمشي بين يديه الاكابر والرؤساء اذا اذن لسوقي او قروي
بمقتضى رافة وعناية له في بابه حتى زاحم اولئك الملوك والسادات والاكابر والاناف
في خدمته ومدحته وجعله مقاما من حضرته معلوما ونيطا لخدمته

جبين

جبين الرضا وان كانت مشوشة معيوبة البس يقال له لقد كثرت عليك هذه الحقيقة المنة
من الملك وعظمت عنايته به فان اخذ هذا الحقير يمن على الملك بتلك الخدمة المعيوبة
ويستعظم ذلك ويعجب لا يقال ان ذلك لسفيه جدا ومجنون لا يعقل شيئا ولننظر
تنزها فان الهنا سبحانه هو الملك الذي يسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن
وان من شيء الا يسبح بحمده وهو المعبود الله الذي يسجد له من في السموات والارض
طوعا وكرها من الخدم على بابه جبرائيل الامين وميكائيل واسرافيل وعزرائيل
وحملة العرش والكروبيون والروحانيون وسائر الملائكة المقربين الذين
لا يحصى عددهم الا الله رب العالمين في منازلهم الرفيعة وانفسهم الطاهرة وعباداتهم
العظيمة ثم من الذين هم خدمه على بابه ادم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد
خير العالمين مع سائر الانبياء والمرسلين صلوات الله عليهم اجمعين في مراتبهم
المنيفة ومناقبهم العزيزة الشريفة ومقاماتهم الكريمة وعباداتهم الجليلة الخطيرة
ثم من العلماء الائمة الابرار والزهاد الاخيار من مراتبهم الفاخرة وابدانهم النفيسة
الطاهرة وعباداتهم الكثيرة الخالصة المتظاهرة واذل الخدم على بابه ملوك
الدنيا وجبابرتها يخرون له على الاذقان ساجدين ويعفرون الوجوه في التراب
خاضعين ويرفعون حوائجهم اليه باكين ضارعين ويعترفون له بالعبودية
والنقص عابدين ساجدين صاغرين حتى ربما ينظر اليهم نظرة ويقضي لهم بفضله
حاجة او يتجاوز عنهم بكرمه زلة فمع هذه العظمة والجلال والملك والكمال

قد اذن لك في حقارتك وعيوبك وانت الذي لو استاذنت على رئيس بلدك فربما لا ياذن
لك وان كلمت اميرنا جنك فربما لا يكلمك وان سجدت لسلطان بلدك
بالارض فربما لا يلتفت اليك اذن لك جل جلاله حتى تعبده وتثني عليه وتخاطبه
بل تدعيه بالمسئلة وتباسطه فتستقضيه حوائجك وتستكفيه مهماتك ثم
انه يرضى ركعتيك ويعايبها ثم بعد من الثواب عليهما ما لا يخطر بقلب بشر وانت
مع ذلك تتعجب بها اي الركعتين وتستكثر ذلك وتستعظمه ولا ترى منة الله
تعالى عليك في ذلك فما اسوأك من عبد وما احمقك من انسان والله تعالى المستعان
واليه المشتكى من هذه النفس الجاهلة وعيبه النكلان فمن هذه فصل وعلى
وجه اخر الملك العظيم اذا اذن في ادخال الهدايا اليه فيدخل بحضرة الامراء والاكابر
والرؤساء والنبلاء والاغنياء بانواع الهدايا من الجواهر الثمينة والذخائر النفيسة
والاموال الجليلة فان جاء بقال بباقة بقل او قروي بسلة عنب تساوي دانقا
او حبة فيدخل في حضرة وزاحم اولئك الاكابر والاغنياء بهدايا هم الكثيرة
الشريفة وهذا الملك من هذا الفقير هديته وينظر اليه بنظر القبول والرضى و
يامر له بانفس خلعة وكرامة الا يكون ذلك منه غاية الفضل والكرم فان اخذ
هذا الفقير من على الملك بذلك ويعجب ويستعظمه وينسى ذكر المنة الملك الا
يقال ان هذا مجنون مضطرب العقل او سفيه سيئ الادب عظيم الجهل فان انت
ان قمت ليلة وصليت ركعتين فاذا فرغت فتفكر لمقام بسحق وتعالى في هذه الليلة

س

من الخدم في اقطار الارض وبحرها وجبالها وبلادها من اصناف المستقيمين والصديقين
والخائفين والمشتاقين والمجتهدين والمتضرعين وكم حضرت في هذه الساعة
بباب الله سبحانه من عباده صافية وخدمة خالصة عن انفس خاشعة
والسن طاهرة وعيون باكية وقلوب عارفة وصدور نقية واركان تقية وصلوات
ان كنت بذلت الجهود في تحسينها واحكامها واخلاصها فلا تكاد تصلح لحضرة الملك
العظيم ولا تبين في جنب تلك العبادات التي تعرض هنالك كيف وقد كانت
منك صلاة قد غافل مختلط بانواع المعصية والفضول فكيف يصلح هذا ان يحمل
الى تلك الحضرة فكيف يستاهل ان يهدى الى رب العزة قال شيخنا رحمه الله انظر ايها الغافل
هل وجدت قط صلاة من صلواتك الى السماء لما انك بعثتها الى بيوت الاغنياء وكان
ابو بكر الوراق يقول ما فرغت قط من صلاة الا استحييت حين فرغت منها اشد
من حياء امرأة فرغت من الزنا ثم ان الرب الكريم سبحانه بمحض فضله وكرمه
عظم قدرها يعني الركعتين ووعد عليهما من جزيل الثواب ما وعد وانت عبده
وفي جرايته وعملت بتوفيقه وتيسيره ثم مع ذلك تعجب وتنسى منة الله عليك
هذا والله اعجب العجب لا يكاد يذهب مثله الا عن جاهل لا فكر له وعن غافل لا ذهن له
او قلب ميت خاوٍ لا خير فيه فنسأل الله حسن الكفاية بمنه وفضله فصل
ثم انظر بعد هذه الجملة بتيقظ من رقدتك ايها الرجل فهذه العقبة والا كنت
من الخاسرين فان هذه العقبة اشد واشق وامر واصعب عقبة اسلك

بلك في هذه الطريق اذ اليها تنتهي ثمرة الكل مما مضى من العقبات فان سلمت غنمت
وربحت وان كانت الاخرى فقد ضاع السعي كله وخاب الامل وبطل العمر ثم الشان
كله اذ قد اجتمع في هذه العقبة هاهنا ثلثة امور الاول ان الامر دقيق جدا والعين
شديد والخطر عظيم اما دقة الامر فان مجاري الرياء والعجب في الاعمال دقيقة خفية
بالغاية فلا يكاد يتنبه لذلك الا كل نحرير في امر الدين بصير يقظان القلب متحرزا
فانى يطلع عليه الجاهل المغرور والغافل النوم ولقد سمعت بعض علمائنا
بنيسابور يحكي ان عطاء السلمي نسج ثوبا فاحكمه وحسنه جدا ثم حمله
الى بزاز فعرضه فاستخصه البزاز وقال ان فيه عيبا كيت فاخذه عطاء
وجلس يبكي بكاء شديدا فندم الرجل على ذلك وجعل يعتذر اليه ويبذل له
ثمنه ما يريد فقال له عطاء ليس ذلك ما تظن انما انا عامل في هذه الصناعة
وقد اجتهدت في احكام هذا الثوب واصلاحه وتحسينه حتى لا يوجد فيه عيب
فلما عرض على البصير بعيوبه اظهر فيه عيبا كنت عنه غافلا فكيف اعمالنا هذه
اذا عرضت غدا على رب العالمين كم يبدو فيها من العيوب والنقصان التي نحن اليوم
عنها غافلون وعن بعض الصالحين انه قال كنت ليلة في وقت السحر في غرفة لي
شارعة اقرأ سورة طه فلما ختمتها غفوت غفوة فرأيت شخصا نزل من السماء
بيده صحيفة فنشرها بين يدي واذا فيها سورة طه واذا تحت كل كلمة عشر
حسنات مثبتة الا كلمة واحدة فاني رايت مكانها محوا ولم ار تحتها شيئا فقلت

والله

والله لقد قرأت هذه الكلمة ولا ارى لها ثوابا ولا اراها اثبتت فقال الشخص صدقت وقد قرأتها
وكتبناها الا انا قد سمعنا مناديا ينادي من قبل العرش امحوها واسقطوا ثوابها
فمحوناها قال فبكيت في منامي وقلت لم فعلتم ذلك قال مر رجل فرفعت بها صوتك
لاجله فذهب ثوابها فهذه مرة واما شدة العين فدون الرياء والعجب آفة عظيمة
تقع في لحظة فربما تفسد عليك عبادة سبعين سنة وحكي ان رجلا اضاف سفيان
الثوري رحمه الله واضحى فقال لاهله هاتوا الطبق لا الذي اتيت به في الحجة الاولى
بل الذي اتيت به في الحجة الثانية فنظر اليه سفيان وقال مسكين قد افسد عليه
حجتيه ووجه آخر في العين ان اقل طاعة سلمت عن هذا العجب يكون لها من انه
الله تعالى من القيمة ما لا نهاية له واكثر طاعة اذا اصابتها هذه الآفة بقيت لا قيمة لها
الا ان يتداركها الله تعالى على ما روي عن علي رضي الله عنه انه قال لا يقل عمل بتقوى وكيف
يقل عمل مقبول وسئل النخعي عن عمل كذا وكذا ما ثوابه قال اذا قبل لا يحصى ثوابه
وعن وهب قال كان فيمن كان قبلكم رجل عبد الله تعالى سبعين سنة
عاما صائما يفطر من سبت الى سبت فطلب من الله حاجة فلم تقض فاقبل
على نفسه وقال من قبلك اتيت لو كان عندك خير قضيت حاجتك فانزل الله
تعالى ملكا فقال يا ابن آدم ساعتك التي ازريت بنفسك فيها خير من عبادتك
التي مضت قلت فلينظر العاقل الى هذا الكلام اليس من ذلك العين ان واحدا
يكدح ويتعب سبعين سنة وآخر يتفكر ساعة واحدة فيكون فكره ساعة افضل

من سبعين سنة وخير البر من الغبن العظيم انك تتمكن من فكر ساعة خير من سبعين
سنة وتترك ذلك من غير حاجة بلى والله انه لاعظم الغبن وان اغفاله لاشد
خسرانا وان الخصلة التي لها هذه القيمة والخطر يجب ان يحذر منه وتجتنب
ولمثل هذا المعنى انما وقع نظر اولى الابصار من العباد في مثل هذه الدقايق واهتموا
بمثل هذه الاسرار بمعرفتها اولا ثم رعايتها والتحفظ عنها ثانيا ولم تغنهم كثرة الاعمال
بالظاهرة وقالوا الشان في الصفوة لا في الكثرة وقالوا جوهرة واحدة خير من الف
خرزة واما الذين قل علمهم وكل في هذا الباب نظرهم فجهلوا المعاني واغفلوها في القلوب
من عيوبهم واشتغلوا باتعاب النفوس في الركوع والسجود والامساك
عن الطعام والشراب ونحو فرحهم العدد والكثرة ولم ينظروا فيهما من المخ والفتوق
وما يغني عدد الجوز ولا ثقله وما ينفع رفع السقوف ولم تحكم مبانيها وما يعقل
هذه الحقايق الا العالمون بالله المكاشفون والله تعالى ولي التوفيق والهداية
بفضله واما عظيم الخطر فمن وجوه احدها ملك لا نهاية لجلاله وعظمته
له عليك نعم لا تعد ولا تحصى بدون معيوب بعيوب خفية موفوفا بآفات
كثيرة وامر محفوف ان وقع لك ذلك مع تسارع النفس اليه فتحتاج ان تستخرج
عملا صافيا سالما من بدون معيوب وتقدمه له الى التزامات بالسنو
على وجه يصلح لرب العالمين في جلاله وعظمته وكثرة اياديه ومنته ويقع منه
موقع الرضا والقبول والا فيفوتك الربح العظيم الذي لا تسمح النفس بفوته بل ربما

بقبيك

بقبيك مصيبة لا طاقة لك بها وهذا شان عظيم وخطب جسيم اما جلال الملك وعظمته
فبحيث ان الملايكة المقربين الابرار قايمون له بالخدمة ان الليل والنهار حتى ان منهم
من مذ خلقه الله تعالى في قيام ومنهم من هو في ركوع ومنهم من هو في سجود ومنهم من
هو في تسبيح وتهليل فلا يتم القايم قيامه ولا الراكع ركوعه والساجد سجوده
ولا المسبح تسبيحه ما زال صوت الى نفخة الصور ثم لما فرغوا من هذه الخدمة العظيمة
نادوا باجمعهم سبحانك ما عبدناك حق عبادتك وهذا سيد المرسلين وخير
العالمين اعلم الخلق وافضلهم محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله اجمعين
يقول لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك يقول لا اقدر ان اثني ثناء
عليك انت له اهل فضلا عن ان اعبدك كما انت له اهل وهو الذي يقول ليس احد يدخل
الجنة بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته واما
النعم والايادي فكما قال الله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وعلى ما روي
انه يحشر الناس على ثلثة دواوين ديوان الحسنات وديوان السيئات وديوان
النعم فيقابل الحسنات بالنعم فلا يوازي حسنه الا بنعمة حتى تغمر الحسنات
وتبقى السيئات والذنوب فلله تعالى فيها المشية واما عيوب النفس وافاتها فقد قد منه
في بابها والامر المخوف ان العبد يكدح ويدأب سبعين سنة غافلا عن عيوب
وافاته فربما لا يكون واحد منها مقبولا وربما تبعث اعمالا فيفسد ستا واحدة
واعظم خطرا من ذلك كله انه ربما ينظر الله سبحانه الى العبد وهو يرائي الناس بعبادته

وخدمته بجعل ظاهره لله تعالى وقلبه وباطنه للخلق فيطرده طرد الامر ذلة والعياذ بالله
ولقد سمعت بعض العلماء يحكي عن الحسن البصري رحمه الله انه روي في المنام بعد موته فسئل عن
حاله فقال اوقفني الله تعالى بين يديه وقال يا حسن اتذكر يوم كنت تصلي في المسجد
اذ رمقك الناس بابصارهم فزدت حسنا لصلاتك فلولا انه اول صلوتك اخلاصا
لطردتك اليوم عن بابي ولقطعتك عني مرة واحدة ولما كان الامر في الجملة من الدقة وا
الصعوبة الى حد عظيم نظر اولو الابصار فيه فحافوا على انفسهم حتى ان منهم من لا يلتفت
الى جميع ما يظهر للناس من اعماله حتى حكي عن رابعة انها قالت ما ظهر من اعمالي لا اعده
شيئا وقال اخر اكتم حسناتك كما تكتم سيئاتك واخر يقول ان امكنك ان تجعل لك
لنفسك خبيئا من الخير فافعل ولقد حكي انه قيل لرابعة رحمها الله ما اكثر ما ترجين قالت
بياسي من جل عملي وحكي انه اجتمع محمد بن واسع ومالك بن دينار فقال مالك
اما طاعة او النار فقال محمد بن واسع اما رحمة الله او النار فقال مالك ما احوجني
الى معلم مثلك وعن ابي يزيد البسطامي رحمه الله انه قال كابدت العبادة ثلاثين سنة فرايت
قائلا يقول لي يا ابا يزيد خزائنه مملوءة من العبادة ان اردت الوصول اليه فعليك
بالذلة والافتقار وسمعت الاستاذ ابا الحسن رحمه الله يحكي عن الاستاذ ابي الفضل
رحمه الله انه كان يقول انني اعلم ان ما اعمله من الطاعات غير مقبول عند الله تعالى فقيل له
في ذلك فقال لانني اعلم ما يحتاج اليه الفعل حتى يكون مقبولا واعلم انني لست اقوم
بذلك فعلمت انها غير مقبولة فقيل له فلم تفعلها قال عسى ان يصلحني الله يوما

فتكون

٩٨

فتكون النفس متهونة لفعل الخير ولا احتاج الان اعونها كما قال القائل فهذا حال ائمة
الاعلام وذوي المجاهدات والاقدام قال بعض الشعراء فاطلب لنفسك صحبة مع غير
مثلهم وقع الاياس وخاب الامال هيهات تدرك بالتواني سابقة كدوا النفوس
وساعدوا الاقبال ثم رايت ان اثبت ههنا الخبر المأثور عن الصادق المصدق
صلوات الله عليه وسلامه وقد ذكرناه في غير كتاب روي عن ابن المبارك عن رجل انه
قال لمعاذ حدثني حديثا سمعته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظته وذكرته
في كل يوم من شدته ورقته قال نعم ثم بكى طويلا ثم قال واشوقاه الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم والى لقائه ثم قال بينما انا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا راكب وانا رديفه ثم سرنا فرفع بصره الى السماء وقال الحمد لله الذي يقضي في خلقه
ما يشاء يا معاذ قلت لبيك يا سيد المرسلين قال احدثك بحديث ان انت
حفظته نفعك وان ضيعته انقطعت حجتك عند الله عز وجل يا معاذ ان الله تعالى
خلق سبعة املاك قبل ان يخلق السموات لكل سماء ملكا وجعل على كل باب
من ابواب السموات ملكا بوابا على قدر الباب وجلالته فتصعد الحفظة بعمل العبد
وله نور وشعاع كالشمس حتى اذا بلغ السماء الدنيا والحفظة تستكثر عمله وتزكيه
فاذا انتهى الى الباب قال الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا صاحب
الغيبة امرني ربي ان لا ادع عمل من يغتاب الناس يتجاوزني الى غيري ثم تجيء الحفظة
من العبد من الغد معهم عمل صالح له نور تستكثره الحفظة وتزكيه حتى اذا انتهوا

بالى السماء الثانية قال الملك البواب قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه فانه اراد به
عرض الدنيا امرني ربي ان لا ادع عمله يتجاوزني الى غيري فتلعنه الملائكة حتى يمسي و
تصعد الحفظة بعمل العبد مبتهجا فيه صدقة وصيام وكثير من البر فتستكثره
الحفظة وتزكيه فاذا انتهوا به الى السماء الثالثة قال الملك البواب قفوا واضربوا بهذا
العمل وجه صاحبه انا ملك صاحب الكبر امرني ربي ان لا ادع عمله يتجاوزني
الى غيري انه كان يتكبر على الناس في مجالسهم وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كما تزهر
النجوم والكوكب الدري له دوي وتسبيح بصوم وصلاة وحج وعمرة فاذا انتهوا
الى السماء الرابعة قال الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا الملك
صاحب الاعجاب امرني ربي ان لا ادع عمله يتجاوزني الى غيري انه كان اذا عمل عملا
ادخل العجب فيه وتصعد الملائكة بعمل العبد فيزف كما تزف العروس الى اهلها حتى اذا
انتهوا الى السماء الخامسة بذلك العمل الحسن من جهاد وحج له ضوء كضوء الشمس
فيقول الملك انا الملك صاحب الحسد انه كان يحسد الناس على ما اتاهم الله من
فضله فهو يسخطها رضي الله امرني ربي ان لا ادع عمله يتجاوزني الى غيري وتصعد
الملائكة بعمل العبد بوضوء تام وصلاة كثيرة وصيام وحج وعمرة فيتجاوزون
الى السماء السادسة فيقول الملك الموكل بالباب انا صاحب الرحمة اضربوا بهذا
العمل وجه صاحبه انه كان لم يرحم قط انسانا وان اصيب عبد شمت به امرني ربي
ان لا ادع عمله يتجاوزني الى غيري وتصعد الملائكة بعمل العبد بنفقة كثيرة وصوم

وصلاة وجهاد وورع له صوت كصوت الرعد وضوء كضوء البرق فاذا انتهوا الى السماء
السابعة يقول الملك الموكل بالسماء انا صاحب الذكر ان صاحب هذا العمل اراد به
الذكر في المجالس والرفعة عند القران والجاه عند الكبراء امرني ربي ان لا ادع عمله يتجاوزني
الى غيري وكل عمل لم يكن لله تعالى خالصا فهو رياء ولا يقبل الله عز وجل المرائي وتصعد
الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذ
وتشيعه ملائكة السموات السبع حتى يقطع الحجب كلها الى الله سبحانه فيقفون بين يدي
الرب جل جلاله ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص فيقول الله تعالى انتم الحفظة على عمل
عبدي وانا الرقيب على ما في نفسه انه لم يردني بهذا العمل ولا اخلصه لي وانا اعلم بما
بعمله عليه لعنتي غر الادميين وغركم ولم يغرني وانا علام الغيوب المطلع على ما في
القلوب لا يخفى علي خافية ولا يعزب عني عازبة علمي بما كان كعلمي بما لم يكن وعلمي بما مضى
كعلمي بما بقي وعلمي بالاولين كعلمي بالاخرين اعلم السر واخفى فكيف يغرني عبدي بعلمه
انما يغر المخلوقين الذين لا يعلمون وانا علام الغيوب عليه لعنتي ويقول الملائكة
السبعة والثلاثة الالاف المشيعون يا ربنا عليه لعنتك ولعنتنا فيقول اهل السماء
عليه لعنة الله اللاعنين ثم بكى معاذ رضي الله عنه وانتحب انتحابا شديدا وقال
يا رسول الله اكرمك الله كيف النجاة مما ذكرت قال اقتد بنبيك في اليقين قلت
انت يا رسول الله وانا معاذ بن جبل كيف لي النجاة والخلاص قال نعم يا معاذ ان كان
في عملك تقصير فاقطع لسانك عن الوقيعة في الناس وعن اخوتك من حملة القران

خاصة وليردك عن الوقيعة في الناس ما تعلمه من عيب نفسك ولا تترك نفسك
بذم اخوانك ولا ترفع نفسك بوضع اخوانك ولا تري بعملك كي تعرف في الناس ولا تدخل
في الدنيا دخولا ينسيك امر الاخرة ولا تناج احدا وعندك اخر ولا تتعظم على الناس
فتنقطع عنك خيرات الدنيا والاخرة ولا تفحش في مجلسك حتى يحذروك من سوء خلقك
ولا تمزق الناس بلسانك فتمزقك كلاب جهنم قوله تعالى والناشطات نشطا يقول
تنزع اللحم عن العظم قلت يا رسول الله من يطيق هذه الخصال قال يا معاذ ان الذي
وصفت لك ليسير على من يسره الله تعالى عليه انما يكفيك من ذلك ان تحب للناس ما تحب
لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك فاذا انت قد سلمت قال خالد بن معدان وكان
معاذ لا يكثر من تلاوة القران كما يكثر من تلاوة هذا الحديث وذكره في مجلسه فلما سمعت
ايها الرجل هذا الحديث العظيم بناؤه الكبير خطره الاليم من هوله النفوس فاعتصم
بمولاك رب العالمين والزم الباب المتضرع والابتهال والبكاء اناء الليل واطراف
النهار مع المتضرعين المبتهلين فانه لا نجاة من هذا الا برحمته ولا نجاة ولا سلامة
من هذا البحر الا بنظره وعنايته فتنبه من رقدة الغافلين واعقل الامر حقه
وجاهد نفسك في هذه العقبة المخوفة لعلك لا تهلك مع الهالكين والمستعان بالله تعالى
على كل حال فانه خير معين وهو تعالى ارحم الراحمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم **فصل** وجملة الامر انك اذا احسنت النظر ورايت قدر طاعة الله تعالى
ورايت عجز الخلق ومهنتهم وجهلهم فلا تلتفت اليهم بقلبك وكن زاهدا في ثنائهم

ومدحهم وتعظيمهم الذي لا فائدة تحته فلا تزيد بطاعتك شيئا من ذلك ورايت
خسة الدنيا وحقارتها وسرعة زوالها فلا تريدها ايضا بطاعتك من الله تعالى وتقول
يا نفس انما رب العالمين وشكره واعزازه خير من ثناء المخلوقين العاجزين الجاهلين
الذين لا يعرفون قدر عملك بالحقيقة وما تحملت فيه وما يبلغون حقك فيما عملت
وتحملت بل ربما يفضلون عليك من هو دونك حالا بالف درجة ويضيعونك
في احوج الاوقات اليهم وينسونك وان لم يفعلوا ذلك فما عسى ان يكون بايديهم والى
ماذا تبلغ قدرتهم ثم في قبضة الله تعالى يصرفهم كيف يشاء واني يشاء فاعقلي ايها
النفس ولا تضيعي طاعتك العزيزة ولا يفوتك ثنا من ثنا في كل فخر وعطا في كل رحم
ولقد صدق القائل • سهر العيون لغير وجهك باطل • وبكاؤهن لغير وصلك
ضايع • وقل يا نفس جنة الخلد خير لمطلقة من حطام الدنيا وحطامها النكد الفاني
وانت متمكنة من ان تحصلي بطاعتك هذا النعيم المقيم فلا تكوني خسيسة الهمة
زرية الاراء دنية الافعال مثل الحمام اذا كان سماتنا كيف تغلوا قيمتها وتز كر
قدري في رفعة همتك كلها الى السماء وجودي بقلبك لله تعالى الواحد الذي بيده الامر
كله ولا تضيعي ما ظفرت به من طاعتك بلا شيء وكذلك اذا احسنت
التامل ورايت ايادي الله تعالى ومننه العظام عليك في هذه الطاعة بان امكنك
منها واعطاك الالة اولا ثم ازاح العوائق حتى تفرغت لهذه الطاعة ثانيا
ثم خصك بالتوفيق والتاييد ويسرها عليك وزينها في قلبك حتى عملتها

تالنا ثم مع جلاله وعظمته واستغنائه عنك وعن طاعتك وكثرة نعمه عليك
عليك اعد لك على هذا العمل اليسير الثناء الجزيل والثواب العظيم الذي لا تستحقه ولا بعد
ثم شكرك على الثواب عليك فاعتك بذلك فاحسب هذه كلها بفضله العظيم لا غير
والا فبأي استحقاق لك واي قدر لعملك الحقير المعيوب فاذكري ايتها النفس منة ربك
الكريم الرحيم سبحانه فيما احسن اليك في هذه الطاعة فاستحي من ان تلتفتي الى عمل بل الفضل
والمنة لله تعالى علينا بكل حال ولا يكون لك شغل بعد حصول هذه الطاعة الا التضرع
والابتهال الى الله سبحانه بان يقبلها اما تسمعين في خليله ابراهيم صلى الله عليه وسلم
لما فرغ من خدمته وبناء بيته كيف ابتهل اليه في ان يتفضل عليه بالقبول
فقال ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم فلما فرغ من دعائه قال ربنا وتقبل دعاء
فلئن من عليك بقبول هذه البضاعة المزجاة فلقد اكمل المنة واعظم النعمة وبالك
من سعادة ودولة وعز ورفعة وكم تزين لذلك من خلعة ونعمة وذخر وكرامة وان
تكن الاخرى فيالك من خسران وغبن وحرمان فاهتمي واشتغلي بهذا الشان
واذا واظبت على مثل هذا وكررته على قلبك عند الفراغ من طاعتك واستعنت
بالله تعالى صرفك عن الالتفات الى الخلق والنفس وشغلك عن المرايات والاعجاب
وبعثك على محض الاخلاص لله تعالى في الطاعات والتمسك بذكر منة الله تعالى عليك
في جميع الحالات وحصل لك فيما ارجو طاعات طاهرة لا عيب فيها وخيرات
خالصة لا شوب فيها وعبادات مقبولة لا نقص فيها بعمر طويل مثل هذه الطاعات

وان حصلت في العمر كله مرة واحدة للعبد فانها بالحقيقة لكثيرة لعمري انها وان قل عددها
لقد كثر معناها وعظم قدرها وكبر نفعها وطابت عقبيها وان التوفيق بمثلها عزيز
والفضل لله تعالى على العبد لكثير فاي هدية اجل من هدية يقبلها رب العالمين واي
سعي اكرم من سعي يشكره ويثني عليه رب العالمين واي بضاعة اعز من بضاعة اشتراها
ورضيها رب العالمين فتاملها ايها المسكين واياك ان تكون من المغبونين واذا جرى الامر
على هذه الجملة كنت من المخلصين لله تعالى الخالصين الذاكرين منة المرضيين وكنت
قد قطعت هذه العقبة المخوفة وسلمت من افاتها وسبقت بخيراتها وثمراتها فائزا
على الابد بكرامها وسعاداتها والله سبحانه ولي التوفيق والعصمة بمنه ولا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم **العقبة السابعة وهي عقبة الحمد والشكر** ثم عليك وفقك الله واياناحسن
توفيقه بعد قطع هذه العقبات والظفر بالمقصود من العبادة السالمة من الافات
بالحمد والشكر لله تعالى على هذه النعمة العظيمة والمنة الكريمة واما بيان
ذلك فلامرين احدهما لدوام النعمة والثاني لحصول الزيادة فاما دوام النعمة فلان
الشكر قيد النعمة به تدوم وتبقى وبتركه تزول وتحول قال الله تعالى ان الله لا يغير
ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وقال جل من قائل فكفرت بانعم الله فاذاقها
الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون وقال سبحانه ما يفعل الله بعذابكم
ان شكرتم وامنتم وقال صلى الله عليه وسلم ان للنعم اوابد كاوابد
الوحش فقيدوها بالشكر واما حصول الزيادة فلما كان الشكر هو قبل

النعمة فهو من الزيادة قال الله سبحانه وتعالى لئن شكرتم لأزيدنكم والذين اهتدوا
زادهم هدى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالشكر يحكم ازدياد
العبد قد قام بحق نعمة يمن عليه بأخرى ويراه أهلا لها وإلا فينقطع ذلك
عنه ثم النعم قسمان دنيوية ودينية فالدنيوية ضربان نعمة نفع ونعمة
دفع فنعمة النفع أن أعطاك المصالح والمنافع وهي ضربان الخلقة السوية في سلامتها
وعافيتها والملاذ المشتهية من المطعم والمشرب والملبس والمنكح وغيرها من
فوائدها ونعمة الدفع أن صرف عنك المفاسد والمضار وهي ضربان أحدهما
في النفس بأن سلمك عن ما فيها وسائر آفتها وعللها والثاني دفع ما يلحقك
من ضرر من أنواع العوائق أو يقصدك بسوء من جن أو انس أو سباع
أو هوام ونحوها وأما النعم الدينية فضربان نعمة التوفيق ونعمة العصمة
فنعمة التوفيق أن وفقك أولا للإسلام ثم للسنة ثم للطاعة ونعمة العصمة أن
عصمك أولا عن الكفر والشرك ثم عن البدعة والضلالة ثم سائر المعاصي وتفصيل
ذلك لا يحصيه إلا السيد العالم الذي أنعم عليك كما قال عز وجل وإن
تعدوا نعمة الله لا تحصوها وأن دوام هذه النعم كلها مما من عليك بها و
الزيادة عليها من كل باب منها ما لا يبلغه وهمك كلها متعلق بشيء واحد
وهو الشكر والحمد لله وإن خصلة يكون لها هذه القيمة ويكون فيها كل هذه
الفائدة لحقيق أن يتمسك بها من غير إغفال بحال فإنه جوهر ثمين وكيمياء

عزيز والله ولي التوفيق والهداية بفضله ومنه ورحمته فإن قيل فما حقيقة
الحمد والشكر وما معناهما وحكمهما فاعلم أن العلماء فرقوا بين الحمد والشكر
عند التحصيل بأن الحمد من أشكال التسبيح والتهليل فيكون من المساعي الظاهرة
والشكر من أشكال الصبر والتفويض فيكون من المساعي الباطنة ولأن الشكر
يقابل الكفران والحمد يقابل اللوم ولأن الحمد أعم والشكر أخص وأقل
قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور فثبت أنهما معنيان متميزان ثم الحمد
هو الثناء على أحد بالفعل الحسن وهو مقتضى كلام شيخنا رحمه الله وأما الشكر فتكلموا
في معناه فأكثروا فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح
لرب الخلائق في السر والعلانية وإلى نحو هذا ذهب بعض مشايخنا فقال الشكر هو أداء الطاعات
في الظاهر والباطن ثم رجع إلى أنه اجتناب المعاصي ظاهرا وباطنا وقال غيره الشكر هو الا
حتراس عن اجتناب معاصي الله عز وجل تحترس على قلبك ولسانك وأركانك حتى لا تعصي
الله عز وجل بشيء من هذه الثلاثة بوجه من الوجوه والفرق بين قوله وبين قول
الشيخ الأول أنه رحمه الله جعل الاحتراس معنى مثبتا زائدا على الاجتناب عن المعاصي وأما
الاجتناب عن المعصية ما هو إلا أن لا يفعل المعصية عند دواعيها ولا يكون في
نفسه معنى محصلا يكون العبد به مشتغلا عن الكفر لكن معتصما وقال شيخنا
رحمه الله إن الشكر تعظيم المنعم على مقابلة نعمته على حد يمنعه عن جفاء المنعم وكذا إنه
ولو قلت تعظيم المحسن على مقابلة إحسانه ليصح أن يكون من الله تعالى الشكر للعبد

يحسن وفيه تفاصيل قد شرحناها في كتاب احياء علوم الدين وغيره ولكن التحصيل
ان الشكر من العبد تعظيم لمنعم يمنع من جفاء من احسن اليه وذلك بتذكر احسانه وحسن
حال الشاكر في شكره وقبح حال الكافر في كفرانه قلت ان اقل ما يستوجبه المنعم بنعمته
ان لا يتوصل بها الى معصيته وما اقبح حال من جعل نعمة المنعم سلاحا على عصيانه فعلى
العبد ادنى الشكر وحقيقته ان يكون له من تعظيم الله سبحانه ما يحول بينه وبين
معاصيه على حسب تذكر نعمه فاذا اتى بذلك فقد اتى بما هو الاصل فيه ثم يتقابل ذلك
بجد في الطاعة وجهد في القيام بالخدمة اذ هو من حقوق النعمة فلا بد من الاحتراز ح
عن المعصية وبالله التوفيق فان قلت فما موضع الشكر فاعلم ان موضعه النعم الدينية
والدنيوية على قدرها واما الشدائد والمصائب في الدنيا في نفس واهل او مال
فتكلموا في ذلك هل يلزم العبد الشكر عليها قال بعضهم لا يلزم الشكر عليها من حيث
هي وانما يجب فيها الصبر واما الشكر فهو على النعمة لا غير قالوا ولا شدة الا وفي جنبها
نعم الله تعالى فيلزم الشكر على تلك النعم المقترنة بها دون نفس الشدة وتلك النعم ما قال له
ابن عمر رضي الله عنهما ما ابتليت ببلية الا كان لله تعالى علي فيها اربع نعم اذ لم تكن
في ديني واذ لم تكن اعظم منها واذ لم احرم الرضى واذ ارجو الثواب عليها وقد قيل
ايضا من تلك النعم ان تلك الشدة زائلة غير دائمة وانها من الله عز وجل دون
غير الله وان كان بسبب مخلوق فانه لا تبعة له عليك فانما يلزم العبد
الشكر على النعم المقترنة بالشدة وقال اخرون وهو الاولى عند شيخنا رحمه الله عنده

شد

شدائد الدنيا مما يلزم العبد الشكر عليها لان تلك الشدائد نعم بالحقيقة بدليل انها تعرض
العبد لمنافع عظيمة ومثوبات جزيلة واعواض كريمة في العاقبة تتلاشى في جنبها
مشقة هذه الشدائد واي نعمة يكون اكثر من هذه ومثال ذلك من يسقيك دواء كريها
مر المذاق شديدا لو يفصدك ويحجمك لعلة عظيمة مخوفة الخطر فيؤدي ذلك الى صحة النفس
وسلامة البدن وصفو العيش فيكون ابدا منه ان كمرارة الدواء وجراحة الفصد
والحجامة نعمة بالغة بالحقيقة ومنة ظاهرة وان كان في صورة مكروها ينفر عنه
الطبع ويستوحش منه النفس وانت تحمد الذي تولى منك هذا بل تحسن اليه ما
امكنك فكذلك حكم هذه الشدائد اما ترى الى النبي صلى الله عليه وسلم كيف حمد الله
وشكره على الشدائد كشكره على المسار حيث قال الحمد لله على ما ساء وسر اما ترى كيف
يقول جل جلاله وعسى ان تكرهوا شيئا فهو خير لكم وقال عسى ان تكرهوا شيئا
ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وما سماه الله خيرا فهو اكثر مما يبلغه وهمك
ويؤكد هذا القول ان النعمة ليست عبارة عن اللذة وما تشتهيه النفس بمقتضى الطبع
انما هي ما يزيد في رفعة الدرجة ولذلك تسمى نعمة في معنى الزيادة واذا كانت الشدة
مما يصير سببا في زيادة شرف العبد ورفعة درجته فيكون نعمة بالحقيقة
وان كانت تعد في الشدائد والمحن بظاهرها فاعلم ذلك موفقا فان قلت فالشاكر
افضل ام الصابر فاعلم انه قد قيل ان الشاكر افضل لقوله تعالى وقليل من عبادي
الشكور وجعلهم خص الخواص وقال نوح عليه السلام انه كان عبدا شكورا وقال

فإبراهيم عليه السلام شاكراً لأنعمه ولأنه في منزلة الأنعام والعافية ولذلك
قيل لأن أنعم فأشكر أحب إلي من أن أبتلى فأصبر وقيل الصابر أفضل لأنه أعظم
مشقة فيكون أعظم ثواباً وأرفع منزلة قال تعالى إنا وجدناه صابراً نعم العبد وقال
إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وقال تعالى والله يحب الصابرين قلت إن الشاكر
بالحقيقة لا يكون إلا صابراً والصابر بالحقيقة لا يكون إلا شاكراً لأن الشاكر في المحنة
لا يخلو من محنة يصبر عليها لا محالة ولا يجزع فإن الشكر تعظيم المنعم على حد يمنع
من عصيانه والجزع عصيان والصابر لا يخلو من نعمة كما ذكرنا أن الشدائد نعم بالحقيقة
على المعنى المتقدم فإنه شكر بالحقيقة إذ صبر لأنه حبس نفسه عن الجزع تعظيماً لله
وهذا هو الشكر بعينه إذ هو تعظيم يمنع عن العصيان ولأن الشاكر يمنع نفسه
عن الكفران فيصبر عن المعصية ويحمل نفسه على الشكر ويصبر على الطاعة فصار صابراً
على الحقيقة والصابر من عظم الله تعالى حتى منعه تعظيمه عن الجزع فيما أصابه وحمله
على الصبر فقد شكر الله تعالى فصار شاكراً بالحقيقة ولأن حبس عن الكفران مع قصد النفس
لما شئت يصبر عليها الشاكر وتوفيق الصبر والعصمة نعمة يشكر عليها الصابر فأحدهما
لا ينفك عن الآخر ولأن البصيرة الباعثة عليهما واحدة وهي بصيرة الاستقامة
وقول بعض علمائنا في هذه الوجوه فلذا إن أحدهما لا ينفك عن الآخر فاعرف هذه
الجملة وبالله التوفيق **فصل** فعليك أيها الرجل ببذل المجهود في قطع هذه العقبة الأبية
المؤنة الكثيرة الجدوى العزيزة العظيمة الخطر العظيمة القدر وفيها أصلان أحدهما أن النعمة

إنما تعطى من يعرف قدرها وإنما يعرف قدرها الشاكر ودليل ما قلناه قوله سبحانه في الحكاية
عن الكفار والرد عليهم أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين
وإنما ظن أولئك الجهال أن النعمة العظيمة والمنة الكريمة إنما تعطى من يكون أكثرهم
مالاً وأشرفهم حسباً ونسباً فقالوا أما بال هؤلاء الفقراء بزعمكم من العبيد والأحرار
أعطوا هذه النعمة العظيمة بزعمكم دوننا فقالوا على طريق الاستكبار ومجرى
الاستهزاء أهؤلاء من الله عليهم من بيننا فأجابهم الله تعالى بهذه النكتة اللازمة
فقال أليس الله بأعلم بالشاكرين تقرير الكلام أن السيد الكريم إنما يعطي نعمته من
يعرف قدرها من أقبل بنفسه وقلبه واختارها على غيرها ولا يعبأ بما تحمل من
أعباء المؤنة في تحصيلها ثم لا يزال قائماً بالباب يؤدي شكرها وكان في علمنا السا
أن هؤلاء الضعفاء يعرفون هذه النعمة ويقومون بشكرها فكانوا أولى بهذه
النعمة منكم فلا اعتبار بغناكم ولا بثروتكم ولا بجاهكم في الدنيا وحشمتكم ولا
بنسبكم في الأنساب ولا حسبكم إنما تحبون النعمة نعمة الدنيا وحطامها والحسب
والنسب وعلوه لا الدين والحق ومعرفته وإنما تعظمون ذلك وتتفاخرون به أما
ترون أنكم لا تكادون تقبلون هذا الدين والعلم إلا نعمة على من أتاكم به وذلك
لاستحقاركم ذلك وقلة مبالاتكم به وإن هؤلاء الضعفاء يقتلون أنفسهم على ذلك
ويبذلون مهجهم فيه ولا يبالون بما فاتهم ومن عاداهم مع ذلك لتعلموا أنهم هم
الذين عرفوا قدر هذه النعمة ورسخ في قلوبهم تعظيمها وهان عليهم فوت كل شيء

دونها وطالبهم احتمال كل شدة ويستغرقون جميع العمر في شكرها فلذلك استاهلوا
هذه المنة الكريمة والنعمة العظيمة في سابق علمنا وخصصناهم بها دونكم فهذا
بذلك اقول وكذلك كل فريق من الناس خصهم الله تعالى بنعمته من نعم الدين علم وعمل
فانك تجدهم بالحقيقة اعرف الناس بقدرها واشدهم تعظيما لها واجدهم في تحصيلها
واعظمهم في اكرامها واقومهم لشكرها والذين حرمهم ذلك فلقلة اخفالهم وتعظيمهم
لحقها بعد القدر السابق فلو كان تعظيم العلم والعبادة في قلوب السوقية والعامة
مثل ما هو في قلوب العلماء والمتعبدين لما اثروا سوقهم عليه وهان عليهم تركه الا ترى
انه اذا ظفر بتعلم مسئلة كانت ملتبسة عليه كيف يرتاح قلبه ويعظم سروره
ويجل موقعه من قلبه حتى ربما انه لو وجد الف دينار ما كان يعدل ذلك وربما
يهمه امر مسئلة في باب الدين ويتفكر فيها سنة بل عشرا بل واكثر ولا يستكثر ذلك
ولا يمل حتى ربما رزقه الله تعالى فهم ذلك فيعده اكبر منة واعظم نعمة ويرى
نفسه بذلك اغنى كل غني واشرف كل شريف بل ربما يتبين مثل هذه المسئلة لسوقي
او متعلم كسلان لا يرى من نفسه انه مثله في الرغبة في العلم والمحبة له فلا يستمع
اليه حقه وربما ان طال عليهم الكلام يملون ويتامون وان يتبين ذلك له فلا يعده
كبير امر وكذلك المنيب الى الله تعالى لم يجتهد ويتعب بالرياضة وصيانة النفس
من الشهوات واللذات والجازم لا ركان في الحركات والسكنات عسى ان يتم الله له
ركعتين في ادب وطهارة وكم يتضرع الله تعالى ان يرزقه عشر مناجاة بصفو وحلاوة

ولئن تلذذ بذلك في شهر مرة بل في سنة بل في العمر كله مرة عد ذلك اكبر منة واعظم
نعمة فكم يسر وكم يشكر الله تعالى ولا يكترث بما قاساه من المشقات وكابده من
وهي من اللذات فيها ثم يرى الذي يزعم انه راغب في العبادة ويحب ان يحصل منها شيئا
الواحتاج احدهم في تحصيل مثل هذه العبادة الصافية الى ما فيه من نقصان لقمة في
عشائهم وترك كلمة لا تعنيهم او دفع شيء نوم عن اعينهم فلا يسمح انفسهم بذلك
ولا تطيب قلوبهم وان اتفق لهم في الندرة حصول عبادة في صفوة ولذة بعد ومنا خطيرا مر
ولا يعلمون قيمته كبير شكر انما يعظم ويكثر بالظاهر حمدهم انما حصل لهم درهم او التقا
كسوة او طابت لهم مرقة او طابت لهم في سلامة البدن رفقة فيقولون عند ذلك
الحمد لله هذا من فضل الله فاني يستوي هؤلاء الغافلون العاجزون واولئك السعداء
المجتهدين ولذلك صار هؤلاء المساكين عن هذا الخير محرومين واولئك مؤيدون
ظافرين فائزين ولذلك قسم الامر احكم الحاكمين سبحانه وهو اعلم بالعالمين فهذا
تفصيل قوله اليس الله باعلم بالشاكرين فتفهم وراعه حقه واعلم انك لن
تحرم خطيرا انت تتمناه الا من قبل نفسك في بذل مجهودك لتعرف قدر نعمة الله
تعالى وتعظمها حق تعظيمها فتكون اهلا لها ولا عطاء ثم من عليك بابقائها
كما من عليك بابتدائها عليها تذكر في اصل الله الا صل الثالث ان النعمة انما تسلب ممن
لا يعرف قدرها والذي لا يعرف قدرها الكفور ولا يؤدي شكرها ودليل قوله تعالى
واتل عليهم نبأ الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين

ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض الاية تقرير هذا الكلام انا انعمنا على هذا العبد
بالنعم العظام والايات الجسام في باب الدين بما مكناه به لك من تحصيل التربية
الكبيرة والمنزلة الرفيعة على بابنا فيصير رفيعا عندنا عظيم القدر كبير الجاه ولكنه
جهل قدر نعمتنا فمال الى الدنيا الخبيسة الحقيرة واثر شهوة نفسه الدنية الرذية ولم يعلم
ان الدنيا كلها لا تزن عند الله تعالى عند ادنى نعمة من نعم الدين جناح بعوضة فكان
بمنزلة الكلب الذي لا يعرف الاكرام من الاهانة والرفعة والشرف من الحقارة وانما
الكرامة كلها عنده في كسرة يعطاها او عراق ما تقرمي اليه سواء تقعد على سرير مملكة
او تقيمه في التراب والقذر بين يديك بهمته وكرامته ونعمته كلها في ذلك فهذا العبد الشقي
اذ جهل قدر نعمتنا ولم يعرف قدر ما اتيناه من كرامتنا فكلت بصيرته واساء في مقام
القربة ادبه بالالتفات الى غيرنا والاشتغال عن ذكر نعمتنا بدنيا حقيرة ولذة خسيسة
فنظرنا اليه نظر السخط واحضرناه ميدان العدل وامرنا فيه بحكم الجبروت فسلبناه
جميع خلعنا وكرامتنا ونزعنا من قلبه معرفتنا فانسلخ عاريا عن جميع ما اتيناه من
فضلنا فصار كلبا طريدا وشيطانا رجيما نعوذ بالله من سخطه واليم عقابه انه بنا
رؤوف رحيم ثم اذا فعل مثال ملك يكرم عبدا له فيخلع عليه خاصة ثيابه ويقربه منه ويجعله
فوق سائر حجابه وخدمه ويامر بملازمة بابه ثم امر ان يبنى له في موضع خاص القصور
ويوضع له الاسرة وتنصب له الموائد ويزين له الجواري ويقام له الغلمان حتى اذا رجع
من الخدمة اجلس هنالك ملكا مخدوما مكرما وما بين حال خدمته المملكة والولاية

الاشقا

الا شقا من نار او اقل فان ابصر هذا العبد بجانب باب الملك سائسا للدواب ياكل رغيفا
او كلبا يمضغ عظما فيشتغل عن خدمة الملك بنظره اليه ووقف له عليه ولا يلتفت الى ماله
من الخلع والكرامة فيسعى الى ذلك السايس ويمد يده ولسانه لكسرة من رغيفه او يزاحم الكلب
على عظمه ويغبطهما ويعظم ما هما فيه اليس الملك اذا نظر اليه على مثل هذه الحالة يقول هذا
سفيه خسيس الهمة لم يعرف حق كرامتنا ولم يرقد اعزازنا اياه بخلعنا والتقريب
الى حضرتنا مع ما صرفنا اليه من عنايتنا وامرنا له من الذخاير وضروب الايادي
ما هذا الا ساقط الهمة عظيم الجهل قليل التمييز اسلبوه الخلع واطردوه عن بابنا
فهذا حال العالم اذا مال الى الدنيا والعابد اذا اتبع الهوى فبعد ما اكرمه الله تعالى بعبادته و
معرفة اياه وشريعته واحكامه ثم لم يعرف قدر ذلك فيصير الى احقر شيء عند الله عز
وجل واهونه عنده فيرغب فيه ويحرص عليه ويكون اعظم في قلبه واحب اليه من جميع
انه تعالى ما اعطي من تلك النعم العزيزة من العلم والعبادة والحكم والحقايق وكذلك من خصه
بانواع توفيقه وعصمته وزينه بانواع خدمته وعبادته ويديم اليه النظر بالرحمة
في اكثر اوقاته ويباهي به ملائكته واعطاه على بابه القبول والوجاهة
واحله بمحل الشفيع وانزل بمنزلة الاعز حتى صار بحيث لو دعاه اجابه ولباه
ولو ساله اعطاه واغناه ولو شفع في عالم لشفعه فيهم وارضاه ولو اقسم عليه
لابره واوفاه ولو خطر بباله شيء لاعطاه قبل ان يساله بلسانه فمن كان هذه حاله
ثم لم يعرف قدر هذه النعم ولم ينظر الى قدر هذه النعمة فيعدل عن ذلك الى الشهوات

نفس وزينة لا حاجة لها ولعقة الدسم التي لا بقاء لها ولم ينظر الى تلك الكرامات والخلع
والهدايا والمنن والعطايا ثم تما وعدوا عدله في الاخرة من الثواب العظيم والنعيم المقيم
فما احقرها من نفس وما شاكلها من عبد وما اعظم خطره لو علم وما احسن صنيعه
لو فهم نسأل الله البارئ الرحيم ان يصلحنا بعظيم فضله وسعة رحمته انه ارحم
الراحمين فعليك ايها الرجل ببذل المجهود حتى تعرف قدر نعم الله تعالى عليك و
انعم عليك بنعمة الدين فاياك ان تلتفت الى الدنيا وحطامها فان ذلك
منك لا يكون الا بضرب من التهاون بها او لانك رايت من نعم الدنيا اما تسمع
قوله تعالى لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ولقد اتيناك سبعا من المثاني
والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة
الدنيا الاية تعرف ان كل من اوتي القرآن العظيم حق له ان لا ينظر الى الدنيا
نظر باستحلاء فضلا عن ان يكون له فيها رغبة فليلزم الشكر على ذلك فانها الكرامة
التي حرص خليله ابراهيم صلوات الله وسلامه ان يمن بها على ابيه فلم يفعل وحرص
حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم ان يمن بها على عمه ابي طالب فلم يفعل وانما
حطام الدنيا فانه يصيبه على كل حال فرو فرعون وملحد وزنديق وجاهل وفاسق الذين هم
ابعد خلقه عليه حتى عرفوا قدره ويصرفه عن كل نبي وصفي وصديق وعالم وعابد
الذين هم اعز خلقه عليه حتى انهم لا يكادون يصيبون كسرة ولا خرقة ويمن عليهم بلطفهم
بقدرها حتى قال اعز من قائل لموسى عليه السلام وهرون ولو شئنا ان ازينكما بزينة حتى

علم

علم فرعون حين يراها ان مقدرته تعجز عنها لفعلت ولكني ازوي عنكما وارغبكما عنه و
كذلك افعل باوليائي واني لاذودهم عن نعيمها كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن مبارك
الغرة واني لاجنبهم سلوتها وعيشها وليس ذلك لهوانهم علي ولكن ليستكملوا حظهم من
كرامتي وقال تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا
من فضة الاية فاذا نظر الفرق بين الامرين ان كنت مبصرا وقل الحمد لله الذي من
علي بمن اوليائه واصفيائه وصرف عني فتنة اعدائه ولنخص بالشكر الاوفر والحمد الاكبر
المنة الكبرى والنعمة العظمى التي هي الاسلام في نعم الاولى والاخرى بان لا تغفل ليلك
ونهارك عن شكرها فان كنت عاجزا عن عرفان قدرها فاعلم بالحقيقة انك
لو خلقت من اول الدنيا واخذت في شكر الاسلام من اول الوقت الى الابد لما كنت تقوم
بذلك ولما قضيت بعض الحق لما هذا لكعص الفوز العظيم قلت واعلم ان الموضع لا يحتمل
ذكر ما يبلغه علمي من قدر هذه النعمة ولو اميت فيه العمر رقة لكن ان مبلغ علمي فوق
ذلك مع اعترافي بان ما اعلمه في جنب ما لا اعلمه كنفثة في بحار الدنيا باسرها اما
تسمع قول الله تعالى لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الايمان قال وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال للقوم
بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان اما تسمع قوله صلى الله عليه وسلم وقد سمع
رجلا يقول الحمد لله على الاسلام فقال انك لتحمد الله على نعمة عظيمة ولما قدم البشير
يعقوب عليه السلام قال على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال الان تمت النعمة وقيل

ما من كلمة احب الى الله تعالى ولا ابلغ عنده في الشكر من ان يقول العبد الحمد لله الذي
انعم علينا وهدانا للاسلام واياك ان تغفل عن الشكر وتغتر بما انت عليه في الحال
من الاسلام والمعرفة والتوفيق والعصمة فان مع ذلك لا موضع للامن والغفلة فان
الامور بالعواقب وكان سفيان الثوري رح يقول ما امن احد على دينه الا سلب و
كان شيخنا رح يقول اذا سمعت بحال الكفار وخلودهم في النار فلا تامن على نفسك
فان الامر على الخطر ولا تدري ماذا يكون من العاقبة وماذا سبق لك في حكم الغيب فلا
تغتر بصفاء الاوقات فان تحتها غوامض الافات وقال بعضهم يا معشر المغترين
بالعصم ان تحتها انواع النقم زين الله ابليس بانواع عصمته وهو عنده في حقائق
لعنته وزين بلعم بانوار ولايته وهو عنده في حقائق عداوته وعن علي رضي الله عنه
كم من مستدرج بالاحسان اليه وكم من مفتون بحسن القول فيه وكم من مغرور
بالستر عليه وقيل لذي النون ما اخفى ما يخدع به العبد قال الالطاف والكرامات
كذلك سبحانه سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قيل تسبغ عليهم النعم وتنسيهم الشكر
وقال قائل: احسنت ظنك بالايام اذ حسنت • ولم تخف سوء ما ياتي به القدر • و
سالمتك الليالي فاغتررت بها • وعند صفو الليالي يحدث الكدر • واعلم انك كلما
صرت اقرب فامرك اصعب والخوف والمعاملة اشد وادق والخطر عليك اعظم فان
الشيء كلما كان ابلغ علوا اذا انقلب كان اصعب وقوعا كما قيل ما طار طير فارتفع
الا كما طار وقع فالسبيل الى الامن واغفال الشكر وترك الابتهال في الحفظ على الدوام

ابراهيم

ابراهيم بن ادهم رح يقول كيف تامن وابراهيم الخليل عليه السلام يقول واجنبني وبني ان
نعبد الاصنام ويوسف الصديق يقول توفني مسلما والحقني وكان سفيان الثوري رحمه الله
يقول اللهم سلم سلم كانه في سفينة يخشى الغرق وبلغنا عن محمد بن يوسف رح انه قال
نامت سفيان الثوري ليلة فبكى الليل اجمع فقلت بكاؤك هذا على الذنوب فحمل تبنا و
قال الذنوب اهون على الله من هذا وانما اخشى ان يسلبني الاسلام والعياذ بالله و
سمعنا ان بعض العارفين يقول ان بعض الانبياء سال الله تعالى عن امر بلعم وطرده بعد
تلك الايات والكرامات فقال الله تعالى لم يشكرني يوما من الايام على ما اعطيته ولو
شكرني على ذلك مرة لما سلبته فتيقظ ايها الرجل واحفظ ركن الشكر جدا واحمد الله
على منته في الدين اعلاها الاسلام والمعرفة وادناها مثلا توفيق تسبيحة او عصمة
عن كلمة لا تعنيك عسى ان يتم عليك ولا يسلبك الزوال فان امر الامور واصعبها
الاهانة بعد الاكرام والطرد بعد التقريب والفراق بعد الوصال والله تعالى الماجد الكريم
الرؤوف الرحيم فصل وجملة الامر انك اذا احسنت النظر في منن الله تعالى العظام
عليك وايادي الكرام الجسام لديك التي لا يحصرها قلبك ولا يحيط بها وهمك
حتى خلفت هذه العقبات الصعاب فوجدت العلوم والبصائر وتطهرت من الاوزار
والكبائر وسبقت العوائق ورفضت العوارض وظفرت بالبواعث وسلمت
من القوادح فكم حصل لك فيها من خصلة شريفة ورتبة منيفة ولها التفسير
والتعريف واخرها التقريب والتشريف فتاملت فيها بمقدار عقلك وتوفيقك

وشكرت الله جل جلاله على قدر طاقتك بان تشتغل لسانك بحمده وثنائه وبملاء قلبك
بعظمته ويبلغك مبلغا يمحو ابنيك وبين عصيانه ويبعثك على الخدمة له بما امكنك
او بسعة طاقتك معترفا بالمقصود من حق انعامه واحسانه وكلما اغفلت شكره
او قصرت او زللت عاودت واجتهدت وتضرعت اليه وتوسلت وقلت بالله يا مولاي
كما بدأت بالاحسان بفضلك من غير استحقاق فاتممه بفضلك ايضا من غير استحقاق
وثناء بمثل الاولياء الذين وجدوا اناج هدايته وذاقوا حلاوة معرفته على انفسهم
حرقة الطرد والاهانة وخشية البعد والضلالة وحرارة العزل والازالة فتضرعوا بابه
مستغيثين ومدوا اليه الاكف مبتهلين ونادوا في الخلوات مستصرخين ربنا لا تزغ
قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب قلت انا نقرع
والله اعلم انا وجدنا منك نعمة قطعنا في الاخرى فانك انت الجواد الوهاب فكما وهبت
مزية الانعام في الابتداء فهب لنا رحمة الاتمام في الانتهاء اما تسمع وتحاشى
ان اول دعاء علمه رب العالمين عباده المسلمين الذين اصطفاهم من بين خلقه
هذا الدعاء وهو قوله اهدنا الصراط المستقيم اي ثبتنا عليه وادمه لنا هكذا يتضرع
اليه فان الخطر عظيم وقيل ان الحكماء نظروا فوجدوا مصائب العالم ومحنها الحسن المرض في النعم
والفقر في الشيب والموت في الشباب والعمى بعد البصر والنكرة بعد المعرفة واحسن من
ذلك قول من قال لكل شيء اذا فارقته عوض وليس لله ان فارقت من عوض ولغير ما
يقول اذا ابقت الدنيا على المرء دينه فما فات منها فليس بضاير وكذلك في كل نعمة

انعم

انعم بها عليك وتابيد ابدك به في قطع عقبة من العقبات ليثبت عليك ما اعطى ويزيدك
ما تود وتتمنى فاذا فعلت ذلك كنت قد خلقت من العقبة الحظين وظفرت
بالكنزين الكريمين العزيزين اللذين هما الاستقامة والاستزادة فتدوم لك النعم
الموجودة التي اعطاكها فلا تخشى زوالها ويزيدك من النعم المفقودة التي لم تعط
بعد ما لا تحتسب لها ولا تتمناها فلا تخشى فواتها وكنت حينئذ من العارفين
وكنت العلماء بالله التائبين الطاهرين الزاهدين في الدنيا المتجردين للخدمة القاهرة
للشيطان المتقين حق التقوى بالقلب والاركان القاصرين للامر الناصحين
الخاشعين المتواضعين المتوكلين المفوضين الراضين الصابرين الخائفين الراجين
المخلصين الذاكرين الشاكرين لانعم سيدك رب العالمين ثم تصير بعد ذلك
من المستتمين المكرمين المقربين فتأمل هذا الكلام والله تعالى ولي التوفيق فان
قلت اذا كان الامر كذلك لقد قل من الناس العابد بهذا المعبود والواصل الى هذا المقصود
ومن الذي يقوى على هذه المؤن وتحصيل هذه الشرائط في علمنا ان الله تعالى لذلك
يقول وقليل من عبادي الشكور ولكن اكثر الناس لا يشكرون لا يعقلون لا يعلمون
ثم ان ذلك يسير على من يسر الله تعالى عليه وعلى العبد الاجتهاد وعلى الله سبحانه الهداية
قال الله سبحانه والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا واذا كان العبد الضعيف
يقوم بما عليه فما ظنك بالرب العزيز الغني الكريم الرحيم فان قلت فالعمر قصير
وهذه عقبات طويلة شديدة فكيف يبقى العمر حتى تكمل هذه الشرائط بها شديدة

ولكن لما اراد الله تعالى ان يجتبي عبده قصر عليه طولها وهون عليه شديدها حتى يقول
بعد قطعها ما اقرب هذه الطريق واقصرها وما اهون هذا الامر وايسره وفي مثل هذا
قلت انا عند وقوفي على هذه الغاية علم المحجة واضح لمريده وادي القلوب عن المحجة في
عمى ولقد عجبت لهالك ونجاة موجودة ولقد عجبت لمن نجا حتى ان منهم من يقطع
هذه العقبات في سبعين سنة ومنهم من يقطعها في عشرين سنة ومنهم في عشر
سنين ومنهم من يحصل في سنة ومنهم من يقطعها في شهر بل في جمعة بل في ساعة حتى
ان منهم من يحصله في لحظة بتوفيق خاص وعناية سابقة اما تذكر اصحاب الكهف كان
منتهم خطرة حيث راوا التغير في وجه ملكهم دقيانوس فقالوا ربنا رب السموات
والارض لن ندعوا من دونه الها اذ حصلت لهم المعرفة وابصروا ما في هذه الطر صح
من الحقائق فقطعوا هذه الطريق فصاروا مفوضين متوكلين مستقيمين اذ قالوا
فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من امركم مرفقا وكل ذلك
انما حصلت لهم في مقدار غشا او لحظة واما تذكر سحرة فرعون ما كان منتهم الا
لحظة حيث رأوا معجزة موسى عليه السلام فقالوا امنا برب العالمين رب
موسى وهرون فابصروا الطريق وقطعوا حقه فصاروا من ساعتهم بلا قدم من
العارفين بالله تعالى الراضين بقضاء الله تعالى الصابرين على بلائه الشاكرين
لالائه المشتاقين الى لقائه فنادوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون ولقد حكينا
ان ابراهيم بن ادهم لما نبه عما كان عليه من امر الدنيا فعدل عن ذلك وقصد

هذه الطريق فلم يكن الا مقدار سيره من بلخ الى مرو الروذ حتى صار بحيث اشار الى
رجل سقط من القنطرة في الماء الكثير هنالك ان قف فوقف الرجل مكانه في الهوى فتخلص وان
رابعة البصرية كانت امة كبيرة يطاف بها في سوق البصرة ولا يرغب فيها احد لكبر سنها
فرحمها بعض التجار فاشتراها بنحو مائة درهم واعتقها فاختارت هذه الطريق فاقبلت
فما تمت لها سنة حتى زارها زهاد البصرة وقراؤها وعلماؤها لعظم منزلتها واما
الذي لم يسبق له العناية ولم يعامل بالفضل فيكل الى نفسه فربما يبقى في شعب
من عقبة واحدة سبعين سنة ولا يقطعها وكم يصيح ما اظلم هذه الطريق
واشكلها واعسر هذا الامر واعضله فان الكل راجع الى اصل واحد وذلك
تقدير العزيز العليم العدل الحكيم فان قلت لم اختص هذا بالتوفيق الخالص صح
هذا وكلاهما مشتركان في ربقة العبودية فعند هذا ينادي من سرادقات
الجلال ان الزم الادب واعرف سر الربوبية وحقيقة العبودية فانه لا يسئل
عما يفعل وهم يسئلون قلت انا ومثل هذه الطريق في الدنيا الصراط في الاخرة
في عقباتهم ومسافاتهم ومقاطعها واختلاف احوال الخلق فيها منهم
من يمر عليه كالبرق الخاطف ومنهم من يمر عليه كالريح العاصف
واخر كالفرس واخر كالطائر واخر يمشي واخر يزحف حتى يصير فحمة واخر
يسمع حسيسها واخر يؤخذ بالكلاليب فيطرح في جهنم فكذلك حال هذه
الطريق مع سالكها في الدنيا فهما صراطان صراط الدنيا وصراط الاخرة

فصراط الآخرة للنفوس يراها اهل الابصار وصراط الدنيا للقلوب يراها اولو
البصائر والالباب وانما اختلف الاحوال للسالكين في الاخرة لاختلاف احوالهم
في الدنيا فتأمل ذلك حقه فمن يمن وبالله التوفيق **فصل** ثم اعلم ما هو التحقيق
في هذا الباب وهو انه ليس هذا الطريق في طوله وقصره مثل المسافات الكائنة التي تسلكها
النفوس فتقطعها بالاقدام فيقع قطعها على حسب قوة النفس وضعفها وانما هو
طريق روحاني تسلكه القلوب فتقطعه بالافكار على حسب العقائد والبصائر اصلها
نور سماوي ونظر الهي يقع في قلب العبد ينظر به نظرة فيرى بها امر الدارين
بالحقيقة ثم هذا النور ربما يطلبه العبد مائة سنة فلا يجده ولا اثرا منه وذلك
لخطائه في الطلب وتقصيره في الاجتهاد وجهله بطريق ذلك واخر يجده في خمسين واخر
يجده في عشر واخر في يوم واخر في ساعة واخر في لحظة بعناية رب العزة وهو تعالى
ولي الهداية لكن العبد مأمور بالاجتهاد فعليه ما امر والامر مقسوم مقدر
والرب حكم عدل يفعل ما يشاء ويريد فان قلت فما اعظم هذا الخطر واشد
هذا الامر وما اكثر ما يحتاج اليه هذا العبد الضعيف في كل هذا العمل والجهد وتحصيل
هذه الشرائط مما ذكرت فاعلم انك لصادق في قولك ان الامر شديد والخطر عظيم
ولذلك قال تعالى لقد خلقنا الانسان في كبد وقال تعالى انا عرضنا الامانة على السموات
والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما
جهولا وكذلك قال سيد المرسلين صلوات الله عليه وسلامه لو علمتم ما اعلم لبكيتم

كثيرا ولضحكتم قليلا وما روي ان المنادي ينادي من السماء ليت الخلائق لم يخلقوا
وليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا ولذلك يقول السلف الخائفون رضي الله عنهم فعن
ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال وددت اني كنت خضرا تأكلني الدواب مخافة
العذاب وعن عمر رضي الله عنه انه سمع انسانا يقرأ هل اتى على الانسان حين
من الدهر لم يكن شيئا مذكورا قال ليتها تمت وقال ابو عبيدة رضي الله عنه وددت
اني كبش لاهلي فيقطعوا لحمي ويحسوا مرقي ولم اخلق وعن وهب بن منبه رضي الله عنه
انه قال خلق الانسان احمق ولولا حمقه ما هناه عيش وعن الفضيل رحمه الله لا
اغبط ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ولا عبدا صالحا اليس هؤلاء يعاينون القيامة انما
اغبط من لم يخلق وعن عطاء السلمي لو ان نارا اوقدت فقيل من القى نفسه فيها
صار لا شيء لخشيت ان اموت من الفرح قبل ان اصل الى النار فلا مراء ايها الرجل
شديد كما تقول بل اشد واعظم مما تظن وتتوهم ولكنه امر سبق في العلم القديم
م وتدبير اجراه العزيز العليم فلا حيلة للعبد الا بذل المجهود في العبودية والاعتصام
بحبل الله والابتهال دائما الى الله تعالى عسى ان يرحمه فيسلمه بفضله واما
قولك كل هذا لماذا فهذا كلام يدل منك على غفلة عظيمة بل الصواب تقول
كل هذا في جنب ما يطلبه العبد الضعيف ماذا اتدري ما يطلب العبد الضعيف
اقل ما يطلبه على الجملة شيئان احدهما السلامة في الدارين والثاني الملك في الدارين
اما السلامة في الدنيا وفتنها وغوائلها بحيث لم يسلم منها الملائكة المقربون

وقد سمعت حديث هاروت وماروت حتى روي انه اذا عرج بروح العبد الى السماء
تقول ملائكة السموات متعجبين كيف نجا هذا من دار فسد فيها خيارنا وان الاخرة في
اهوالها وشدائدها بحيث يصرخ فيها الانبياء والرسل نفسي نفسي لا اسئلك اليوم الا نفسي
حتى روي انه لو كان للرجل عمل سبعين نبيا لظن انه لا ينجو فمن اراد ان يسلم من فتن
هذه فيخرج منها بالاسلام سالما لا يصيبه من اهوال هذه فيدخل الجنة سالما
لا تصيبه نكبة ايكون ذلك امرا هينا وان الملك والكرامة فان الملك
نفاذ التصرف والمشية وان ذلك بالحقيقة في الدنيا لاولياء الله تعالى
ولصفياته الزاهدين بقضاته البر والبحر والارض لهم قدم والحجر والمدر لهم ذهب
وفضة والانس والجن والبهائم والطيور لهم مسخرون لا يشاؤن شيئا لانهم لا
يشاؤن الا ما يشاء الله وما يشاء الله كان ولا يهابون احدا من الخلق ولا
يخدمون احدا الا الله تعالى ويخدمهم كل من دون الله وابن لملوك الدنيا
بعشر معشار هذه الرتبة بهم اقل واذل وانما ملك الاخرة فيقول الله تعالى واذا رايت
ثم رايت نعيما وملكا كبيرا واعظم بما يقول فيها رب العزة انه ملك كبير وانت
تعلم ان الدنيا باسرها قليلة وان بقاؤها من اولها الى اخرها قليل ونصيب
احدنا من هذا القليل قليل ثم الواحد منا قد يبذل ماله وروحه حتى ربما
يظفر بعد في قليل في بقاء قليل وان حصل له ذلك فيعد مغبطا ولا يستكثر
ما بذل فيه من المال والنفس نحو ما ذكر عن امرئ القيس حيث يقول بكى صاحبي

لما راى الدرب دونه وايقن انا لاحقان بقيصرا فقلت له لا تبك عينك انما نحاول
ملكا او نموت فنعذرا فكيف من يطلب الملك الكبير في دار النعيم الخالد المقيم ايستكثر
مع ذلك ان يصلي ركعتين لله تعالى او ينفق درهمين او يسهر ليلتين كلا بل لو كان
له الف الف نفس والف الف روح والف الف عمر مثل عمر الدنيا واكثر فبذل ذلك
كله في هذا المطلوب العزيز لكان ذلك قليلا ولئن ظفر بعد ما طلب كان ذلك
غنما عظيما وفضلا من الذي اعطاه كبيرا فتنبه انما المسكين من رقدة الغافلين
ثم اذا تاملت ما يعطيه الله سبحانه العبد اذا اطاعه ولزم خدمته وسلك
هذا الطريق حق فوجدناها على الجملة اربعين كرامة وخلعة عشرين منها في الدنيا
منها في العقبى اما التي في الدنيا فالاولى ان يذكره الله سبحانه ويثني عليه واكرم به
يكون رب العالمين في ذكره وثنائه والثانية ان يشكره جل جلاله ويعظمه
ولو شكرك مخلوق ضعيف مثلك وعظمك لتشرفت به فكيف بالاولين
والاخرين والثالثة ان يحبه ولو احبك رئيس محلة او امير بلدة لافتخرت
بذلك وانتفعت به في مواطن عدة فكيف محبة رب العالمين والرابعة ان
يكون له وكيلا يدبر امره والخامسة ان يكون لرزقه كفيلا يوجه اليه من حال
الى الحال من غير تعب ووبال والسادسة ان يكون له نصيرا يكفيه كل عدو
ل ويدفع عنه كل قاصد بسوء والسابعة ان يكون له انيسا لا يستوحش بحال
ولا يخاف التغير والاستبدال والثامنة عز النفس فلا يلحقه ذل خدمة الدنيا

واهلها بل لا يرضى ان يخدمه ملوك وجبابرتها والتاسعة رفع الهمة فيترفع
عن التلطخ بمقاذير الدنيا واهلها ولا يلتفت الى زخارفها ومذهبها بل يرفع
الى حال الرجال الالباء عن ملاعب الصبيان والنسوان والعاشرة غنى القلب فيكون
اغنى من كل غني في الدنيا لا يزال طيب النفس فسيح الصدر لا يعرفه جدب
ولا يهمه عدم والحادي عشر نور القلب فيهتدي بنور قلبه الى العلوم واسرار وحكم
لا يهتدي الى بعضها غيره الا بجهد جهيد وعمر مديد والثانية عشر شرح الصدر فلا يضيق
ذرعا بشيء من محن الدنيا ومصائبها ومكارهها ومؤن الناس وشكاياتهم
والثالثة عشر المهابة والموقع في النفوس يحترمه الاخيار والاشرار ويهابه
كل فرعون وجبار والرابع عشر المحبة في القلوب يجعل لهم الرحمن ودا فترى القلوب
كلها مجبولة على حبه والنفوس كلها مطبوعة على تعظيمه واكرامه والخامسة عشر
البركة العامة في كل شيء من كلام او نفس او فعل او ثوب او مكان حتى يتبرك
بتراب وطئه ومكان جلس فيه يوما وبانسان صحبه ورآه حيا والسادسة
عشر تسخير له الارض من البر حتى انشاء مشيا في الهوى او مشي على الماء او قطع
ولحية الارض باقل من شيء والسابع عشر تسخير الحيوان من الوحوش والسباع
والهوام وغيرها فتجيبه الوحوش وتستصحب له الاسود والثامنة عشر
مفاتيح الارض فحيث ما يضرب يده فله كنز ان اراد وحيث ما يضرب رجله فله
عين ان احتاج واين ما نزل فله مائدة تحضر ان قصد والتاسعة عشر العيان

والوجاهة عند رب العزة فيبتغي الخلق الوسيلة الى الله تعالى بخدمته وتستنجح
الحاجات من الله تعالى بوجاهته وبركاته والعشرون اجابة الدعوة من الله تعالى ولا
يسأل الله شيئا الا اعطاه اياه ولا يشفع لاحد الا شفع ولو اقسم على الله لابر بما
شاء حتى ان منهم من لو اشار الى جبل لزال فلا يحتاج الى السؤال باللسان ولو
خطر بباله شيء لحظ فلا يحتاج الى الاشارة باليد فهذه كرامات في الدنيا واما
التي في العقبى فالحادية والعشرون تهوين الله عليه اول سكرات الموت وهي التي وجلت
قلوبهم الانبياء صلوات الله عليهم منها حتى سألوا الله تعالى ان يهونها عليهم
حتى ان منهم من يكون الموت عنده مثل شربة الماء الزلال للظمآن قال الله تعالى
عز وجل الذين تتوفاهم الملئكة طيبين والثانية والعشرون التثبيت على المعرفة
والايمان وهو الذي منه كل الخوف والفزع وعليه كل البكاء والجزع وقال عز من
قائل يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا والاخرة الثالثة
والعشرون ارسال الروح والريحان بالبشرى والامان قوله تعالى الا تخافوا ولا
تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون فقد نجا ومما يقدم عليه في العقبى
ولا يحزن على ما خلفه في الدنيا والرابعة والعشرون الخلود والجنان الخامسة
والعشرون الحلول في النزول وحده على ملئكة السموات بالاكرام والالطاف والانعام
في العلانية بتعظيم جنازته والمزاحمة على الصلوة عليه والمبادرة الى تجهيزه
ويرجون بذلك اكبر ثواب ويعدونه اعظم غنم السادسة والعشرون الامان من

فتنة سؤال القبر وتلقين الصواب فيأمن من ذلك الهول السابعة والعشرون توسيع القبر وتنويره
فيكون في روضة من رياض الجنة الى يوم القيامة الثامنة والعشرون ايناس روحه و
نسمته واكرامها فتجعل في اجواف طير خضر مع الاخوان الصالحين فرحين مستبشرين
بما آتاهم الله من فضله التاسعة والعشرون الحشر في العز والكرامة من حلل وتاج
وبراق والثلاثون بياض الوجه ونوره قال الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى
ربها ناظرة وقال الله تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة والحادية والثلاثون
الامن من اهوال يوم القيامة قال الله تعالى امن يأتي آمنا يوم القيامة الثانية والثلاثون
تيسير الحساب ومنهم من لا يحاسب اصلا الثالثة والثلاثون الكتاب باليمين
ومنهم من يكفى الكتاب راسا الرابعة والثلاثون ثقل الميزان ومنهم من لا يوقف
للوزن اصلا الخامسة والثلاثون ورود الحوض على النبي صلى الله عليه وسلم فيشرب
شربة لا يظمأ بعدها ابدا السادسة والثلاثون جواز الصراط والنجاة من النار حتى
ان منهم من لا يسمع حسيسها وتخمد له النار السابعة والثلاثون الشفاعة في عرصة القيامة
نحوا من شفاعة الانبياء والرسل الثامنة والثلاثون ملك الابد في الجنة التاسعة
والثلاثون الرضوان الاكبر والاربعون لقاء رب العالمين اله الاولين والاخرين بلا كيف
جل جلاله ثم اقول وانما عددت ذلك على حسب فهمي ومبلغ علمي في قصوره و
نقصه ومع ذلك فما اجتمعت واوجزت وذكرت من الاصول والجمل ولو
فصلت بعض ذلك لما احتمله الكتاب الا ترى انني جعلت ملك الابد خلعة واحدة

ولو فصلتها لتفتقت عن اربعين خلعة من الحور والقصور واللباس وغيره لكن
ثم كل نوع يشتمل على تفاصيل لا يحيط بها الا عالم الغيب والشهادة الذي هو خالقها
ومالكها واي مطمع لنا في معرفة ذلك وربنا سبحانه وتعالى يقول فلا تعلم نفس ما اخفي
لهم من قرة اعين ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خلق فيها ما لا عين رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وان المفسر في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان
تنفد كلمات ربي ان هذه الكلمات التي يقول الله تعالى لاهل الجنة باللطف والكرا م
ومن يكون حاله هذه فاني يبلغ جزءا من الف الف جزء وهم بشر او يحيط به
علم مخلوق وكل بل تقاعدت الهمم وتقاصرت دونه العقول وحق ان يكون
ذلك كذلك وهو عطاء العزيز العليم على مقتضى الفضل العظيم لو حسب
الجود القديم الا فليعمل العاملون وليبذل المجتهدون جهدهم لهذا المطلوب العظيم
وليعلموا ان ذلك كله لا قدر قليل في جنب ما هم اليه محتاجون وانا به يطلبون
وله يتعرضون وليعلموا ان العبد لابد له في الجملة من اربعة العلم والعمل
والاخلاص والخوف فيعلم اولا الطريق والا فهو اعمى ثم يعمل بالعلم والا فهو محجوب
ثم يخلص العمل والا فهو مغبون ثم لا يزال يخاف ويحذر من الآفات الى
ان يجد الامان والا فهو مغرور ولقد صدق ذو النون رحمه الله حيث قال الخلق
كلهم موتى الا العلماء والعلماء كلهم نيام الا العاملون والعاملون
كلهم مغترون الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم فلنا انا والعجب

جامعة الرياض
المكتبة المركزية قسم المخطوطات

من اربعة احدها من عاقل غير عالم اما يهتم لمعرفة ما بين يديه وانما يتعرف ما هو مطلع
بعد الموت عليه بالنظر في هذه الدلايل والعبر والاستماع الى هذه الايات والتذ...
والانزعاج لهذه الخواطر والهواجس في التفرق الى الله تعالى او لم ينظروا في ملكوت
السموات والارض وما خلق الله من شيء وقال تعالى الا يظن اولئك انهم مبعوثون
ليوم عظيم والثاني من عالم غير عامل اما يتذكرها ليعلم يقينا مما بين يديه من
اهوال العظام والعقبات الصعاب وهذا هو النبا العظيم الذي انتم عنه معرضون
والثالث من عامل غير مخلص الايتامل قوله فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل
عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا الرابع من مخلص غير خايف اما ينظر
في معاملات جل جلاله مع اصفيايه واوليايه وحذره الدال بينه وبين خلقه
حتى يقول لاكرم الخلق صلوات الله عليه وسلامه ولقد اوحي اليك والى الذين
من قبلك الايات ونحوها حتى كان يقول عليه السلام شيبتني سورة هود واخواتها
ثم جملة الامر وتفصيله ما قاله رب العالمين في اربع ايات من الكتاب
العزيز قوله عز وجل افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون ثم قال
جل اسمه ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون
ثم قال جل اسمه من قائل والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ثم اجمل التخويفا
وصدق القائلين ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغني عن العالمين
ونحن نستغفر الله رب العالمين من كل ما زل به القدم واطغى به القلم ونستغفر